

رَدُّعُ الْمُجْرِمِ
عَنْ سَبِّ الْمُسْلِمِ
وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالسَّبَابِ مِنْ أَحْكَامِ

تأليف

أبي يحيى

محمد بن عبده - حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ

رقم الإيداع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد؛
فإن تصحيح المفاهيم من الأهمية بمكان.
ولقد اعتنى رسول الله ﷺ بذلك ثم الصحابة من بعده ثم التابعون فمن
بعدهم مما لا يحصى كثرة.
فرسول الله ﷺ صحح مفهوم الظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] أنه الشرك^(١).
وصحح للصحابة فهمهم لمعنى الرقوب على غير ما كانوا يفهمون أنه
الذي لا يولد له، صححه بأنه الذي لم يقدم من ولده شيئاً^(٢).
وكذا مفهوم الصرعة على غير ما كانوا يفهمون أنه الذي يصرع الرجال
ويغلبهم، صححه إلى أنه الذي يملك نفسه عند الغضب^(٣). هذا غاية
الصرعة.
واستقصاء هذا في أقواله ﷺ، وأقوال الصحابة فمن بعدهم والعلماء
يطول جداً يسع سفرًا كبيرًا ليس المقام مقام الإسهاب فيه.
ذلك أن من ساء فهمه ساء سلوكه، وإنما يتبع السلوك الفهم والمعتقد

(١) هذا في «صحيح البخاري» (٦٩٣٧).

(٢) وذلك في «صحيح مسلم» (٢٦٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

تروى الخوارج لما انحرف فهمهم ساء سلوكهم حتى صار أثرهم السيئ في الأمة أخبث وأفسد من فعل اليهود والنصارى .

حتى قال شيخ الإسلام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ (١) :

«الخوارج شر الفرق المبتدعة من الأمة المحمدية ومن اليهود والنصارى» (٢) . فتراهم يعيثون في الأمة فساداً بما يعرفه من تأمل أفعالهم في الأمة من لدن أصحاب محمد رسول الله ﷺ إلى الآن .

والجهمية لما اعتقدوا وفهموا فهوماً ومعتقدات فاسدة باطلة نسبت للدين ماذا كانت النتيجة .

أفتوا بقتل العلماء وسبهم وضربهم وسجنهم في زمن الإمام أحمد وغيره وكتّم أهل السنة فانقمعوا قمعاً أيام دولتهم
وهكذا . . .

وفي هذه الأيام قوم أضفوا أثواب القداسة على أناس نسبواهم إلى العلماء - وهم أهل بدع- وهذا تلبيس وتضييع للمنهج الحق منهج أهل السنة فكانت النتيجة أن قام أقوام يتعصبون لهم

بل قاموا هم يتعصبون لهم حتى يكون بياناً للجهال يحفزهم (٣) .

(١) في «فتح الباري» (١٢/٣٠٢) .

(٢) وقوله : «مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» هذا مبنيٌّ على القول بتكفيرهم مطلقاً ، وهي مسألة خلافية ذكرتها وحررت القول فيها في كتابي «مناصحة الخوارج» .

(٣) والتعصب كبيرة من كبائر الذنوب ينسب صاحبها إلى الفسق :

قال الشافعي في «الأم» (٦/٢٢٣) : «من أظهر العصبية بالكلام فدعا إليها ، وتألف =

فلما بُيِّنَ لهم ضلالهم وأخطاؤهم ومخالفتهم لمنهج السلف مما أجمع عليه العلماء: ما طاقت آذانهم تسمع نقدهم، أن ترى مُبَيَّن ذلك أمامهم يكادون يسطون به، مع أنه ربما يُنسب -عندهم- للعلم أيضًا!! حتى ظهر هذيانهم بطعنهم في أهل علم وسبابهم بحجة الدفاع عن أهل العلم -زعموا-، ورميهم بسباب العلماء وشتيمهم وحرمات أهل العلم واحدة!! نعوذ بالله من التعصب وأثره، والحق أن من يدافعون عنهم ضلال نقدهم واجب نصحاء للأمة وبيانا وإصلاحا، وأنهم يجب عليهم جميعا الرجوع للحق وتخطئة أنفسهم علنا إن أخطئوا علنا، والاعتراف لمن بين لهم وخطأهم بالجميل إنصافا وإجلالا لمن يصدع بالحق لا يخشى في الله

= عليها، وإن لم يكن يشهر نفسه بقتال فيها فهو مردود الشهادة؛ لأنه أتى محرماً لا اختلاف بين علماء المسلمين علمته في ذلك». اهـ.

وقال ابن القيم في «الطرق الحكمية» (ص ١٤٧): «ومن يترك الحق تقليداً وتعصباً: أقل درجاته أن يكون فاسقاً».

وقال العراقي في «طرح التثريب» (٦٢/٨) عن القاضي عياض في شرح حديث الإفك: «أن التعصب في الباطل يخرج عن اسم الصلاح لقول عائشة رضي الله عنها: في حديث الإفك: «وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اِحْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ» وهو في «الصحيحين»، قال القاضي عياض: «فيه جواز سب المتعصب في الباطل، والمتكلم بنكر القول والإغلاظ في سبه بما يشبه صفته وإن لم يكن فيه حقيقة لقول أسيد بن حضير: «كَذَبْتَ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ» وحاشا سعداً من النفاق، ولكن لما كان منه من ظاهر التعصب لابن أبي المنافق عرض له بمثل هذا القول الغليظ». اهـ.

وعدَّ الهيثمي في «الزواجر» (١/١٤٢) التعصب للمذاهب والأهواء من الكبائر.

لومة لائم لكن الإنصاف عزيز واللّه المستعان .

فرموهم بسبّ العلماء وهم السبابة حقيقة؛ فرأيت الحاجة إلى بيان وجهه يردع المجرم عن سبّ المسلم، وتتميمًا للموضوع بينت ما يتعلق بالسباب من أحكام .

فهذا الذي دعي للكتابة في هذا الموضوع فيتخلص الهدف فيما يلي :

١- تصحيح مفاهيم تتعلق بالسباب المحرم والجائز منه الذي لا يدخل صاحبه في الفسوق الذي قاله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» .

٢- بيان درجات السباب فبعضه أعظم من بعض؛ فسباب الأرحام أعظم من سباب غيرهم، وسباب الوالدين وما يؤدي إلى ذلك أعظم، وسباب العلماء أعظم، وسباب الصحابة أكبر وسباب النبي ﷺ أعظم، وسب الدين أكبر . . وهكذا .

٣- بيان أن الردود العلمية وإن اشتملت على ألفاظ شديدة لا تدخل في السباب أصلاً، فرجل يكذب سميته كذاباً، أو جاهل بينت جهله، ووصفته بما يليق به، هذا لا يدخل في السباب إلا عند الملبسين الذين يلعبون بالعوام -قبحهم الله-، فالطعن في أهل البدع أو رميهم ببدعة من اتصفوا بصفاتهم، أو تخلّقوا بخلاقهم كالخوارج أو الجهمية تصحيح للمنهج، فمن اتصف بصفة من صفات الخوارج فليل له: يا خارجي، أو من اتصف بصفة من صفات المرجئة أو الجهمية أو المعتزلة فليل له: يا مرجئي، أو يا جهمي، أو يا معتزلي . . إلخ لا يدخل ذلك في السباب

المنهي عنه^(١)، والناظر في طعون العلماء قديماً في أهل البدع يرى ذلك واضحاً، إذا مسح عينه من التعصب، وجرّد قلبه عن الهوى، فمن رأى محدثاً فقال له: يا مبتدع لا يدخل ذلك في السباب، ولا فرق بين الجرح في رواية الحديث وبين الأفراد^(٢) . .

(١) وهذا أوضحته من نصوص أقوال الأئمة في غير هذا الموطن، ويكفي في ذلك أن الصحابي عرّض بالقول الغليظ لأخيه في مجلس رسول الله ﷺ وقال له لكونه مدافعاً فقط عن منافق أن لا يقتل: «إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُتَافِقِينَ» كما في حديث الإفك ورسول الله ﷺ لم ينكر، لو لم يكن أدلة إلا هذا في بيان رمي الإنسان بالخارجية إذا وافقهم في خصلة من خصالهم وإن لم يجمع خصالهم لكان كافياً . ومع ذلك أثبت -بفضل الله- طريقة الأئمة في غير هذا الموطن . راجع كتابي «مناصحة الخوارج» وغيره .

(٢) قال الحافظ ابن رجب في كتابه «الفرق بين النصيحة والتعبير» (ص ٧): «قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل»، وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة، وردوا على من سوى بينهما من المتعبدین وغيرهم ممن لا يتسع علمه ولا فرق بين الطعن في رواية حفاظ الحديث ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل، وبين تبين خطأ من أخطأ في فهم الكتاب والسنة وتأول شيئاً منها على غير تأويله أو تمسك به ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضاً» اهـ .

فماذا يقول الدكتور أحمد النقيب -عفا الله عنه- الذي فرّق بينهما فقال: «هذه نكرة وهذه نكرة» بعد أن يرى هذا الإجماع، يعني يريد أن يفرق بين الكلام في الرواة وبين أحاد الناس وحملة العلم ثم وصف هذا النهج الذي وقع الاجماع عليه بأنه منهج مُعوجّ، كذا!! والحقيقة أن المصادم لهذا الإجماع هو صاحب المنهج المعوجّ . وقد قال هذا في معرض نقده منهج الشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله- معدلاً له -يا ويحه- وفي المقطع الذي نشره في ذلك من الخلط وعدم فهمه لمنهج السلف =

فمن رأى رجلاً يبتتر نصوص كلام العلماء لتوافق هواه فسماه «خائناً»،
 أو من يحزب الناس أحزاباً «حزبياً»، أو «بّهاتاً» . . الخ
 لا يكون سباباً ولا شتاماً إلا عند من ساء فهمه .
 وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
 كما أن من يُشهر بأهل البدع ويأمر بإخزائهم وإقصائهم وقهرهم
 وفضحهم لا يقال عنه: بذيء ولا سيئ الخلق ولا قليل الأدب . . .
 فلا يزال أهل السنة عبر الأزمان يعيرون أهل الأهواء ويبينون أحوالهم

= والتقول على الأشخاص ما لا يتسع المقام لذكره وهي نتيجة حتمية بسبب الخلط
 بين الثوابت في الدين والمتغيرات وبالجملة من خالف الإجماع وعدل عن طريقة
 الصحابة العاملين ومذاهبهم وخالف السنة المستفيضة فلا يُعذر إلا بجهله - إن
 أحسنًا به الظن - ولا بد أن يتناقض .

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٧٢/٢٤):

«من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً
 لا يعذر فيه فهذا يعامل به أهل البدع» .

وقال في «مقدمة أصول التفسير» بشرحي (ص ٣٠٧) قال:

«في الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك
 كان مخطئاً في ذلك؛ بل مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه» .

وقال عن علامة أهل البدع في «مجموع الفتاوى» (٧٢/١٩):

«أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة» . فراجع كلامه بالصوت والصورة على
 الشبكات من طلبه وجده فالذي أوقعه فيما وقع فيه هو غياب المنهج الصحيح عنده
 حتى تجد كلامه الأخير ينقض كلامه الأول في المجلس الواحد أصلح الله حالنا
 وحاله .

ويخبرون بخلاقهم فلا يدخل ذلك في السباب إلا عند الملبسين - أراح الله الأمة من شرهم -

ما زالوا - أعني الأئمة - يشددون في جرح من يثني على أهل البدع فيقولون بأنه مبتدع مثلهم جاهل ضال مضل . . فمن ماشى خارجي وأثنى عليه فهو مثله .

ولذلك اتهم بعض العلماء ابن أبي ذئب بالقدر لكونه كان يجلس مع القدرية ولم يكشر في وجوههم^(١) . فراجع «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٤٠) .
ولما مدح عمران بن حطان عبد الرحمن بن ملجم على قتله لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قيلت الأشعار في ذمّه .

ومن نظر في كتب الجرح والتعديل أدنى نظرة وجد من هذا كثيراً ، . . . أفكان علماء الجرح والتعديل شتامين يسبون العلماء؟ أم أن هذه فرية على أهل السنة كَفْرِيَّةٍ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ ، والذين حكى عنهم السجزي في رسالته إلى أهل زبيد ص ٣٠٨ حيث قال :

«ومنها ما ارتكبه أهل الوقت منهم خصوصاً من كان منهم من المغاربة ، وهو أن كل من خالفهم نسبوه إلى سب العلماء ؛ لينفروا قلوب العوام عنه ، وقرفوه بأقاويل لا يقول بها ولا يعتقدها بهتاً منهم وكذباً . . . » . اهـ؟

(١) في بيان حال الأفراد كبيان حال الرواة والهدف واحد وهو الوصول لنتيجة واحدة وهي صيانة الدين والحفاظ على العلم فكيف إذا كانت كلمة الأئمة مجتمعة على نحو ما قال ابن رجب الحنبلي قبل وبعد فراجع نصوص أقوالهم في كتابي «عقيدة المسلم الصغير» .

وفي «مسائل حرب» صاحب الإمام أحمد (٣/ ٩٨٥):

«قد أحدث أهل الأهواء والبدع أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك الطعن عليهم والإضرار بهم عند السفهاء الجاهل . . ثم ذكر أفعالهم وأقوالهم . . .» اهـ

فإذا كان المرء يبيِّن ضلال شخص وانحرافه فهذا لا يغلب عليه قلب مؤمن أبداً، فينبغي أن يُجَلَّ ويُحترم ويُوقَّر، ويُشاد بصنيعه الطيب المبعوث من قوله ﷺ: «الدين النصيحة».

فمن اتهم هذا الناصح بأنه يسبُّ العلماء لأجل ذلك فهو مفتون جاهل، أو متهم مغموص في عدالته، لكونه يدافع عن المنحرفين وأهل البدع، ويطعن في أهل النصح المبينين للحق فلا تغفل عن هذا فإنه من فقه الواقع في أيامنا .

فبعض من قلَّ فقهه وزاد تعصبه؛ بل كذبه وتدليسه حينما يُجرِّح أشياءه الضلَّال أو من يحبهم يتهم خصومهم بالسبَّائين والشتمَّامين والبداء؛ وكان عليه أن ينظر في جرحهم هل هو بحق أم بباطل .

لكن حينما يحصل ممن يتعصب لهم سبُّ وشتمٌ وقدحاً بألفاظ بذئية لخصومهم - كما سيأتي ذكرها - بلا موجب، أو لخطأ يُهَوِّل به لا يُجرِّح به . . . لا يُسمى هذا شتمًا ولا سبابًا!! يكيل بمكيالين . . . !!

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِئِ الْجَاهِلِينَ﴾ .

واعجب من قوم يتظاهرون بالدفاع عن العلماء - كذا زعموا -، وهم في الحقيقة أهل هوى، يريدون مخاصمة أشخاص ما لعداوة أو مزاحمة في علو قدر . . .

فيشيعون - أصلح الله أفهامهم وهداهم - أن الدفاع عن العلماء قربة،
- وهي كذلك لاشك - فيؤزّن العوام للدخول في هذه المعتركات وهم لم
يتأهلوا لهذا - ليس الباب بابهم - ليتّم لهم ما أرادوا أصلح الله نوايانا
ونواياهم .

ففضّحهم الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ :

«مثال ذلك : أن يريد الإنسان ذمّ رجل وتنقصه وإظهار عيبه لينفر الناس
عنه ، إما محبة لإيذائه ، أو لعداوته ، أو مخافة من مزاحمته على مال أو رئاسة
أو غير ذلك من الأسباب المذمومة .

فلا يتوصل إلى ذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب ديني .

مثل : أن يكون قد ردّ قولاً ضعيفاً من أقوال عالم مشهور ، فيشيع بين من
يُعظّم ذلك العالم أن فلاناً يُبغضُ هذا العالم ويذمّه ويطعن عليه ، فيغرّ بذلك
كل من يعظّمه ، ويوهمهم أن بغض الراد وأذاه من أعمال القُرب ؛ لأنه ذبّ
عن ذلك العالم ورفع الأذى عنه ، وذلك قُربة إلى الله تعالى وطاعته فيجمع
هذا المظهر للنصح بين أمرين قبيحين محرّمين :

أحدهما :

أن يحمل ردّ العالم القول الآخر على البغض والطعن والهوى^(١) ، وقد
يكون إنما أراد به النصح للمؤمنين وإظهار ما ليس له كتمان من العلم .

والثاني :

أن يظهر الطعن عليه ليتوصل بذلك إلى هواه وغرضه الفاسد في قالب

(١) وقد يتجاسر فيرميه بالهوى ويكتنم من قوله ما يُسهّل إشاعة ذلك ، كما سيأتي .

النصح، والذب عن علماء الشرع، وبمثل هذه المكيدة كان ظلم بني مروان وأتباعهم يستميلون الناس إليهم، وينفرون قلوبهم عن علي بن أبي طالب والحسن والحسين وذريتهم - رضي الله عنهم أجمعين - .

وأنه لما قُتل عثمان رضي الله عنه لم تر الأمة أحق من علي رضي الله عنه فبايعوه، فتوصل من توصل إلى التنفير عنه بأن أظهر تعظيم قتل عثمان وقبحه، - وهو في نفس الأمر كذلك - ضَمَّ إلى ذلك أن المؤلَّب على قتله والساعي فيه علي رضي الله عنه، وهذا كان كذباً وبهتاً .

وكان علي رضي الله عنه يحلف ويغلظ الحلف على نفي ذلك^(١)، وهو الصادق البار في يمينه رضي الله عنه، وبادروا إلى قتاله ديانةً وتقرباً، ثم إلى قتال أولاده - رضوان الله عليهم - .

واجتهد أولئك في إظهار ذلك وإشاعته على المنابر في أيام الجُمع وغيرها من المجامع العظيمة، حتى استقر في قلوب أتباعهم أن الأمر على ما قالوه، وأن بني مروان أحق بالأمر من علي وولده؛ لقربهم من عثمان، وأخذهم بثأره، فتوصلوا بذلك إلى تأليف قلوب الناس عليهم وقاتلهم لعلي وولده من بعده، ويثبت بذلك لهم الملك ويستوثق لهم الأمر^(٢) .

فتصحح مفهوم السباب اليوم فيه فضح أهل الهوى والبدع الذين يتعصبون لشيوخهم المبتدعة، فيسمون الردود على شيوخهم وتبيين أحوالهم سباباً وشتماً وسوء أدب وقدح في العلماء حتى ألقموا ذلك لكثير من الحداثء بسهولة؛ لأن مسألة السب للعلماء ينفر منها كل مسلم ولو كان

(١) بل كان يلعن قتلته، كما بيناه في غير هذا الموطن، وقد ورد عنه تزكيتة عثمان رضي الله عنه .

(٢) «الفرق بين النصيحة والتعبير» (ص ٢٣-٢٥) .

لا يملك إلا أبجديات هذا الدين العظيم ومبادئه ولا حول ولا قوة إلا بالله .
 فيُغلقون - أعني : أولئك الغالطين - باب الجرح والتعديل تارة - حتى
 لا يُجرح من يتعصبون لهم - ، وتارة يُحدثون موازنات بين حسنات
 وسيئات المردود عليه للدفاع عمن أرادوا وما رعوها حق رعايتها ، مع
 أنه - أعني منهج الموازنات هذا - يصادم منهج التصفية والتربية الذي هو
 منهج أهل السنة . . .

هذا ولم أف على كتاب في الباب بهذا الشمول المذكور - ولله
 الحمد - إلا ما كان من كتاب للحافظ ابن حجر بعنوان : «الأربعون في
 ردع المجرم عن سب المسلم» . جمع فيه جملة أحاديث في الباب فقط .
 وفيه أحاديث غير صريحة لا تكاد تمس الموضوع إلا من طرف خفي ،
 ولم يتناول الحافظ الأحكام المتعلقة بالسباب ، ولم يُزل اللبس المتعلق
 بألفاظ موهمة للسباب وردت عن الصحابة ، وإنما فيه فقط ما اشترطه ،
 وهو ذكر ما يردع عن سباب المسلم ، كما يدل عليه عنوانه فجراه الله خيراً .
 وفيه أيضاً بعض الأحاديث الضعيفة أعرضنا عنها عمداً .
 ولقد استفدت منه كثيراً على صغر حجمه ، والفضل لله وحده .

ومن أهداف الكتابة في هذا الموضوع :

بيان أن الذي يُعرف منه أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ورسوله
 فإنه يجب أن يعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر أئمة المسلمين الذين
 سبق ذكرهم وأمثالهم ممن تبعهم بإحسان ، ومن عرف منه أنه أراد برده عليهم
 التنقص والذم وإظهار العيب فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة ليرتدع هو

ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمة^(١)، وتنبه -بارك الله فيك- .

لا يُظن بالبريء الظن السوء فهذا مما حرمه الله ورسوله وقد قال تعالى :
﴿يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] ،
وقال : ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا
مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢] ، ولذلك أثنى على ابن مسعود يوم قال عن فتوى خطأ
أفتى بها أبو موسى : «ضللتُ إذا إن تبعته وما أنا من المهتمدين» ، فما عتفه
أحد لكونه أراد برده وجه الله بل حمل أبو موسى قوله ﷺ على مدحه
والثناء عليه والإحالة على فتياه والاستفادة منه ؛ وقد قابل ذلك بقوله -مع
أنه رد عليه وعلى ملاً- . . «لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ» فانظر أنت
يا مسكين كيف أنك بمعزل عن مسلك العلماء ، فلم يقابله بما يقابل به أهل
الأهواء اليوم مَنْ يُصَحِّحُونَ المناهج والعقائد ، ويزيِّفون الزائف ، ويُقَوِّمُونَ
المعوجَّ والله المستعان .

فيا أيها المخالفون :

أنتم تذكرون أن لحوم العلماء مسمومة ، وأن الوقوع فيهم أمر عظيم ،
والتطاول على أعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم ، والاختلاف على
من اختاره الله منهم لنقش العلم خلق ذميم .

صدقتم والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون .

ولكن هذا للعلماء !

أما من فيه انحراف وبدعة في بيان أمره وإظهاره واجب ، كما نص على

(١) «الفرق بين النصيحة والتعبير» لابن رجب الحنبلي (ص ١٤) .

ذلك الأئمة .

وأما ما ذكرتم من نهي رسول لله ﷺ عن الاغتياب ، فهذا ليس هو من الاغتياب ، وإنما هو من الدين الذي جهله من لم يعرف العلماء من الأدعياء فالكلام في المبتدع وإظهار بدعته ، والكذاب وبيان كذبه من الدين المتعين^(١) ، وقد بينا فيما تقدم أن المتعصب فاسق ساقط العدالة؟
أما علمتم -يا أيها المخالفون- أن الله تعالى يقيد للمبطل من يرد كلامه ويظهر باطله وما أراد بسحب منازل العلماء وراياتهم وجعلها ألوية لأهل البدع؟

أبهذا ينصر الشيوخ؟ -إن كانوا- أم ببيان الحق لهم والأخذ على أيديهم إن أخطئوا ، ومعاقتهم إذا أصروا بعد البيان . . . لا مناصرتهم على أي حال- تحت مظلة صيانة لحوم العلماء - . . .
فكيف إذا راغوا بعد البيان بشبه القول والطعن في الناصحين من أهل السنة؟

أو كذبوا عليهم للعوام وألقوا الشُّبه والتلفيقات عليهم لإعذار الخوارج ، وألبسوا أهل البدع عباءات العلماء ، فصدقهم العوام

(١) من كلام ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه «جمع الجيوش والعساكر على ابن عساكر» (ص ١٢٢) بتصرف ، وإني لأنصح القراء بالاطلاع على شدته في ردِّه رَحِمَهُ اللهُ عَلَى أهل البدع ، بل وأسلوبه في الرد على الإمام أبي القاسم بن عساكر ولا يخفي منزلة ابن عساكر صاحب أكبر كتاب على وجه الأرض كتاب «تاريخ دمشق» بعد كتاب «الفنون» لابن عقيل رحمهم الله .

فأشاعوا ذلك؟

وقد أخرج العقيلي في «الضعفاء» وغيره بسندٍ ثابتٍ عن عاصم الأحول قال: جلستُ إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه ونال منه، فجثوت على ركبتي فقلت: أبا الخطاب وإذا الفقهاء يقع بعضهم في بعض؟ فقال: يا أحوول أولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعةً فينبغي لها أن تُذكر حتى تُحذر؟ فجئت من عند قتادة وأنا مغتم بما سمعت من قتادة في عمرو بن عبيد وما رأيت من نسكه وهديه، فوضعتُ رأسي نصف النهار وإذا عمرو بن عبيد والمصحف في حجره وهو يحك آيةً من القرآن، فقلت: ما تصنع؟ قال: إني أعيدها، قال: فحكها، قلتُ: أعدها، قال: لا أستطيع. وسنده ثابت خرَّجته في كتابي «ذم أصحاب الأهواء والبدع وكيفية التعامل معهم».

وإن وسم أمثال هؤلاء بالعلم مع ما حصل منهم من بدع وانحراف جريمة تسقطهم وتسقط من يتوانى من أهل العلم عن بيان حقيقة أمرهم إذا بلغته ودعت الحاجة إليها، فكيف إذا أثنى عليهم واخترع لهم المعاذير الباهتة السمجة حتى انتشر منهجهم في الناس؟! الله المستعان.

أسأل الله تعالى أن يفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صمماً، وقلوباً غلفاً، وأن لا يجعلها صيحة في واد، ولا نفخة في رماد، وأن يغفر لي ولإخواني جميعاً ما أسرفنا وما أسررنا وما أعلننا وما هو أعلم به منا.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله أولاً وآخراً.

حرمة سباب المسلم والبذاءة عليه

ابتداءً: قد ورد الشرع بالنهاي عن سباب المسلم لأخيه حتى عدَّ ذلك من كبائر الذنوب .

فمن ذلك: قوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١) .
وقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَدِيءِ»^(٢) .

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، مسلم (٦٤) عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

ولا يفهم أحدٌ من سياقه «عن زبيد قال: سألت أبا وائل عن المُرْجِئَةِ فقال: حدَّثني عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» أن أبا وائل كره الكلام في المُرْجِئَةِ، وعدَّ ذلك من الغيبة! كلا كلا .

وإنما المعنى: أن أبا وائل عَنَى بهذا الحديث الرد عليهم فهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، ويرجئون الأعمال؛ أي: يؤخرونها، فاستنبط أبو وائل رضي الله عنه من قول رسول الله ﷺ المذكور أن شتم المسلم والتكلم في عرضه بما يعيبه ويؤذيه فجور وخروج عن الحق، ويضر بالإيمان إذ يُنْقِصُهُ، فأراد أن يُثَبِّتَ ضرر المعصية على الإيمان، وإلا فالذم لأهل البدع ليس من الغيبة؛ بل من النصيحة الواجبة على العارف، وإلا فهو كاتم للحق بعدم التبيين .

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٧) وغيره بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً .
واعلم -علمني الله وإياك- أن ليس من هذا سبُّ النبي ﷺ لكفار قريش يوم الأحزاب لما أخرجوه عن صلاة العصر، وهذا في «صحيح البخاري» (٥٩٦)، ومسلم (٦٣١)، فلا يقال: ليس المؤمن بسباب ولا . . . في مثل هذا والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ كذلك: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ»^(١)، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»^(٢).

وقد أخرج الإمام أحمد^(٣) بإسنادٍ صحيح عن عياض بن حمار قال: قلت: يا رسول الله، رجلٌ من قومي يَشْتُمُّنِي وهو دُونِي، عَلَيَّ بَأْسٌ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ؟

قال: «الْمُسْتَبَانَ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَادِبَانِ».

ومعنى الحديث:

الذم للمستبين للذين يكذبان في سبابهما، كما قال ابن حبان^(٤). وقد أطلق رسول الله ﷺ على المستبِّ شيطاناً على سبيل المجاوزة إذ الشيطان دلّه على ذلك الفعل حتى تهاتر وتكاذب، لا أن المستبين يكونان شيطانين^(٥).

وإذا كان النبي ﷺ زجر من لعن الدابة فقال للناقة: شَأُ^(٦) لَعْنِكَ اللَّهُ. فقال ﷺ: «مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ؟».

(١) البذاء: الفحش في القول، والجفاء: غلظ الطبع.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢١٣/٥)، والترمذي (٣٠٠٩)، وابن ماجه (٤١٨٤) وغيرهم بإسناد صحيح.

(٣) برقم (١٧٤٨٣).

(٤) في «صحيحه» (٣٤/١٣).

(٥) المصدر السابق.

(٦) هي كلمة زجر للبعير.

قال: أنا يا رسول الله .

قال: «انزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ...»، وسيأتي بتمامه، فإذا كان ذلك في لاعن الحيوان فماذا يُقال للاعن للمسلم أو السابِّ له! ؟ .

اضمم إلى هذا الأدلة العامة للترابط بين المسلمين التي منها:

* قوله تعالى عن محمد رسول الله ﷺ، والذين معه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وغيرها من الآيات، فكيف تستقيم الرحمة بينهم مع السباب؟

* وقوله ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^(١).

* وقوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَيْتَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(٢).

* وقوله ﷺ: «يَدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ، وَيَرُدُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَقْصَاهُمْ»^(٣).

يتنافي هذا مع وقوع السباب بينهم .

فهذه الأخلاق كيف تستوي بحالٍ مع وجود السباب بين المسلم وأخيه، مع عظم الأجر الموعود به في سنة رسول الله ﷺ لمن حسن خلقه .

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٨٥).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٧٠١٢) وابن ماجه (٢٦٨٥) وغيره .

وقد قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَكُونُوا، عِبَادَ اللَّهِ، إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، ... بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ. دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ»^(١).

* وقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»^(٢).

* وفي وصف رسول الله ﷺ ما قاله أنس رضي الله عنه:

«لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَابًا وَلَا فَحَاشًا وَلَا لَعَانًا كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ تَرَبَّ جَبِينَهُ»^(٣).

* وقال ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِصَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا»^(٤).

* وقال كذلك: «لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

* وقال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٦).

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤٦) من طريق فليح بن سليمان، حدثنا هلال بن علي، عن أنس رضي الله عنه به.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

وإنما تعرف بذاءة اللسان في المنافقين .

فالفحش والبداءة من شُعب النفاق ، كما ورد عن رسول الله ﷺ بإسنادٍ فيه نظر .

لكن أبصر أهل النفاق وأقوالهم للصحابة الذين هم خير البرية بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- تراهم أصحاب بذاءة .
سلطة ألسنتهم الحداد التي يسلقون بها المؤمنين واضحة ، والله المستعان .

وقد ورد سبب ورود لهذا الحديث -حديث «سبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ...»- ولكن لا يصح .

رواه عمرو بن النعمان بن مقرن المزني قال :

انتهى رسول الله ﷺ إلى مجلس من مجالس الأنصار ، ورجل من الأنصار كان قد عرف بالبداءة ومشاتمة الناس ، فقال رسول الله ﷺ :
«سبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» .

زاد البغوي في روايته : «فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ لَا أُسَابُ رَجُلًا» .
ولكن لا يصح سنده لإرسال .

وقد ذكره الحسيني في «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث» على عاداته في ذكر الصحيح والضعيف في كتابه المشار إليه فأردنا التنبيه عليه .

وأحاديث حقوق الأخوة الإسلامية تأبى السباب بينهم :

والتي منها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال :

«الْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، ... بِحَسَبِ
أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ. دَمُهُ
وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ»^(١).

فكيف يسبُّه؟!

ومنها:

حديث النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ»^(٢).

والنمام: هو الذي ينمُّ الكلام على وجه الإفساد بين الناس.
ولا شك أن الرفق بالمسلم المأمور به يتنافى تماماً مع سبابه.

وقد حذر النبي ﷺ من رمي الأخ بالكفر:

وذلك في قوله ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ
أَحَدُهُمَا»^(٣).

وتحذير عما يؤذي المسلم.

قال: ﷺ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ
الْجَنَّةَ»^(٤).

أي: لا يؤذي أحد بما بين لحييه، يعني: اللسان، وهذا يشمل السباب

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٥).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٦٠) عن ابن عمر

رضي الله عنهما.

(٤) وهو منخرج في كتابي «أعمال تدخل صاحبها الجنة».

وغيره مما يؤذي المسلم .

وحديث النبي ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»^(١).

وسبُّ المسلم بذاءة وجفاء، ففي ذلك نهي عن سبِّ المسلم بطريق الإيماء .

والبداء: القول الفاجر، ومنه: السباب .

وقوله ﷺ: «يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدُنِي فَحَاشَا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»^(٢).

وفي رواية مسلم^(٣): «فُحْشِهِ» .

وهذا بعمومه ذم للفحاش، ومنه السباب .

وقوله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»^(٤).

أي: كل إنسان قد يعافيه الله إلا المجاهر بالشر .

ولا شك أن السباب مجاهر بسببه بالشر .

وقوله ﷺ: «إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»^(٥).

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٩) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة .

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٣٢) .

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩١) .

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١) من حديث عبد الله بن

وما أثقل في الميزان من خلق حسن .
والأحاديث في مدح حسن الخلق ودم مساوئه كثيرة؛ وقد ألفت في ذلك
المؤلفات .
ولا شك أن سباب المسلم يتنافى تماماً مع أعمال أصحاب الخلق
الكريم .

وفي المنع من سب الإمام لرعيته :

قال ﷺ: «وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ يَلْعَنُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ»^(١) .
وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ،
وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَفَرَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»^(٢) .
فهل من يسب رعيته أو يلعنهم قد رفق بهم أم شق عليهم؟
فحرم سب الإمام لرعيته المسلمين .

وفي «صحيح مسلم»^(٣) في حديث اللاعن بغيره المنع من السباب .
فإذا كان رسول الله ﷺ زجر من سب بغيراً، وهو حيوان - كما
تقدم -، فكيف يكون سباب المسلم مع عظم حرمة؟
قال هذا لساب البعير وهو حيوان فماذا يقال لساب الإنسان
فلا إشكال إذا في تسميته بالمجرم فقلت: «ردع المجرم عن سب
المسلم» .

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك رضي الله عنه .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٢٨) .

(٣) برقم (٣٠٠٩) .

وإنما يقع السباب بين الكفرة:

فإن السباب إنما يكون بين الكفرة يوم القيامة، فهم في الدنيا تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، ويوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً، ويطلبون يوم القيامة كل للآخر أشد العذاب وضعفه، كما يطلبون من ربهم أن يجعلهم تحت أقدامهم.

كما هو كلامهم في كتاب الله، أما أهل السنة فينهون عن سباب المسلم، ويقولون: إنه فسوق وخروج عن التقوى والهدى ويشفعون لإخوانهم يوم القيامة بجهدهم.

وقد جاء النهي عنه للصائم إذا سابه أحد:

فقال ﷺ: «... الصَّيَّامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ»^(١)، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»^(٢).

وقد جاء النهي عنه في الحج:

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٣).

والرفث: اسمٌ للفحش من القول، على قول بعض العلماء.

والسباب منه.

(١) الصخب: من الخصام والصياع.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٠٠).

المعنى الإجمالي لقوله ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ»

المعنى الإجمالي للفسوق هو: الخروج عن الطاعة لله ورسوله .
 وسباب المسلم؛ أي: سبُّه وشتمه، ويدخل في ذلك: لَعْنُهُ، كالقول
 للمسلم: يا حمار، يا كلب، والتكلم في عرضه بما يعيبه .
 وفسر الراغب الأصبهاني السباب بالشتم الوجيع .
 و«سَبَابُ الْمُسْلِمِ»: مصدر سَبَّ وسبَابًا: شتم شتمًا وجيعًا .
 و«فُسُوقٌ»: أي: تسقط به العدالة والمرتبة، وينقص به إيمانه^(١) .
 وذلك لكونه خرج عن الحق إلى الفجور، وهو الشتم، وهو التكلم في
 عرض الإنسان بما يعيبه .

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ :

«السَّبُّ فِي اللُّغَةِ: الشَّتْمُ وَالتَّكْلِمُ فِي عَرْضِ الْإِنْسَانِ بِمَا يَعْيبُهُ،
 وَالفَسْقُ فِي اللُّغَةِ: الخُرُوجُ، وَالمَرَادُ بِهِ فِي الشَّرْعِ: الخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ .
 حَكَمَ السَّبَابُ وَمَزِيدٌ عَنِ صَوْرِهِ:

فَسَبُّ الْمُسْلِمِ بغيرِ حَقِّ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَفَاعِلُهُ فَاسِقٌ^(٢) .

(١) انظر: «التنوير في شرح الجامع الصغير» (٦/٣٦٠)، و«توضيح الأحكام» للباسام (٧/٤١٢) .

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٢/٥٣) .

قوله: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ» المسلم هنا: أي: المسلم الكامل.
أما الفاسق فقد اختلف العلماء في جواز سبّه.

وقال المناوي^(١):

«من الألفاظ المذمومة المستعملة عادة قوله لمن يخاصمه: يا حمار،
يا كلب، ونحو ذلك، فهذا قبيح؛ لأنه كذب وإيذاء، بخلاف قوله:
يا ظالم، ونحو ذلك، فإنه يتسامح به لضرورة المخاصمة، مع أنه صادق
غالبًا، فقلَّ إنسان إلا وهو ظالم لنفسه أو لغيره». اهـ

قلت:

فيدخل في السباب: القذف، وإلحاق النقص،

وقوله: «حمار، وكلب».. هي سباب:

إذا لم تكن في بابها على ما بيننا في موطنه عند ذكر ألفاظ للنبي ﷺ،
والصحابة والسلف فمن بعدهم من أهل العلم ذلك في جرح الرواة وحملة
العلم.

وقريب من السباب: العيب، لكنه أعم من السبِّ.

قال الزرقاني في تعليقه على «المواهب اللدنية» (٧/٣٣١):

«هو أعم من السب، فإن من قال: فلان أعلم منه، فقد عابه ولم

يسبه». اهـ

وكذلك اللعن: يطلق ويراد به السب.

(١) في «فيض القدير» (٤/٨٤)، وانظر «إحياء علوم الدين» (٤/١٦٥٨).

واستدل بقوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١).

على أن اللعان داخل في السباب.

والشتم داخل في السباب كذلك:

لقوله ﷺ في ألفاظ الحديث السالف^(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟

قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

فاعتبر الشتم سباباً.

وإن كان اللعان أبلغ في القبح من السب، والله أعلم.

وقد يطلق السبُّ أو الشتم أحياناً ويُراد به القذف:

وهو أن يرمي الرجل بالزنى في معرض التعيير.

وقد فرّق بينهما في الحديث، فقال ﷺ: «... وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ

هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا...»

الحديث^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٧٩٣)، وسيأتي الحديث.

(٢) وقد أخرجه مسلم (٩٠).

(٣) والحديث في «صحيح مسلم» (٢٥٨١).

وتلخيص ألفاظ السباب :

تقدم أن ما يعده العُرف أنه سباب فهو سباب .

فكلمة: يا كافر، يا فاسق، يا سارق، يا منافق، يا فاجر، يا خبيث،
يا أعور، يا أقطع، يا أعمى، . . . يا نمام، هذا يعتبر سباباً^(١)، وأما ما
تقدم من قول قتادة لعاصم الأحول: «يا أحول . . .» ويزجره لكونه يدافع عن
عمرو بن عبید المبتدع لخيرٍ رآه فيه، فهذا ليس بسباب؛ لأنه وقع ممن زجره
يُحتمل، ويزجر محبةً وتأديباً وتعليماً لعدم ثنائه على المنحرف .

ولا حدّ فيه ولكن قائله يُعزّر إن لم يكن مُحققاً .

لكن هناك سبابٌ فيه حدٌّ كما لو قذف إنسان آخر (رماه بالزنى)، ففيه حدٌّ

القذف .

ولو قذف نبياً أو سبّه ففيه حد الرّدة، كما بيناه في موطنه، واللّه أعلم^(٢) .

وأما تلخيص أحكام السباب :

فالناظر يجد أن السباب تدور عليه الأحكام التكليفية الآتية: الحرمة،

والكراهة، وخلاف الأولى، والجواز وسباب واجب خمسة أنواع .

أولاً: الحرمة: وهي ظاهرة، كما لو سبّ المسلم أخاه بغير موجب أو

(١) بنحوه قال ابن قدامة في «المغني» (٨٧/٩) .

(٢) والسب المقتضي للتعزير أو الحد يثبت بشهادة رجلين كبقية الدعاوى، أو انتشار ذلك عند جماعة من الناس - لفيف منهم - حتى يُستغنى بهذا اللفيف عن العدالة، وإذا أراد القاضي تحليفه وأبى فيحكم عليه بالنكول - أي: امتناعه من الحلف -، والمسألة مبسوطة في كتب «الدعاوى» و«الحدود» في كتب الفقه .

سببٍ يقتضي سببه أو سبب الوالدين أو الديك .

ونحو ذلك ، وقد قال ﷺ : « لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ »^(١) .

ثانياً: الكراهة: كسب الحمى .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ، وسيأتي التفصيل في حكم سبها .

ثالثاً: خلاف الأولى :

كسب من سب ، من باب القصاص والاعتداء بالمثل .

وقد قال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ

خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٦-١٢٧] .

رابعاً: الجواز :

كما في لعن الجار المؤذي ، وبعض أصحاب المعاصي الذين لعنهم رسول الله ﷺ ، وشتمهم ، كمن غير منار الأرض ، ومن آوى محدثاً ، والنامصة ، والمتنمصة ، والعاصي المستحق للسباب .

ولذلك سيأتي أن رسول الله ﷺ سب من سبقاه إلى بئر بنبوك .

ويأتي - إن شاء الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما سب من اعترض عليه في فعلٍ

بغير علم .

وقد قال ﷺ لرجلٍ أخطأ : « لا أمَّ لك » وهي كلمة تدخل في السباب ،

بمعنى أنت لقيط لا تعرف لك أم .

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٧١٥) متصلاً ، و(١٠٧١٦) مرسلًا ، وصححه

ابن أبي حاتم في «العلل» (٢٥٥٩) وصححه غيره .

وأقره أبو هريرة رضي الله عنه .

وهي كلمة صفة عمّة رسول الله ﷺ لولدها الزبير رضي الله عنه ، وهو يُرجعها يوم أحد حتى لا تُشرف على القتلى وقد مُثل بأخيها حمزة رضي الله عنه . قالت له : لا أمّ لك ، كما خرجته في كتابي «صحيح السيرة النبوية» .

خامساً: سباب واجب: كسباب اليهود والنصارى.

فإن الله سبهم ولعنهم ، ورسول الله ﷺ ، والمتابعة واجبة في هذا ، وقد يكون التلفظ بذلك غير واجب ، لكن اعتقاد ذلك واجب ، والله أعلم .
ويُمتنع منه : إذا كان ذريعة لمنهي عنه ، كما لو كان سبهم يؤول لسبّ الله أو الرسول أو القرآن .

أما إذا لم يكن ؛ فقد وقع السباب من الصحابة للمشركين واليهود وخفضهم رسول الله ﷺ ، يوم أن مر عليهم ، وإنما نهى عنه للعلة المذكورة وهي قوله تعالى : ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] .
فحينما مرّ رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبيّ .

فإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تُعْبَرُوا عَلَيْنَا ، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ ، فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنُ سَلُولَ : أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا ، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ

فَأَقْضُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعَشْنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَنَاقَرُونَ فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا... الحديث^(١).

وذلك للمصلحة خففهم خشية المفسدة وتفاقم الأمر.

تنبيه:

تقدم ذكر تحريم سباب المسلم بغير سبب شرعي، فإن كان بسبب شرعي فلا بأس.

وقد أقر رسول الله ﷺ لعن بعض المسلمين لإيذاء لجيرانهم، كما بينته في كتابي «فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه».

وسبب بعض الصحابة أناساً،

وكذا الأئمة،

فلا بد من حمل قوله ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» على ما لم يكن سبباً شرعياً، فإذا كان بسبب شرعي فلا بأس.

كأن يكون مبتدعاً يُحذَرُ منه أو من فعله، أو ما شابه ذلك. وبذلك تجتمع الأدلة.

وقد سكت عائشة رضي الله عنها لما ذكرت أم مسطح لها سبب سبها لمسطح، وقد كانت عائشة رضي الله عنها أنكرت قبلُ عليها سببه فقالت: «أَتَسْبِينِ رَجُلًا شَهَدَ بَدْرًا؟»، كما في حديث الإفك.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٦٦)، ومسلم (١٧٩٨).

قال الخطابي^(١):

«سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» هذا فيمن سبَّ رجلاً بغير تأويل». اهـ

قلت (محمد):

ولذلك لما قال عمر في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ»، وفي رواية: «إِنَّهُ كَفَرَ»، لم يعنّفه النبي ﷺ بأكثر من قوله له: «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟.. لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ - أَوْ - فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(٢).

فبرأه رسول الله ﷺ من النفاق، وعذر عمر ﷺ فيما تناوله به من ذلك القول، إذ كان الفعل الذي جرى منه مضاهياً لأفعال المنافقين الذين يكيّدون لرسول الله ﷺ، ويعاونون عليه الكفار.

وكذلك قصة معاذ بن جبل ﷺ حينما قال عن الرجل الذي اعتزل الصلاة، وصلى وحده، فقال معاذ: «إِنَّ هَذَا بِهِ لِنِفَاقٌ»، فعذره رسول الله ﷺ في ذلك بعد أن قال له: «أَفَتَأْنُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟»، وأمره بتخفيف الصلاة إذا كان إماماً^(٣).

وكذا قول أسيد بن حضير إن رأى سعد بن عبادة دافع عن عبد الله بن أبي ابن سلول قال أسيد: «إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ...»^(٤)، ولم ينكر ﷺ. فهذا يؤيد الجواز لسبب

(١) «أعلام الحديث» (١/١٧٦).

(٢) وحديثه في صحيح البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) وهو حديث صحيح، أخرجه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥).

(٤) والحديث بذلك في «صحيح البخاري» (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

فلا يفسق الفسق المذكور في الحديث من يفعل هذا تأوُّلاً .
وعذر التأويل واسع ، والله الموفق .

قال البسام في «توضيح الأحكام»^(١) في تحريم السباب في الحديث :
«المراد هنا : تحريم سباب المسلم المستور الذي ظاهره العدالة ،
وأما الذي خلع جلباب الحياء وجاهر بالمعاصي ، فهذا لا غيبة له ،
ولا لسبابه حرمة ، فقد قال رسول الله ﷺ : «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى
إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»^(٢) ، وهم الذين جاهروا بمعاصيهم فهتكوا ما ستر الله
عليهم» . اهـ

وسياتي مزيد في التعليق على وقوع السباب من النبي ﷺ غير مرة ،
ومن الصحابة عند ذكره مفصلاً إن شاء الله .

(١) «توضيح الأحكام» (٧/٤١٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠٦٩) ، ومسلم (٢٩٩٠) .

سباب ليس منهيًا عنه

هناك سباب وقع بين الصحابة وليس من الباب .

فمن ذلك :

* قول ابن عمر لولده بلال لما أخبره بحديث رسول الله ﷺ :
«لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَ كُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا» ، وَقَالَ بِلَالٌ وَلَدُهُ :
«وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ» . قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَسَبَّهُ
سَبًّا سَيِّئًا . مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ . وَقَالَ : «أَخْبِرْكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَتَقُولُ : وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ؟!»^(١) .

* وقول أبي بكر لما أهمل ولده عبد الرحمن حق الأضياف - فيما بدا
لأبي بكر - ، فغضب أبو بكر فسبَّ وجدَّع وحلف ألا يطعمه .
قال عبد الرحمن : «فَاخْتَبَأْتُ أَنَا ، فَقَالَ : يَا غُنْثَرُ»^(٢) .

وغنثر : كلمة شتم ؛ أي : يا جاهل ، أو أحمق ، أو ثقيل ، أو سفیه ، أو
لئيم .

قال ذلك تحقيرًا له وتصغيرًا له^(٣) .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٤٤٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦١٤٠) .

(٣) وقد قال الحافظ في «الفتح» (٧٢٩/٦) شرح حديث رقم (٣٥٨١) في فوائد
الحديث : «فيه جواز سبِّ الوالد للولد على وجه التأديب ، والتمرين على أعمال
الخير وتعاطيه» . اهـ

* وقول العباس رضي الله عنه - أثناء خصومته لعلي بن أبي طالب - ، قال
لعمر بن الخطاب :

«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ
الْخَائِنِ»^(١) .

ومن ذلك :

سبُّ عمارٍ لعثمان أو شتمه^(٢) .

فإن ذلك إنما حصل من جهة الإدلال من الرجل -العباس - على
ابن أخيه -علي رضي الله عنه - ، فإنه ينزل منزلة ابنه ، ثم هو قد قال ما لا يعتقده ،
وما يُعلم ويعلم هو براءة ذمته منه .

أو من باب القريب الذي له الإدلال على قريبه لمكانته عنده ، مثال ما
وقع من عمار لعثمان رضي الله عنه .

وقد يكون أراد أن يردعه عما يعتقد أنه مخطئ فيه .

ولا بد من هذا التأويل .

ولذلك سمع الصحابة ذلك وما أنكروا على العباس ولا على عمار ،
ولا على أبي بكر رضي الله على الجميع

(١) وهذا في «صحيح مسلم» (١٧٥٧) .

(٢) وهذا أخرجه ابن سعد (٣/٢٦٠) ، وعبد الله في «زوائد المسند» (٤/٧٦) بسندٍ
حسن . في قصة قتل أبي الغادية لعمار رضي الله عنه .

وقد ذكرتها بتمامها وعلقت عليها بما لا مزيد عليه في كتابي «نصح الحكام علانية
بين الغلو والتفريط» فالحمد لله .

فلم ينكر عليهم أحد من الصحابة بدعوى أنه سبَّ مسلماً مؤمناً .
ولكل منهم فضل يُضاف إلى فضل الصحبة ، ولم يكن من أحدٍ منهم في
حقيقة الأمر خطأ لمن تأمل سياق أحاديثهم فلهم أعدار .
فلا يُعد ما حصل من هؤلاء الصحابة من الفسق الذي هو الخروج عن
الطاعة . . .

وسياتي مفصلاً مزيد لهذا الفصل في تبرئة الصحابة من توهم السباب
بينهم ، إن شاء الله .

عقوبة المستبئين

من تسبب في السباب أولاً كان إثم المستبين عليه، لقول رسول الله ﷺ: «إِثْمُ الْمُسْتَبِيِّنِ مَا قَالَا عَلَى الْبَادِي حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومَ»، أو «إِلَّا أَنْ يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومَ»^(١).

وفي هذا تحرُّز عن البداءة بسباب المسلم لأخيه المسلم، وحث على احترام المسلم للمسلم.

وفي هذا عدم تحريم سباب المسلم ردًّا على المبتدئ بالسباب، لقوله ﷺ: «عَلَى الْبَادِي»،

فلا لوم على من أجاب بسباب على من بدأ بالسبِّ، وإن كان الأولى عدم الرد، لعموم قوله: ﴿وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، والله أعلم.

فيجوز للمسبوب أن يجيب بسبِّ من ابتدأه بشرط أن لا يعتدي، ولا يكون ما سبَّ به كذباً، أو قذفاً، ولا يكون سبباً لإتلافه.

فمن صور الجائز: أن يقول له: يا ظالم، أو يا أحمق، أو يا جافي، أو نحو ذلك مما لا يكاد أحدٌ ينفك من هذه الأوصاف ولا خلاف في جواز الانتصار لمن ظلم، وقد تظاهرت عليه الأدلة من الكتاب والسنة...

(١) أخرجه أحمد (٤/١٦٢) بسندٍ صحيح.

قال العلماء :

«وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته، وبرئ الأول من حقه وبقي عليه إثم الابتداء، والإثم المستحق لله تعالى، وقيل: يرتفع عنه الإثم، ويكون على البادئ اللوم والذم لا الإثم»^(١).

تنبيه:

«لا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سُب به ما لم يكن كذباً أو قذفاً أو سباً لإسلامه.

فمن صور المباح: أن ينتصر ب: يا ظالم، يا أحمر، أو جافي، أو نحو ذلك؛ لأنه لا يكاد أحد ينفك من هذه الأوصاف.

قالوا: وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته، وبرئ الأول من حقه، وبقي عليه إثم الابتداء أو الإثم المستحق لله تعالى.

وقيل: يرتفع عنه جميع الإثم بالانتصار منه، ويكون بمعنى البادئ أي عليه اللوم والذم لا الإثم»^(٢).

وهناك ألفاظ يستعملها أهل العلم عند الردود على المخالف لا تدخل في السباب ولا في بذاءة القول، إنما هي محمولة على شدة الغيرة على الدين، والغيرة على سنة رسوله ﷺ، وخوفاً منهم على العوام من الإضلال أو الانحراف، فلا يُستنكر استعمالها من أهل العلم،

(١) «البدر التمام شرح بلوغ المرام» (٢٧٩/١٠) للإمام المغربي المتوفى سنة (١١١٩هـ)، و«سبل السلام».

(٢) «شرح النووي» (١٤١/١٦).

فلا ينسبون إلى البذاءة أو سباب المخالفين لهم^(١).
لأن مقصودهم - في الظاهر - التنفير من البدع والمحدثات والأهواء
وأهلها .

وسياتي - قريباً - طرفٌ مما ورد عن العلماء من ألفاظ قد لا يستسيغها
المخالف لكونها فيمن يحبه ويتعصب له فيندفع خالطاً بين سماحة الإسلام
وحسن خلق أهله ، وبين الشدة والغلظة والقسوة على من هو أهلٌ لذلك .
وفي هذا :

يقول ابن زنين المتوفى سنة (٣٩٩هـ) :

«لم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة ، وينهون عن
مجالستهم ، ويخوفون فتنتهم ، ويخبرون بخلاقهم ، ولا يرون ذلك غيبة
لهم ولا طعناً عليهم» . اهـ

وهذا مما لا نزاع فيه متفق عليه ، حكى الاتفاق على نحو ذلك
الصابوني في «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» ، وابن قدامة في
«الاعتقاد» ، وأبو المظفر السمعاني ، والشاطبي في «الاعتصام» ، وشيخ
الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ، والبغوي في «شرح السنة»
وأيضاً أبو الحسن الأشعري في «رسالته لأهل الثغر» ، والسيوطي في

(١) وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه القيم «الفرق بين النصيحة والتعبير»
(ص ٩) كما تقدم : «من عرف منه أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ورسوله ،
فإنه يجب أن يُعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر أئمة المسلمين الذين سبق
ذكرهم» . اهـ

«تنوير الحوالك» دونت أقوالهم في غير هذا الموطن .

ويقول ابن القيم :

«ومن هذا^(١) : طعن ورثة الأنبياء وأهل السنة في أهل الأهواء والبدع لله ، لا لحظوظهم وأغراضهم» . اهـ
ولكل مقام مقال .

ويبين هذا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ فِي «الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب» حيث قال :

«الخلاصة :

أن الشريعة الكاملة جاءت باللين في محله والشدة في محلها ، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك ، ولا يجوز أيضاً أن يوضع اللين في محل الشدة ، ولا الشدة في محل اللين ، ولا ينبغي أيضاً أن يُنسب إلى الشريعة أنها جاءت باللين فقط ، ولا أنها جاءت بالشدة فقط ؛ بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ، والإصلاح لكل أمة ، ولذلك جاءت بالأمرين معاً»^(٢) .

وما أحسن ما قاله الشاعر في هذا المعنى :

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يُجَبْ وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

(١) يعني : جواز الطعن على بعض الأشخاص .

(٢) «فتاوى الشيخ ابن باز» (٣/٢٠٤) ، وذكر لذلك أمثلة في (٢٧/٤١٩) . وانظر :

«الدرر السننية في الأجوبة النجدية» (١٦/١٣٤) .

فَلَمَّا دَعَا وَالسَّيْفُ سَلَطَ بِكَفِّهِ لَهُ أَسْلَمُوا وَاسْتَسَلَمُوا وَأَنَابُوا^(١).
وفي كتاب الله:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا فٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ
ٱلْغٰوِبِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ ءَآخَذَ إِلَى ٱلْأَرْضِ فٱتَّبَعَ هُوَ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ ٱلْكَلبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

هذا مثل لمن ترك العلم بالكتاب والسنة واتبع الهوى فشبهه بأخس
الحيوانات^(٢).

وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْجَمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

وهذه ألفاظ شديدة من رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في زجر
المخالف لا تدخل في السباب المحرم:

الأول: قول أبي بن كعب رضي الله عنه:

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا اعْتَزَى أَحَدُهُمْ بِعِزِّ ٱلْجَاهِلِيَّةِ

(١) نسبه الشيخ ابن باز في «مجموع فتاويه» (٣/ ١٨٤) لحسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) وأخطأ من زعم أن وصف الإنسان بالكلب لا يصح وهو من البذاءة؛ لأن الله لم
يصف به إلا الكافر.

والصواب: أن المسلم موصوف بذلك، كما في وصف الخوارج، قال رضي الله عنه: «كَلَابِ
النَّارِ»- على قول لم من يكفرهم وهو الراجح-، وكذا قول الصحابة رضي الله عنهم عن
الخوارج، وأكثر أهل العلم على أن الخوارج فساق غير كفار.
وسياأتي التنبيه على نحو هذا في مقامه إن شاء الله.

فَأَعِضُوهُ بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا»^(١).

والهن: اسم من أسماء الذكور (العورة).

وأخرج أحمد (٢١٢١٨)، والنسائي بإسناد صحيح:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا اعْتَرَى^(٢) فَأَعَضَّهُ أَبِيٌّ بِهَنْ أَبِيهِ.

فَقَالُوا: مَا كُنْتَ فَحَاشًا!»^(٣).

قَالَ: إِنَّا أُمِرْنَا بِذَلِكَ»^(٤).

ومعنى (عضوه)؛ أي: اشموه وقوله له: «اعضض بهن أبيك أو

بذكره»، وصرحوا بلفظ الذكر.

ومعنى قوله: «لَا تَكُنُوا» أي: اشموه صريحًا، لا تُكنوا عن الأير

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٨١٤) وغيره، وهو ثابت.

(٢) يعني بعزاء الجاهلية، يعني ينسب آباءه على طريق الافتخار دون أن يكون مراده

التعريف، وقد ذكر الطبري في «تهذيب الآثار» الجزء المفقود (ص ٣١): أن

التعزي بعزاء الجاهلية أن ينادى من ركب بظلم: يال بني فلان، كما قال الشاعر:

فلما التقت فرساننا ورجالهم دَعَوْا: يا لكعب واعتزينا بعامر.

(٣) ويبدو أن المفاهيم المغلوطة كانت قديمًا!!

(٤) وفي رواية أحمد (٢١٢٣٣) من طريق آخر عن أبي بن كعب رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا اعْتَرَى بِعِزَاءِ

الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضَّهُ وَلَمْ يُكْنِهِ فَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِلْقَوْمِ: إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي

أَنْفُسِكُمْ، إِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ أَقُولَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَمَرَنَا إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ

يَعْتَرِي بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ وَلَا تَكُنُوا».

وقد أخرج ابن أبي شيبة (٤٥٦/٧) بسند من طريق أبي مجلز عن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه قال: «مَنْ اعْتَرَى بِالْقَبَائِلِ فَأَعِضُوهُ أَوْ فَاْمُضُوهُ»، ولكن روايته عن عمر مرسلة.

بالهن ، تنكيلاً له وتأديباً ، قولوا له : عُضَّ أَيْرَ أَبِيكَ .

والهن : كناية عما يُستقبح وهو عورة الرجل والمرأة^(١) .

ولا تنسَ وصف رسول الله ﷺ الذي ذكره أنس رضي الله عنه : «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا لَعَانًا وَلَا سَبَابًا كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ : «مَا لَهُ تَرَبَّ جَيْبِيهِ»^(٢)

فالذي أمر بذلك لم يكن فحاشًا ولا سبابًا فكلُّ في موطنه مدح .

الثاني : قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعروة بن مسعود الثقفي :

كما في «صحيح البخاري» في قصة صلح الحديبية حينما قال : «وَأِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : امْضُصْ بِبَطْرِ اللَّاتِ أَنْحُنْ نَفْرُ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟»^(٣) .

والبطر : الهنة التي تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان^(٤) .

العرب تقول هذا في موطن الدم ، وهذا واضح .

فكانوا إذا أرادوا ذمًا قالوا : «يا ابن مُقَطَّعَةِ البَطُّورِ» جمع بظر .

قال الحافظ :

«فيه - أي : الحديث - جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة

(١) انظر : «النهاية» لابن الأثير (٣/٢٥٢ ، ٥/١٩٤) وغيره من كتب الشروح .

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٦٠٤٦) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١) وغيره .

(٤) كما قال ابن الأثير (١/١٣٨) .

زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك»^(١).

وقال ابن القيم:

فيه دليل على جواز التصريح باسم العورة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال، كما أذن النبي ﷺ أن يصرح لمن ادعى دعوى الجاهلية بهن أبيه، ويقال له: اعضض أير أبيك، ولا يكني له، ولكل مقام مقال»^(٢).

الثالث: قوله ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

والاست: اسم من أسماء الدبر.

كذا عند استه لتزداد فضيحته، نعوذ بالله، فتلفظ رسول الله ﷺ بذكر اسم الدبر.

الرابع: ما أخرجه أحمد (١٥٧٢) بسند صحيح عن السائب بن يزيد:

«أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: «يَا عَائِشَةُ أَنْعَرِفِينَ هَذِهِ؟».

قَالَتْ: لَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ.

فَقَالَتْ: «هَذِهِ قَيْنَةُ بَنِي فُلَانٍ، تُحِبُّنِي أَنْ تُعَنِّيكَ؟».

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: فَأَعْطَاهَا طَبَقًا فَغَنَّتْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي

مَنْخَرَيْهَا»^(٤).

(١) «فتح الباري» (٥/ ٣٤٠).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٧١).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٣٨).

(٤) وهذا محمول على الغناء المباح مع الكراهة، لا الغناء المحرم ولا يتصور غير هذا.

الخامس: في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرَجِ، إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ؛ لِأَنَّ يَمْتَلِيَّ جَوْفَ رَجُلٍ قَيْحًا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا»^(١).

السادس: قوله ﷺ عن الخوارج من أهل البدع: «كِلَابُ النَّارِ، كِلَابُ النَّارِ».

وكذا وصفهم الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أبو أمامة^(٢)، فوصفهم بأبشع

= والطبق لا بأس به، فهو قريب من الدف، وهو جائز من الجواري. وقد تكون هذه الجارية صغيرة، وربما كانت في أيام عيد، أو عرس أو ما شابه ذلك مما يجوز الغناء وضرب الدفوف فيه، وليس فيه إباحة الغناء المحرم الذي حرمه رسول الله ﷺ في حديث آخر.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٥٩).

ومن ذلك: ما أورده الذهبي في «السير» (٩٤/٧) ترجمة منصور بن عمار، حكى: «قال ابن أبي شيبة: كنا عند ابن عيينة فسأله منصور بن عمار عن القرآن، فزبره، وأشار إليه بعكازة، فقليل: يا أبا محمد؛ إنه عابد، فقال: ما أراه إلا شيطاناً». لم يلتفت لمحاسنه لكونه كان مبتدعاً فتنبّه.

وحكى الذهبي في «الميزان» (٥٢/١) ترجمة إبراهيم بن الفضل الأصبهاني الحافظ أبو نصر البار المتهم بالكذب، قال معمر بن المفاخر: «رأيت في السوق، وقد روى مناكير بأسانيد الصحاح، وكنت أتأمله تأملاً مفرطاً أظن أن الشيطان تبدى على صورته». اهـ.

فقول أئمتنا مثل ذلك من ينبوع الوحي الذي جهله صاحب الهوى اليوم فيتكلم ويهرف بما لا يعرف فيضر والله المستعان.

(٢) راجع كتابي «مناصحة الخوارج».

الألفاظ الجارحة .

ولئن قيل : إن رسول الله ﷺ أو الصحابة لما ذكروا الخوارج فقالوا :
«كلاب النار» كذا ليس فيه تعيين لأحد فلا يجوز التعيين .

قيل : قد ورد التعيين لبعضهم بذلك على لسان بعض الصحابة :

فقد أخرج ابن الجعد في «الجعديات» ، وابن شبة في «تاريخ المدينة المنورة»^(١) بإسناد صحيح عن كنانة مولى صفية بنت حيي رضي الله عنها قال :
«كُنْتُ أَقُودُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حِيٍّ لِتَرُدَّ عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه ، فَلَقِيَهَا الْأَشْتَرُ^(٢)

= وفي هذا ردٌّ على بعض الجهلة بشير بن حسن التونسي ، الذي يدافع عن القرضاوي المنحرف الضال ، فَرَدَّ عَلَى كِتَابِ الشَّيْخِ مَقْبَلِ بْنِ هَادِي فِي الْقِرْضَاوِيِّ «إِسْكَاتِ الْكَلْبِ الْعَاوِيِّ» ، وَجَزَمَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَوْصَفْ بِالْكَلْبِ إِلَّا الْكَافِرُ ، وَاسْتَدَلَّ بِالآيَةِ : ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ !! .
فها هو رسول الله ﷺ وصف الخوارج أهل البدع بكلاب النار ، وكذا الصحابة ، فالله المستعان .

وللألباني كلام بنحوه يتعلق بعبد الرحيم الطحان ، وعبد الحميد كشك ، وغيرهما . وللعثيمين كلام في عبد الرحمن عبد الخالق -ذاك صاحب أبي إسحاق الحويني والحزبيين - واتهامه . فماذا؟! .

(١) «مسند ابن الجعد» (٢٦٦٦) ، و«تاريخ المدينة المنورة» (١٣١١ / ٤) لابن شبة .
(٢) هو مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي ، كان من المؤلِّبين على عثمان رضي الله عنه ، وإن كان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة شريفاً شجاعاً مقداماً ، ترجمته في «السير» (٣٤ / ٤) وغيرها ، وسأل مهنا الإمام أحمد عنه : أروى عنه الحديث؟ قال : لا ، كان شديداً يوم صفين ، لكنه بالطبع عند أصحاب الموازنات ممدوح .
وأخرج الخلال في «السنة» (٨٣٦) ، و«المنتخب من العلل» (ص ٢٤٠) بإسناد حسن : عن عبد الله بن سلمة قال : «دخلنا على عمر بن الخطاب معاشر من =

فَضْرَبَ وَجْهَ بَعْلَتِهَا حَتَّى مَالَتْ، فَقَالَتْ: رُدُّونِي لَا يَفْضَحْنِي هَذَا الْكَلْبُ
 قَالَ: فَوَضَعْتُ خَشَبًا بَيْنَ مَنْزِلِهَا وَبَيْنَ مَنْزِلِ عُثْمَانَ، يَنْقُلُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ
 وَالشَّرَابَ».

والحسن البصري قال حين خرج يزيد بن المهلب لما خرج على أميره
 فتبعه الناس:

«كلما نعر كلبٌ أو ديكٌ تبعتموه».

أخرجه البخاري في «تاريخه الأوسط» (١/ ٢٤٧) بسندٍ حسن.

وسمَّاه الحسن البصري يوماً عدو الله فقال:

«كلما نعر لهم ناعر اتبعوه، هذا عدو الله بن المهلب».

أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٨/ ٣٠٩) بسندٍ صحيح.

واستشهد الإمام أحمد بقول الحسن هذا كذا في «السنة» للخلال

(٨٥٤)، لم ينكر التعيين على الحسن بل احتج به.

فهل عُيِّن أم لا؟ ولكنهم أهل البدع يخافون على أعراضهم وجلودهم.

وفي قول أبي غالب: قال:

«لَمَّا أَتَيْتِ بَرءُوسِ الْأَزَارِقَةِ فَنُصِبَتْ عَلَيَّ دَرَجٌ دِمَشْقَ، جَاءَ أَبُو أَمَامَةَ فَلَمَّا

= مَذْحَجٌ، وَكُنْتُ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا، فَجَعَلَ عَمْرٌ يَنْظُرُ إِلَى الْأَشْتَرِ وَيَصْرِفُ بَصْرَهُ،

فَقَالَ: أَمْنُكُمْ هَذَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَا لَهُ قَاتِلَهُ اللَّهُ، كَفَى اللَّهُ أُمَّةَ

مُحَمَّدٍ شَرًّا، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَحْسَبُ أَنَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ يَوْمًا عَصِيْبًا».

اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى فِرَاسْتِهِ.

رَأَهُمْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: كِلَابُ النَّارِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، هُوَ لَاءِ شَرِّ قَتْلَى قُتِلُوا
تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ
هُوَ لَاءٌ...»^(١).

كَذَا عَيْنَهُمْ وَهُمْ أَمَامَهُ .

فَقَوْلُهُ لَهُمْ وَقَدْ نَصَبْتَ رِءُوسَهُمْ: «كِلَابُ النَّارِ . . .» دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ
التَّعْيِينِ لِبَعْضِ النَّاسِ بِتَشْبِيهِهِ بِالْكَلْبِ لِبُدْعَةِ هُوَ عَلَيْهَا، أَوْ لَخِصْلَةِ ذَمِيمَةٍ،
كَمَا فَعَلَتْ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَيَّنَ كَلْبًا مِنَ الْخَوَارِجِ بِأَنَّهُ
فِي النَّارِ فَيَقُولُ: «يَا كَلْبُ النَّارِ»، لِأَنَّ الْقَائِلَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَخْتَمُ لَهُ بِتَوْبَةٍ
فَيَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ .

السَّابِعُ: قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

«يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ
تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَيَأْيَاكُمْ وَإِيَاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»^(٢).
فَسَمَّاهُمْ ﷺ دَجَالِينَ .

الثَّامِنُ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قِصَّةِ فَتْحِ مَكَّةَ:

«تَرُونَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعَهُمْ»^(٣).

وَأَوْبَاشٌ مَعْنَاهُ أَخْلَاطٌ مِنَ السَّفَلَةِ .

(١) وهذا أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٦٣)، والترمذي (٣٠٠٠) وغيرهما بسندٍ يثبت إن شاء الله .

(٢) كما في «صحيح مسلم» (٧) .

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٠) .

وقد تقدم أن رسول الله ﷺ ما كان سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً ﷺ .
 ما كان يسب الآخرين أو يشتمهم ، فدل على أن شدة رسول الله ﷺ عند
 الرد أو البيان لا يجوز إطلاق السباب عليها ولا هي من الفحش والبذاءة في
 القول .

وفي صفة رسول الله ﷺ في التوراة: قوله تعالى: «سَمَّيْتُكَ الْمَتَوَكَّلَ
 لَيْسَ بِقَطٍّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا سَخَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالْسَيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ
 يَغْفِرُ وَيَغْفِرُ..»^(١) .

فالألفاظ الشديدة التي قالها ﷺ مع هذا الوصف له يدل على أنها
 لا بذاءة فيها ولا سباب ، وإنما هي من الشدة عند الرد أحياناً ، وفيها
 حكمة ، والله أعلم .

التاسع: لعن بعض الصحابة رضي الله عنهم كابن أبي أوفى الأزارقة - فرقة من
 الخوارج - فقال: «لَعَنَ اللَّهُ الْأَزَارِقَةَ» . وخرجته في كتابي «مناصحة
 الخوارج» .

العاشر: قول رسول الله ﷺ:

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغْرَبُونَ فِيهِ غَرْبَةً، يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ قَدْ مَرَجَتْ
 عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ .

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ؟

قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَدْعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبَلُونَ عَلَى أَمْرِ

(١) كما في «صحيح البخاري» (٢١٢٥) .

خَاصَّتِكُمْ، وَتَدْعُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»^(١).

الحادي عشر: في «صحيح البخاري»:

قوله ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ

بِهَذَا؟»^(٢).

وبوّب البخاري له بباب: «إِذَا بَقِيَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ»^(٣).

الثاني عشر: قوله رسول الله ﷺ:

«إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأُيُمَّةَ الْمُضِلِّينَ»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ حينما سأله حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الشرِّ بعد الخير فقال:

«نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»^(٥).

وقال ﷺ عند غياب العلماء بقبضهم:

«اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا

وَأَضَلُّوا»^(٦).

(١) وبنحوه في رواية أحمد (٧٠٤٩) بإسنادٍ حسن، وله شواهد.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠)، وفي رواية (٤١٥٦): «يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ،

وَتَبَقِيَ حُثَالَةٌ (بالفاء) كَحُفَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شَيْئًا».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٢٩) وغيره بسندٍ صحيح، وهي عند أبي داود (٤٢٥٢)،

وخرجتها في كتابي «الفوائد النيرة» برقم (١٣١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

(٥) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

فسماهم جهالاً ، وضُلاًّلاً .

الثالث عشر: وقد وصف النبي ﷺ المبطل الذي يقول الشعر لدحض ما قال رسول الله ﷺ بالرأي والاعتراض على ما حكم به ﷺ بقوله ﷺ: «هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»^(١).

من أجل سجعه الباطل .

الرابع عشر: وقال رسول الله ﷺ عن الخوارج - وهم من بني آدم -: «شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» .

والخليفة: قيل: هم البهائم .

وأحاديثهم خرجتها كلها في «تحقيقي للبداية والنهاية»، و«مناصحة الخوارج» .

(١) حينما اعترض على قضاء رسول الله ﷺ بأن دية الجنين غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أُمَّةٌ، وقال: «يا رسول الله كَيْفَ أَغْرَمَ مَنْ لَا أَكَلَ، وَلَا شَرِبَ، وَلَا نَطَقَ، وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلَّ»، فقال رسول الله ﷺ فذكره .
أخرجه البخاري (٥٧٥٨)، ومسلم (١٦٨١) .

شدة الإنكار على المخالف بألفاظ مستبشعة غير داخل في السباب المحرم إذا كان الالفاظ محققاً

* لقد تلفظ الصحابة بألفاظ فيها شدة عند ردِّهم على المخالفين .

- فرسول الله ﷺ يقول لرجلٍ ينصحه على الملاء ، وقد كان الرجل خطيب القوم - وحسبك بمكانته ﷺ - ، قال له لخطأٍ أخطأ فيه لم يقصد ما قد يفهم من قوله .

قال رسول الله ﷺ : « بئسَ الخطيبُ أنتَ »^(١) .

- وتقدم شدة ابن عمر ﷺ على ولده حينما أظهر اعتراضاً ، وشدة أبي بكر على ولده حينما تخلف عن إكرام الأضياف .

- وَصَلَّى جَابِرٌ فِي إِزَارٍ قَدْ عَقَدَهُ مِنْ قَبْلِ قَفَاهُ وَثِيَابُهُ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْمَشْجَبِ^(٢) .

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : تُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ؟

فَقَالَ : إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ لِيرَانِي أَحْمَقُ مِثْلِكَ وَأَيُّنَا كَانَ لَهُ ثُوبَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ^(٣) .

فكلما نظرت في السنة ، والآثار الواردة عن سلف الأمة عند ردودهم

(١) كما في «صحيح مسلم» (٨٧٠) .

(٢) المشجب : هو عيدان تربط رؤوسها وتفرق قوائمها تعلق عليه الثياب .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٢) .

على المخالف، تجد شدة واضحة جليّة، فالذين ينكرون الشدة على المخالف عند الرد هم في حاجة للتعرف على منهج السلف والعلماء في الردود، للعلم بفقته ذلك ولا يكون هذا إلا بمزيد من طلب العلم حتى يكون المرء على نهج سلف الأمة بدلاً من أن يدعيه وهو ينكر أصوله لجهله، ولكن كما تقدم: لكل مقام مقال، الشدة لها موطنها، واللين له موطنه، وليس هنا محل الإسهاب في بيان ذلك، إنما تجده في أبواب الأمر بالمعروف ومباحثه مبثوثة، من طلبها وجدها، والله الموفق.

فالشدة على المخالف بألفاظ شديدة من منهج أهل السنة لا ينكرها إلا جاهل.

* وقد قال غير واحدٍ من الصحابة وقت الإنكار بشدة: «أخطأت استك الحفرة».

- فعن نعيم بن دجاجة الأسدي قال:

كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ فَقَالَ لَهُ: يَا فَرُّوخُ أَنْتَ الْقَائِلُ: لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرِفُ، أَخْطَأْتُ اسْتِكَ الْحُفْرَةَ؟

إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرِفُ مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ، وَإِنَّمَا رَخَاءُ هَذِهِ وَفَرَجُهَا بَعْدَ الْمِائَةِ»^(١).

فقوله: يا فروخ: أي يا صغير.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١١٨٧)، وفي «فضائل الصحابة» (١٢٣٥) وغيره.

- ولما قال عطاء بن السائب: سمعت عبد الرحمن الحضرمي أيام ابن الأشعث يخطب وهو يقول:

يا أهل الشام، أبشروا، فإن فلاناً أخبرني أن رسول الله ﷺ قال: «يَكُونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ أُمَّتِي يُعْطُونَ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا يُعْطَى أَوْلَهُمْ، يُقَاتِلُونَ أَهْلَ الْفِتَنِ، يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»، وأنتم هم.

فقال له أبو البخترى - وهو من فقهاء التابعين -:

«أَخْطَأْتُ اسْتِكَ الْحُفْرَةَ»^(١).

وهذا كثير تجده في ردود العلماء على المخطئين:

من ذلك: ما حكاه المدائني قال:

بعث يزيد بن معاوية الضحاك بن قيس ليأخذ بيعة ابن الزبير، فأبى أن يبايع، فقال الضحاك: إنك إن لم تبايع طائعاً بايعت كارهاً.

فقال ابن الزبير: إنك يا ثعلبة بن ثعلبة تيس بحيرة - يشبهه بابن الناقة - تبيع الضربة بالقبضة، أردت الحفحة - أي: السير الشديد - فأخطأت استك الحفرة^(٢)،

كأنه يتهمه بالتسرّع.

ومنه: قول حذيفة لرجل استأذن عليه فأدخل رأسه.

فقال حذيفة رضي الله عنه: «قد أدخلت رأسك فأدخل استك»^(٣).

(١) أخرجه مسدد كما في «المطالب العالية» (٤٤٧٦).

(٢) كما في «الأنساب» للبلاذري (٣٥٢/٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٥/٥)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٢٨١) بإسناد حسن، لولا عنعنة أبي إسحاق السبيعي.

وهذا كثير في ثنايا كلام أهل العلم تجده في الكتب .

بل ورد عن عليٍّ رضي الله عنه قوله : « اقشعرت شعيرات استك »^(١) .

فهل كل هؤلاء عندهم فظاظة أو كانوا سبابين ، وشتامين ، وأصحاب بذائة ، حينما تكلموا بهذه الألفاظ في ردودهم على المخالفين؟! ^(٢) .

(١) كما عند الطبراني في «الكبير» (٦٥١) (١/٢٣٧)، وفي سنده ضعف .

(٢) والعجيب : أن أهل البدع اليوم الذين يتهمون أهل السنة بأنهم سبابة وشتامة ، لكونهم يشددون في ألفاظهم على المخالف -والظاهر: غيرة على الدين- ، لا يغارون حينما يرون التشريد والتهجير وخراب الدول وفساد العقائد وحيرة القوم بسبب المردود عليهم ، كذلك لا يرون شدة أهل البدع على أهل السنة -وهي ليست في محلها- حينما يصفون من يخالفهم -وهم أهل حق- بـ(أصحاب قرون- وتربوا في زريبة- وأنهم خونة وعملاء وعبدة طاغوت- وحمقى- وأصحاب جليظة، و...)، لا يرون هذا سباباً ، ولا عجب ، فالهوى والتعصب يفعل في أهله أكثر من هذا!! .

إنه يعمي ويصم .

سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ، كذا الكيل بمكيالين ، ورحمة الله على الإنصاف . حتى لو قال مثل أبي إسحاق الحويني -الذي يتعصبون له- قبل تلونه- بجواز الشدة على المخالف ولو بالألفاظ الشديدة، فقد قال قديماً :

«لم يختلف أهل العلم في جواز الشدة على المخالف إذا كان للمخالف حشمة وكلمة مسموعة ، وكان في بعض فتاويه ما يهدر حدًّا من حدود الله ، أو يجري العوام على حدود الله ، أنهم أجازوا أن نتكلم فيه بكلام شديد» .

كذا يقول ، فراجع مقطعاً بالصوت والصورة «الرد العلمي المفحم على كل من اتهم العلامة رسلان بأنه سباب وشتام» الدقيقة (٣٢) .

وخذ لقوله دليلين من أدلة ما ذكرته :

=

ومما ورد عن الصحابة من شدة على المخالف عند الرد:

قول العباس لعمر بن الخطاب عن علي بن أبي طالب:

«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَفْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ».

قال ذلك على وجه الإدلال على علي بن أبي طالب ابن أخيه، أراد العباس ردع علي رضي الله عنه عما يعتقد أنه مخطئ فيه .
والشاهد: الشدة على المخالف عند الرد .

وتقدم شدة أبي بكر على ولده والأضياف ودعاؤه على ولده:

«يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ»، وقوله للأضياف: «كُلُّوا لَا هَنِيئًا» من شدة غيظه دعا بالجدع - قطع الأنف - هذا في الرد عند المخالفة .
فعلام يُنكر على من يُشدّد بنحو من هذا فيما هو أخطر من التقصير في حق الأضياف وغيره .

* وقال معاوية رضي الله عنه لعمر بن العاص لما حكى عبد الله بن عمرو اعتراضاً على من قتل أعمار بن ياسر، وجاءا يختصمان كلُّ يدعي أنه هو الذي قتله .

= - شدة النبي صلى الله عليه وسلم على أسامة حينما أراد أن يشفع في حدٍّ من حدود الله، في المرأة المخزومية التي سرقت . وهو في «صحيح مسلم» .
- وكذلك رده على الخطيب الذي أخطأ على الملائم خطأً لم يقصده فقال له: «بِسِّ الْخَطِيبِ أَنْتَ...» . والأدلة كثيرة تأتي في موطنها .

فقال عبد الله بن عمرو: «لِيَطْبُ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِيَصَاحِبِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ»، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا تُغْنِي عَنَّا مَجْنُونُكَ يَا عَمْرُو، فَمَا بِأَلْكَ مَعَنَا...» الأثر^(١).

وهذه شدة عند الرد بصرف النظر عن مسألة تصويب رأي معاوية رضي الله عنه من تخطئته في قوله، لكن وجه الشاهد: أنه شدد عليه عند الرد عليه - فلا إنكار للشدة عند الرد-.

وإنما محل النزاع: هل يستحق عبد الله بن عمرو هذا الزجر والشدة عند الرد أم هو محق فيما يقول؟! هذا محل النزاع فلا يذهب الذاهب بعيداً.

* وكذلك قول أبان بن سعيد بن العاص في رده على أبي هريرة:

«أَنْتَ بِهَذَا يَا وَبْرٌ تَحَدَّرَ مِنْ رَأْسِ ضَاْنٍ»^(٢).

كأنه ينسب أبا هريرة إلى قلة القدرة على القتال تحقيراً له، كأنه ليس له

(١) أخرجه أحمد (٦٩٢٩) وغيره بإسناد صحيح.

(٢) ولفظ أبي داود (٢٧٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَانَ بْنَ الْعَاصِ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ نَجْدٍ، فَقَدِمَ أَبَانُ بْنُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا، وَإِنَّ حُزْمَ خَيْلِهِمْ لَيْفٌ، فَقَالَ أَبَانُ: أَقْسِمُ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: لَا تَقْسِمُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبَانُ: أَنْتَ بِهَا يَا وَبْرٌ تَحَدَّرُ عَلَيْنَا مِنْ رَأْسِ ضَاْنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْلِسْ يَا أَبَانُ»، وَلَمْ يَقْسِمْ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وإسناده حسن من هذا الوجه، وله طريق آخر: أخرجه البيهقي (٥٤٣/٦) بإسناد آخر عن أبي هريرة.

فبه يصح السند بالقصة، والله أعلم.

في الحرب، وكان رسول الله ﷺ كره ما قال أبان لأبي هريرة فقال له: «اجلس يا أبان».

وسبب ذلك: أن أبان بن سعيد قد قتل النعمان بن قوقل رضي الله عنه، وكان أبان يومها كافرًا، فهو ينكر على أبي هريرة: وكان أبان يقول: ماذا في رجل مات شهيدًا على يدي، وأبان أسلم بعد^(١). ولم يهن الله أبانا على يديه فيقتل كافرًا.

كما هو مصرح به في رواية البخاري^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحُوهَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْهَمَ لِي.

فَقَالَ بَعْضُ بَنِي سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: لَا تُسْهِمَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.
فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَلٍ.
فَقَالَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: وَاعْجَبًا لَوْ بَرَّ تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قُدُومِ ضَأْنٍ يَنْعَى عَلَيَّ قَتَلَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ وَلَمْ يُهْنِي عَلَى يَدَيْهِ.
قَالَ: فَلَا أُدْرِي أَسْهَمَ لَهُ أَمْ لَمْ يُسْهِمَ لَهُ.

(١) وحق هذا أن يكون من باب قوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُقْتَلُ هَذَا فَيَلْجُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْآخَرَ فَيَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَسْتَشْهَدُ».

أخرجه مسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه نفسه.

(٢) برقم (٢٨٢٧).

* وكذلك قول كثير من الصحابة: «كَذَبَ فُلَانٌ».

* قالها ابن عمر للحجاج: «كَذَبْتَ، كَذَبْتَ، كَذَبْتَ»، لما ادَّعى أن ابن الزبير رضي الله عنه حرَّف كتاب الله.

* وكذا قالها ابن عباس لما أُخبر أن نوفًا البكالي يزعم أن موسى عليه السلام صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنه: «كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ»

أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٣٨٠).

* وكذا قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ بِنُ بَعَكَكَ»،

يعني: أخطأ، وذلك لما ادعى أن سبيعة لا يصلح أن تتزوج حتى تعتد أربعة أشهر وعشرًا (آخر الأجلين)، وقد وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليالٍ، كما بينته في «تبصير النساء»، وإن كان السند بهذا اللفظ فيه مقال. وأصل القصة في «الصحيحين» بغير ذكر قوله: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ».

وعلى كلِّ:

هذا طرف من شدة الصحابة في الردود على المخالفين.

وما نسبهم أحدٌ إلى السباب، ولا إلى الفظاظ، ولا إلى بذاءة اللسان، ولكن ما للملبِّسين وهؤلاء السلف، إن هي إلا دعوى في انتسابهم إليهم، والله المستعان.

ومن ذلك: ما ورد عن الأزرق بن قيس الحراني قال:

كُنْتُ جَالِسًا إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي

أَحْرَمْتُ، وَقَدْ جَمَعْتُ شَعْرِي.

فَقَالَ: «أَمَا سَمِعْتَ عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ قَالَ: مَنْ ضَفَّرَ رَأْسَهُ أَوْ لَبَّدَهُ فَلْيَحْلِقْ؟».

قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي لَمْ أَضَفِّرْهُ، وَلَكِنِّي جَمَعْتُهُ.

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «عَنْزٌ، وَتَيْسٌ، وَتَيْسٌ عَنْزٌ»^(١).

- وابن عمر رضي الله عنهما، وصف رجلاً يريد زجره بأنه حمار^(٢).

كما وصف جابر بن عبد الله رضي الله عنه آخر أراد زجره لاستنكاره عليه ما

لا يعلم، فقال له: إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ لِيَرَانِي أَحْمَقُ مِثْلَكَ

والباب واسع، فماذا؟!!

* وخذ هذه القصة لتعلم شدة ألفاظ السلف في جرح الناس، لاسيما

إذا كانت لأهل البدع المخالفين المنحرفين وهو رجل من التابعين:

أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى»^(٣) بإسنادٍ صحيح:

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٦٥/١٢) رقم (١٣٠٦٢)، والحاثر بن أبي أسامة (٣٦٣ زوائد) بإسناد صحيح.

(٢) فقد أخرج ابن أبي شيبة (٤٥٨/١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٣٩) بإسناد صحيح عن علقمة بن عبد الله قال: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَمَرْتُ أَصْحَابِي أَنْ يَرْتَحِلُوا، ثُمَّ أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ، فَجَلَسْتُ قَرِيبًا مِنْ ابْنِ عُمَرَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَجَعَلَ يَحْدِثُنِي وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقُلْنَا: كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا كَثُرَتْ، قُلْتُ لَهُ: اسْكُتْ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: «أَمَا أَنْتَ فَلَا جُمُعَةَ لَكَ، وَأَمَّا صَاحِبُكَ فَحِمَارٌ».

(٣) «الطبقات الكبرى» (١٣٤/٧).

عن أبي السليل القيسي ضريب بن نقيير التابعي الثقة قال :
 أَتَيْتُ صِلَةَ الْعَدَوِيِّ فَقُلْتُ لَهُ : يَا صِلَةُ ، عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ .
 فَقَالَ لِي : أَنْتَ مَثَلِي . أَوْ نَحْوِي . يَوْمَ أَتَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 أَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ .

قَالَ : فَقُلْتُ : عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ .

فَقَالَ : انْتَصِحِ الْقُرْآنَ ، وَانصَحْ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَكثُرْ فِي دُعَاءِ اللَّهِ مَا
 اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَكُونَنَّ قَتِيلَ الْعَصَا ، قَتِيلَ عَمِيَّةَ جَاهِلِيَّةٍ^(١) ، فَإِنِّي لَا أَبَالِي
 أَبْرِجِلِ خَنْزِيرٍ جَرَزْتُ أَوْ بَرِّجِلِهِ .

وَإِيَّاكَ وَقَوْمًا يَقُولُونَ : نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَيْسُوا مِنَ الْإِيمَانِ عَلَى شَيْءٍ ،
 وَهُمْ الْحُرُورِيَّةُ . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

* بل قد كان معروفًا في العرب هذه الشدة :

كقول بعض العرب :

كل عدو كيده في استه غير مخشي ولا نائره
 قد خابت العقرب واستيقنت أن مالها دنيا ولا آخره^(٢) .
 يعني : أن أكثر كيده ضراطًا ، فلا تخش منه .

(١) ففي «صحيح مسلم» (١٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «مَنْ خَرَجَ
 مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ . وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عَمِيَّةٍ ،
 يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقَتِلَ ، فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ ...» الحديث .

(٢) انظر : «أنساب الأشراف» للبلاذري (٣٠٧/٤) .

وقوع الشتم أو الطعن والسباب من علماء الجرح والتعديل بألفاظ جارحة شديدة

كثير هو على ألسنة علماء الجرح والتعديل ، يطلق على المجروح :
«الكلب» ، أو «الدجال» ، أو «المضل» ، أو «صاحب القرون» ، أو
«استحقاقه للضرب بالنعل» ، أو «التشبيه بالحمار» ، أو «الحيوان الذي
يضحي به» ، أو أنه «فَسَل» ، أو أنه «لا يساوي دستجة بقل» ، أو أنه «أحمق
من هبنقة القيسي» ، أو أنه «من إخوان الكهان» ، أو «الخائب» ، أو
«الأعمى» ، أو «ما أحوجه إلى أن تُضرب عنقه» ، أو أنه «لُعنة» ، أو أنه «كان
وقحًا» ، أو «المفتري» ، أو «المجرم» ، أو «الضال المضل» . . . إلخ
يقدمون الرواة بمثل هذه الألفاظ

ولم يقل أحد من العقلاء فضلًا عن أهل العلم إن هذا من السباب المنهي
عنه .

وإليك هذا :

- قال أبو أحمد الزبيري ، عن عمران بن مسلم الفزاري الكوفي

الرافضي :

«رافضي كأنه جَرَّو كلب»^(١) .

- وفي «السير»^(٢) من شعر أبي طاهر السلفي :

(١) انظر : «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ٩٣٧) وغيره .

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣٥ / ٢١) .

وَأَتْبَاعُ ابْنِ كُلابٍ كِلابُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُمْ مِنْ شَرِّ آلٍ
- وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو مَنْصُورِ الثَّعَالِبِيِّ فِي «الْمُنْتَحَلِ»
(ص ١٣٤):

لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الْكَلْبِ أَنْ كَانَ كَلِمًا عَوَى وَأَطَالَ النَّبْحَ أَلْقَمَتَهُ الْحَجْرُ
- وَقَالَ الْجَوْزْجَانِيُّ الْمَتَوَفَى (سنة ٢٥٩) عِنْدَ كَلَامِهِ عَنِ أَبِي الصَّلْتِ
الْهَرَوِيِّ فِي «أَحْوَالِ الرِّجَالِ» بِرَقْمِ (٣٧٩) عَنْ بَعْضِ الْأُئِمَّةِ أَنَّهُ قَالَ عَنْهُ:
«وَهُوَ أَكْذِبُ مِنْ رَوْثِ حِمَارِ الدِّجَالِ، وَكَانَ قَدِيمًا مَتَلُوثًا فِي الْأَقْدَارِ».
- وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ»^(١) بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ
قَالَ:

«كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ:
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ:

إِنِّي كُنْتُ بِالرِّيِّ عِنْدَ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ - يَعْنِي: الْوَزِيرَ - وَثَمَّ مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ.

فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: اعْرَضُوا عَلَيَّ عِلْمَ مَالِكٍ، فَإِنِّي بِيَطَارِهِ.

فَقَالَ مَالِكٌ: دِجَالٌ مِنَ الدِّجَاجِلَةِ».

- وَفِي «تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ الْكَبِيرِ»^(٢):

قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمَةَ: مَا لِرَأْيِ فُلَانٍ دَخَلَ الْبِلَادَ كُلَّهَا إِلَّا الْمَدِينَةَ؟

(١) (١/٢٠) وكذا في (٧/١٩٣).

(٢) (١/٢٤٠) رقم (٧٥٩).

فقال: إنه دجال من الدجاجلة، وقال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ وَلَا الدَّجَالُ».

وكذا قال هذه الكلمة غير واحد من علماء الجرح والتعديل^(١).

- وقال الدارقطني عن محمد بن يوسف بن يعقوب الرازي:
«دجال كذاب يضع الحديث»^(٢).

- وقال السعدي عن عبد الملك بن هارون بن عنبرة:
«دجال كذاب»^(٣).

- وقال علي بن المديني عن أبي داود النخعي سليمان بن عمرو

ابن عم شريك القاضي:

«كان من الدجالين».

وقال ابن معين عنه: «كذاب النخع»^(٤).

- وقال الإمام أبو محمد الأندلسي القحطاني في «نونيته»:
«يا أشعرية يا أسافلة الورى». وأسافلة جمع سافل.

كذا لهم ألفاظ شديدة في الجرح والتعديل، ولم يقل أحد أن مثل هذا

(١) راجع «المجروحين» رقم (٥٧، ٦٨، ٨٢، ٩٩٨)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب»

(٣/١٥٣٣) وغيرهما كثير.

(٢) «تاريخ بغداد» (٤/٦٢٨).

(٣) «الكامل في الضعفاء» (٦/٥٢٩).

(٤) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٤/١٠١٦) و«تاريخ ابن معين» (١/٥١).

من السباب أو البذاءة، إلا بعض الجهال أو أهل الهوى الذين يتألمون من الجرح، يفتعلون هذه الألقاب يحمون بها أنفسهم ومسالكتهم المردية والعياذ بالله

* ومن ذلك أيضا :

- قول أبي طاهر السلفي :

وجعد^(١) ثمَّ جهم^(٢) ثم ابن حرب^(٣) حمير يستحقون المخالي
وثور^(٤) كاسمه أو شئت فاقلب^(٥) وحفص الفرد^(٦) قرد ذي افتعال
وبشر^(٧) لا أرى بشرى فمنه تولد كل شرٍّ واختلال
وأتباع ابن كلاب^(٨) كلاب على التحقيق هم من شرِّ آل
وكذاك أبو الهذيل^(٩)، وكان مولى لعبد القيس قد شان الموالي

(١) هو الجعد بن درهم، كان من القائلين بخلق القرآن.

(٢) الجهم بن صفوان، ناشر مذهب الجهمية المنحرف.

(٣) هو جعفر بن حرب الهمداني، من أئمة المعتزلة وبئست الإمامة.

(٤) ثور بن يزيد الحمصي، كان قدريًّا.

(٥) يعني: إذا قلبت «ثور» كانت «روث»، وسيأتي في كلام غيره في ثور بن يزيد هذا قريبًا.

(٦) حفص الفرد، ممن كان يقول: القرآن مخلوق، وكفره الشافعي لما ناظره. وقد تعلَّم منه الحسين الكرابيسي الكلام. قال الذهبي: مبتدع، وقال النسائي: صاحب كلام.

(٧) الظاهر أنه بشر المريسي المعتزلي.

(٨) عبد الله بن سعيد بن كلاب، الذي تُنسب إليه الطائفة الكلابية.

(٩) هو أبو الهذيل العلاف المعتزلي.

ولا نسي ابن أشرس^(١) المكنى أبا معن ثمامة فهو غالي
ولا ابن الحارث البصري ذاك الـ مضل على اجتهاد واحتفال^(٢)

- وقال الذهبي في ترجمة موسى بن عبد الله الطويل :

«انظر إلى هذا الحيوان المتهم»^(٣).

- وقال في «المغني في الضعفاء» ترجمة القاسم بن داود البغدادي :

«من حيوانات البر أو لا وجود له»^(٤).

- وقال في تجريح أحمد بن موسى النجار :

«حيوان وحشي»^(٥).

- وقبله قول سفيان الثوري عن ثور بن يزيد :

«خذوا من ثور واتقوا قرنيه»^(٦)، كذا لقوله بالقدر .

وقال : «اتقوا ثورًا ، لا ينطحكم بقرنيه»^(٧).

(١) هو ثمامة بن أشرس ، من أئمة المعتزلة .

(٢) كذا الكلام في أهل البدع بهذه الصورة من الأئمة وما اعتبره أحد بذاءة لسان . لأن منه الحفاظ على حمى الدين ضد نشر الأقوال الباطلة والمناهج المنحرفة والروايات الغير صحيحة .

(٣) «ميزان الاعتدال» (٤/٢١٠) وحكاها عنه الحافظ في «اللسان» (٨/٢٠٦)، وما

استبشع اللفظ وسبب ذلك لكونه قال في حدود الممتين : «رأيتُ عائشة»، فمن يصدقه؟!

(٤) «المغني في الضعفاء» رقم (٤٩٨٨) .

(٥) راجع «ميزان الاعتدال» (١/١٥٩) .

(٦) انظر : «الجرح والتعديل» (١/٧٤) .

(٧) «سير أعلام النبلاء» (٦/٣٤٥)، وهو بالسند في «تاريخ دمشق» (١١/١٩٣) .

- وقال مجاهد بن موسى حينما سئل عن إبراهيم بن هذبة الراوي عن أنس ، وقد اتهمه البعض بالكذب . . فقال لهم علي بن ثابت :
«هو أكذب من حماري هذا»^(١) .

حكاه غير واحد من أهل العلم ولم يستبشع اللفظة أحد منهم^(٢) .

- وقال يحيى بن معين في سويد بن عبد العزيز :

«لا يجوز في الضحايا»^(٣) كذا تنقيص من قدره .

- وقال المتنبي في قصيدة يهجو فيها إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ :

وإذا أشار مكلّمًا فكأنه قرْدٌ يُقَهِّقه أو عجوز تلطم^(٤)
ولما بلغه وفاته قال :

قالوا لنا مات إسحاق فقلتُ لهم هذا الدواء الذي يشفي من الحمق^(٥)

- وقال امرؤ القيس في رجل كان بالمدينة اسمه العقرب :

(١) «تاريخ بغداد» (٦/ ١٩٩) .

(٢) انظر : «ميزان الاعتدال» (١/ ٧١) ، والحافظ في «اللسان» (١/ ٣٧٧) .

(٣) راجع «تهذيب الكمال» (١٢/ ٢٥٩) ، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٤/ ١١٢٣) ، و«تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٧٦) .

(٤) «الوافي بالوفيات» لابن أبيك الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤) (٨/ ٢٦١) . ومن قبله قالها شهاب الدين الرومي الحموي المتوفى سنة (٦٢٦) في «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» (٦/ ٢٥١٠) . ومن قبله أبو منصور الثعالبي في «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» (١/ ٢٦٧) والثعالبي المتوفى سنة (٤٢٩هـ) . فهل عند هؤلاء بذاءة لسان حينما صَّرحوا بجرح هذا المجروح .

(٥) «الوافي بالوفيات» (٨/ ٢٦١) .

إن عادت العقربُ عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة^(١)

- والقحطاني يقول في «نونيته» رقم (٦١٥):

لعمري لقد فتشتكم فوجدتكم حمراً بلا عينٍ ولا أرسان

- وقال حماد بن زيد في الجلد بن أيوب:

«ما كان جلد بن أيوب يسوي طلية أو طليتين في الحديث»^(٢).

والطلية: بمعنى الخرقة أو الصوفة التي يربط بها رجل الجدي.

- وقال عثمان بن دحية اللغوي في مطر الوراق:

«لا يساوي دستجة بقل»^(٣).

ومعنى دستجة؛ أي: ربطة أو قبضة.

- وقال يحيى في ميمون أبي عبد الله وسئل عنه قال:

«زعم شعبة أنه كان فسلاً»^(٤).

(١) انظر: «مطلع الأنوار ونزهة البصائر والإبصار» (ص ٣٨٧) للمالقي المتوفى سنة

(٦٣٩)، ونقلها عنه ابن البيطار الميداني المتوفى سنة (١٣٣٥هـ).

(٢) «الجرح والتعديل» (١/١٨٠، ٢/٥٤٩)، قالها حماد بن زيد، وحكاه عنه بالسند

ابن أبي حاتم، والعقيلي في «الضعفاء» (١/٢٠٤)، والحافظ في «اللسان»

(٢/١٣٣).

(٣) «ميزان الاعتدال» (٤/١٢٧). ولكن تعقبه الذهبي فقال: «هذا غلو من عثمان،

فمطر من رجال مسلم حسن صحيح» وقال في «السير» (٥/٤٥٣): «لا ينحط حديثه

عن رتبة الحسن فقد احتج به مسلم».

(٤) «الجرح والتعديل» (١/١٥٣) رقم (٧٣).

وكذا قال في سيف بن وهب البصري^(١).

وحكى هذا اللفظ غير واحد من أهل العلم في تراجم متعددة عند جرحهم، فلم يروا أنه من بذاءة القول.

- وحكى الذهبي في عمران بن مسلم الرافضي في ترجمة عمران بن مسلم الفزاري:

قال أبو أحمد الزبيري: رافضي كأنه جرو كلب.

- قال الذهبي معقباً على ذلك: «خراء الكلاب كالرافضي»^(٢).

وفي المثل العربي: «أحمق من هبنقة القيسي». الجاهلي.

راجع ترجمته^(٣). فقد كان يضرب به المثل في الحمق.

ضرب المثل في حماقة لكونه كان معه زق من عسل، فمرَّ بطريق قام فيه اثنان يتشاجران، فقالا له: جعلناك حكماً بيننا، وقصَّ كلَّ خصومته.

فأخذ زقه فحلَّ وكاءه وأراق العسل على الأرض وقال: أراق الله دمه كهذا العسل إن لم يكونا أحمقين.

- وقال يحيى بن سعيد وذكر عنده سليمان الشاذكوني فقال:

«ذاك الخائب»^(٤).

(١) «الضعفاء» للعقيلي (١٧١ / ٢).

(٢) «ميزان الاعتدال» (٢٤٢ / ٣).

(٣) راجع «وفيات الأعيان» (٣٢١ / ٤)، و«معاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار» (٤٢٢ / ٣) لأبي محمد الغيتابي. وراجع «الإعلام» للزركلي (١٨٠ / ٨).

(٤) من خطبة للشيخ رسلان - حفظه الله -، وقد ذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» =

- وقال أبو إسماعيل الترمذي في إبراهيم بن يحيى :
«لم أر أعمى قلباً منه»^(١).

- وقال يحيى بن معين في زكريا بن يحيى الكسائي :
«يستأهل أن يحفر له بئر فيلقى فيه»^(٢).

- وقال سفيان بن عيينة في تجريح معلى بن هلال بن سويد :
«ما أحوجه أن تضرب عنقه»^(٣).

- وأخرج مسلم (٢٧/١) في مقدمة «صحيحه» بسند حسن عن

ابن المبارك قال :

«لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ وَبَيْنَ أَنْ أَلْفَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَرَّرٍ
لَاخْتَرْتُ أَنْ أَلْقَاهُ ثُمَّ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ كَانَتْ بَعْرَةَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ» .

- وفي «سؤالات» ابن الجنييد رقم (٨١٨) : سئل ابن معين عن

عبد الحميد بن سليمان فقال :

= (٣٢١/٤) : «أنه قد شرد له بعير فقال : من جاء به فله بعيران ، فقبل له : أتجعل فيه
بعيرين؟ فقال : إنكم لا تعرفون حلاوة الوجدان ، فنسب إلى الحمق بهذا السبب
وسارت به الأشعار» . اهـ

(١) انظر : «موسوعة أقوال الإمام أحمد في الرجال» (٢/٩٠) .

(٢) «ميزان الاعتدال» (١/٧٤) ، وكذا الحافظ نقله في «التهذيب» وغيره .

(٣) «الضعفاء» للعقيلي (٢/٨٦) ، وابن عدي في «الضعفاء» (٤/١٧٢) ، وابن الجوزي

في «الضعفاء» (١/٢٩٥) ، و«الكشف الحثيث عمّن رمي بوضع الحديث» لبرهان
الدين الحلبي (ص ١٢٠) ، فلم يستقبح أحد منهم اللفظ .

«ذاك لا يحل لأحد أن يروي عنه، كان لعنة» .

أي: الذي يلعنه الناس .

- وقال الذهبي في «الميزان» (١/٥٠٨) في الحسن بن علي بن

زكريا :

«هذا شيخٌ قليلُ الحياء» .

- وقال في ترجمة أبي داود النخعي سليمان بن عمرو:

«كان وقحًا جريئًا قدرئًا من الخير بريئًا» .

- وقال ابن المديني عنه: «من الدجالين» .

- وقال غيره: «من أكذب الناس»^(١) .

- قول طاووس بن كيسان لمعبد الجهني:

«أنت المفترى على الله القائل ما لا يعلم»^(٢) .

- وقال عمرو بن دينار:

«بينما طاووس يطوف بالبيت لقيه معبد الجهني فقال له طاووس: أنت

معبد؟

قال: نعم .

(١) «الكامل في الضعفاء» (٨/١٠٠)، والمزي في «تهذيبه» (٢٨/٢٩٩)، والذهبي في

«الميزان» وغيرهم كثير، ولم يرد استبشاع اللفظ .

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٣٢٢)، والآجري في «الشرعية»

(٤٥٢) بإسنادٍ ثابت . خرَّجته في كتابي «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم» .

قال: فالتفت إليهم طاووس فقال: هذا معبد فأهينوه»^(١).

وقال الحسن البصري عنه: «لا تجالسوه، فإنه ضال مضل»^(٢).

- وقال الذهبي:

«من تعرَّض لأبي بكر وعمر فهو رافضي خبيث حمار، نعوذ بالله

منه»^(٣).

- وقال الآجري في «الشرية» عن الخوارج:

«الخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من

سائر الخوارج، يتوارثون ذلك المذهب قديماً وحديثاً، ويخرجون على

الأئمة والأمرء، ويستحلون قتل المسلمين.

فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله ﷺ هو رجل طعن على

رسول الله ﷺ، وهو يقسم الغنائم...»^(٤).

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١١٤١).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١١٤٢).

(٣) «تاريخ الإسلام» (١٤٦/٥).

(٤) في «الشرية» (٣٢٦/١).

وشدة المعاصرين على أهل البدع في ردودهم واضحة لم يقل أحد من أهل العلم الكبار إنها سبابٌ، ولا نهى عن ذلك حتى أتى أهل البدع سمُّوها سباباً وشتماً وبداءة.

* ابن باز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

قال في تقديمه لكتاب «براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة»: «وفضحتم فيها المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري، بنقل ما كتبه من السب والشتم والقذف لأهل العلم والإيمان واستطالته في أعراضهم وانتقاده لكتبهم إلى آخر ما قام به الأفاك الأثيم عليه من الله ما يستحق . . . كما أوضحتكم أثابكم الله تعالى تعلق تلميذه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة به وولاه له، وتبجح به باستطالة شيخه المذكور في أعراض أهل العلم والتقوى ومشاركته في الهمز واللمز، وقد سبق أن نصحناه بالتبرؤ منه وإعلان عدم موافقته له على ما صدر منه وألححنا عليه في ذلك، لكنه أصر على موالاته له هداه الله للرجوع إلى الحق وكفى المسلمين شره وأمثاله، وإنا لنشكركم على ما كتبتم في هذا الموضوع . . . ثم دعى له على جهده في ذلك -رحمهما الله- .»

* الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تجريحه للشعراوي وكشك قال عنهما :

«إنما قصاصين جهلة ليسوا بعلماء، ولا يؤخذ عنهم العلم».

وقال في كشك :

«إنه حواش قصاص ليس بالعالم وهو خلفي جاهل بعلم الحديث، ويجمع كل ما هبّ ودبّ، وأسلوبه غير شرعي».

وقال عنه أيضاً :

«كشكول».

وقال عن محمد متولي الشعراوي المصري :

«إنه صوفي أشعري خلفي منحرف العقيدة ، وكثيراً ما يتناول الآيات بتأويل لتتناسب مفاهيم العصر الحاضر».

وقال :

«لا يؤخذ منه العلم لأن العلم شيء والأسلوب شيء»^(١).

وله كلام بنحوه في الطعن في عبد الرحيم الطحان .

* العثميين :

يصف كلام عبد الرحمن عبد الخالق^(٢) بالهراء ، وذكر أنه ضال كذاب

يحذر منه .

وقال : لا أنصح الشباب بأن يرتبطوا بمثل هؤلاء ونصح بأن يُحذَر

منه .

(١) شريط «وقفات مع الشعراوي وكشك» للإمام الألباني : نقلاً عن الرد العلمي

المفحم على كل من اتهم العلامة رسلان بأنه سبّاب وشتام .

(٢) عبد الرحمن بن عبد الخالق ذاك الذي يثني عليه أبو إسحاق الحويني على ملأ

ويمدحه بكونه لا يشغل بخصومه ، فهذا العثميين أحد خصومه فهل بين للناس أو

يُبين؟ وما الذي يمنعه من البيان؟ اللهم إلا هيبة جمعية إحياء التراث الكويتية ، التي

رئيسها عبد الرحمن .

ولماذا؟ .

-هداه الله وأصلحه وجعله ممن يرضون الله ولو بسخط الناس- .

● وقال مقبل بن هادي الوادعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن القرضاوي :
«أجهل من حمار أهله .

وأن الشيطان قد تفرغ له ، وأنه ضال مضل» .

وعنون لكتاب يرد عليه فيه بعنوان :

«إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبد الله القرضاوي» .

وذكر آيات منها تسمية المردود عليه في القرآن «بالكلب» ، وبالحمار .

ونصحهم بأن يردوا على الوادعي ويأتيهم هو بالحبر ليردوا عليه .

وسمى دعوة الإخوان دعوة الإخوان المفلسين . . .

وكلامه كثير هو في الشدة على أسامة بن لادن^(١) ، ودعا عليه .

(١) ذاك الذي يثني عليه تلميذه مصطفى العدوي حينما يُسأل عنه يروغُ يقول : «أسامة

مسلم وأمريكا كافرة» ، انظر إلى الهروب ! .

مع أن السائل لا يعني أيهما الكافر أسامة أم أمريكا ، وليس هناك من أهل العلم من كفره أصلاً .

وإنما يسأل عن منهج أسامة بن لادن . هل هو على نهج أهل السنة أم الخوارج فأين النصح ولما الكتمان؟

ولم لا يقول كما قال شيخه مقبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وما أدري ماذا لو سئل عن أخيه أحمد العدوي التكفيري الجلد هل يقول :

«أحمد مسلم والحكام الذين يُكفرونهم أحمد العدوي كفار؟» .

ليهرب من إجابة السؤال كما هي عادته والتي من أراد جمعها وحدها مبثوثة بالصوت والصورة .

منها : إجابته حينما سُئل عن الدعاء للحكام .

وراجع مجلداً له في ذلك بعنوان: «إعلام الأجيال بكلام الشيخ الوادعي في الفرق والكتب والرجال» ط دار الآثار.

* كذلك ليس من بداعة القول ذكر الألفاظ الجارحة إذا كانت لا تفهم العبارات إلا بها لإزالة الشبهة أو إقامة الحجة ولا يكون ذلك من البداعة. فمن ذلك: قوله ﷺ يتثبت أن ما عرّفنا قد زنى حقيقةً.

= ومنها: حينما تكلم فيما بين الحزبيين وخصومهم لا تكاد تخلص منه برأي واضح كشيخه. - فأين النصح والصدع بالحق وعدم السكوت عن المخالفة المتظاهر به على القنوات! ؟ .

ومنها: حينما سئل عن الذين يسبون العلماء

ومنها: حينما سئل عن فرقة أسماها له السائل المداخلة الذين يسبون العلماء

ومنها: حينما سئل عن الذهاب للمظاهرات في ميدان رابعة العدوية

ومنها: حينما تكلم عن الدماء في فض رابعة

دائماً إجابته غير واضحة ولا صريحة في مثل ذلك مع أن إجابة شيخه مقبل بن هادي الوادعي والألباني والعثيمين وابن باز وغيرهم أوضح من شمس النهار وليس هو أهدي منهم سبيلاً ولا أقوم قياً ولا أصح منهجاً .

والبركة مع أكابركم» فأين هو وكلامهم في كل ما أُشير إليه؟ .

فكلامهم في كل ما ذكرت واضح جداً، فلم يضطرب وتختلف آراؤه ويتذبذب هذا إذا سلمنا أن المسألة من النوازل .

فكيف وكلام شيخه مقبل وشيخه الألباني والعثيمين مكلل بأدلة كثيرة في نفس ما نحن بصدد حريص على ماذا؟! .

مقاطع صوتية وكلام مكتوب فراجع حكم التحزب في الإسلام وموقف المسلم منه للألباني ومضار الحزبية له وكلام العثيمين وغيره أيضاً مبثوث من طلبه وجده، وفقنا الله والشيخ مصطفى العدوي وغيره لما يحبه ويرضى .

ففي «صحيح البخاري» (٢٨٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
 لَمَّا أَتَى مَا عِزُّ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ : «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ
 نَظَرْتَ» قَالَ : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «أَنْكَبْتَهَا؟» لَا يَكْنِي قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ
 أَمَرَ بِرَجْمِهِ .

وكذا قال ابن عمر لما سئل عن العبث بالذكر حتى ينزل :
 «ذَلِكَ نَائِكٌ نَفْسِهِ»^(١) .

فذكر اللفظ الصريح عند الحاجة إليه ، ولا يكون ذلك من بداءة القول
 إذ قد احتيج إليه .

والأولى التكنية عن مثل هذه الأمور ، فبالنكاح عن الجماع ، وبالفرج
 عن التصريح باسمه المتداول عند العوام . وقد قاله رسول الله ﷺ .

كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما :

«الدُّخُولُ، وَالتَّغَشِّي، وَالْإِفْضَاءُ، وَالْمُبَاشَرَةُ، وَالرَّفْثُ، وَاللَّمْسُ،
 هَذَا الْجَمَاعُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يُكْنِي بِمَا شَاءَ عَمَّا شَاءَ»^(٢) .

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٣٥٨٧) بسند صحيح .

وأخرج ابن أبي شيبة (٣٧٩/٤) بإسناد قوي عن ابن عباس في مسألة الاستمنا قال :
 «هُوَ كَالْفَاعِلِ بِنَفْسِهِ» .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٠٨٢٦) ، وله طريق آخر عند البيهقي (٢٦٢/٧) .

شدة السلف على أهل الأهواء والبدع ليست من السباب

من نظر في تعامل النبي ﷺ، والصحابة والسلف، وكذا شدة العلماء على المخالفين لا سيما من أهل الأهواء والبدع علم:

أن ذلك أقرب إلى الهدى - في بعض الأحيان - من غيره فتُحمد له غيرته. وثم مقام لا يصلح فيه إلا اللين.

فمن عُرف منه أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ورسوله فإنه يجب أن يُعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر أئمة المسلمين الذين سبق ذكرهم، كما قال ابن رجب في «الفرق بين النصيحة والتعير» (ص ٩).

* فرسول الله ﷺ كيف شدّد على كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم حينما تخلفوا عنه في غزوة تبوك، فقاطعه وأمر بمقاطعته فلا يُسلم عليه، ولا يخاطب، وتعتزله امرأته حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم. كما قال الله تعالى في كتابه.

* وعمر رضي الله عنه كيف شدّد على صبيغ بن عسل بالإساءة أيما إساءة لكونه كان يسأل عن متشابه القرآن، فضربه وشجّه وأهانته، وعلى الملاء. لم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك وكان سيد قومه.

* وما فعله ابن عباس رضي الله عنهما مع القدرية وقوله عنهم.

* وكذلك فعل ابن عمر رضي الله عنهما مع القدرية كيف تبرأوا وحذروا منهم.

* وكذلك علي بن أبي طالب عليه السلام مع الخوارج، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا معه على هذا، قتلوهم شرًّا قتلة حتى صاروا أكوامًا من اللحم.

* وابن عمر رضي الله عنهما يرى قتال الخوارج -أهل البدع- واجبًا على المسلمين.

* وخرج جماعة من الصحابة منهم عائد بن عمرو على الخوارج بأسيافهم.

* وقال سعد بن أبي وقاص عن الخوارج:

«قومٌ زاغوا فأزاغ الله قلوبهم».

وسمّاهم الفاسقين، وقال: «ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه».

* وقال ابن عباس رضي الله عنهما عن أحوالهم مع القرآن الذي يقرأونه لينة به ألسنتهم:

«يؤمنون عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه».

* وقال أبو هريرة عن الخوارج: «أولئك شرار الخلق».

وكثير هو نقلهم رضي الله عنهم حينما يذكرون كقوله صلى الله عليه وآله عنهم:

«يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

ناهيك عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم أيضًا:

«مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ».

«طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ».

«هُمُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»

* ولعنهم ابن أبي أوفى رضي الله عنه، وقال عن غلامه فيروز الذي لحق بهم: «عدو الله».

* وبعض العلماء كفرهم .

* والحسن البصري يقول لواحدٍ منهم حين قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه: «أَعْطَنَا كِتَابَ اللَّهِ».

فقال الحسن: «أَلَا تَتَوَالَهُ: يَا فَاسِقُ وَمَا يُدْرِيكَ مَا كِتَابُ اللَّهِ».

* ولا تخفى مقولة أبي أمامة الباهلي وقد رأى رؤوس الخوارج نصبت عند باب المسجد فقال:

«شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ.. ثَلَاثًا، وَخَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مَنْ قَتَلُوهُ».

* وقال ابن عمر رضي الله عنهما لأحدٍ منهم وهو يرد عليه:

«فَارْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ».

* وقول وهب بن منبه فيهم واضح^(١).

فهل ترفق السلف رضي الله عنهم في الرد عليهم أم طعنوا فيهم وما سمعنا من يقول عن بعضهم سبابة ولا شتامين ولا . . . فلينظر قائل هذه الألفاظ - مُبَدَّلَ الحقائق - هو على نهج من يسير وفق الله المسلمين لما يحب ويرضى .

(١) راجع كل هذه الآثار في كتابنا «مناصحة الخوارج».

التعليق على السباب الواقع من النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم

وقد ورد السباب من النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، فيما أن يقال: هو ليس على بابه، كأن يكون بسبب علو المنزلة والدلال على من سبَّ كما إذا كان من الرسول ﷺ لصحابي، ومن الأب أو العم لابنه أو ابن أخيه، أو من المعلم لتلميذه.

أو يقال: إن السباب إذا كان بحق، وأريد به التعنيف لمن يستحق ذلك فلا بأس به، وقد حصل من بعض الصحابة كما يقول بعضهم: «لا أم لك»، أو أن يرمي البعض بالحماسة، أو كما يقول بعضهم لبعض: «إنك امرؤ تائه» أو ما شابه ذلك، كما سيأتي.

* فمن ذلك: ما أخبر به معاذ رضي الله عنه قال:

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ . فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ . فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا . وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا . حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا آخَرَ الصَّلَاةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا . ثُمَّ دَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ . فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا .

ثُمَّ قَالَ : «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِي» .

فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ . وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ^(١) تَبِضُّ^(٢) بِشَيْءٍ

(١) الشراك: هو سير النعل، ومعناه: ماء قليل جدًا.

(٢) تبض: أي: تسيل.

مِنْ مَاءٍ قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟».
قَالَ: نَعَمْ.

فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ.
قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا. حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ،
قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ. ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتِ الْعَيْنُ
بِمَاءٍ مِنْهُمِ^(١) - أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ - حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ... الحديث^(٢).
وفي رواية مسلم (٢٧٧٩): «أَنَّهُ ﷺ كَانَ قَدْ قَالَ: «إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ».
فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ». فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ. فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ، كَذَا فِي
طَرِيقِهِ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ.

ومن ذلك أيضًا: ما أخرجه مسلم^(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت:
دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ. فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ
فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا.
فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ
هَذَا.

قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟».

قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتُهُمَا وَسَبَبْتُهُمَا.

(١) منهمر: أي: كثير الصب والدفع.

(٢) أخرجه مسلم (٧٠٦) عقب (٢٢٨١)، ومالك (ص ١٤٣)، وأحمد (٢٢٠٧٠).

(٣) برقم (٢٦٠٠).

قَالَ: «أَوْ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعْنَتُهُ أَوْ سَبَبُهُ فَأَجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا».

فسبابه ﷺ هنا إما أن يكون الرجلان ممن يستحقانه، أو أنه من الباب الذي يحصل لهما به الخير والأجر والتطهير الوارد.

في قوله ﷺ في شأن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ». وفي لعنه ﷺ الحكم وما ولد، وكان المولود هو مروان الذي صار أميراً للمؤمنين بعد.

ولذلك ركب مسلم من الحديث الأول: «فَأَجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا». والحديث الثاني- أعني قوله لمعاوية رضي الله عنه: «لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»، فضيلة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ^(١).

فها هو السباب قد وقع من النبي ﷺ لبعض الناس من الصحابة رضي الله عنهم، فإذا نظرت في قول أنس رضي الله عنه: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَابًا وَلَا فَحَاشًا وَلَا لَعَانًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: «مَالَهُ تَرَبَّتْ جَبِينُهُ» ^(٢) إذا علمت ذلك تبيّن لك أن مقصود أنس رضي الله عنه بسباب أو فحاش إذا لم يكن السباب بحق.

وفي ذلك يقول النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤٦/٦) في شرح حديث دعائه ﷺ على يتيمة أم سلمة، وقوله ﷺ: «لَا كَبُرَتْ سِنَّكَ» قال: «في هذا الحديث: «لَا كَبُرَتْ سِنَّكَ»، وفي حديث معاوية: «لَا أَشْبَعَ

(١) راجع كتابي «شفاء صدور الموحدين بذكر فضائل معاوية الأمين» رضي الله عنه.

(٢) الذي أخرجه البخاري (٦٠٣١).

اللَّهُ بَطْنُهُ»، ونحو ذلك. لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابةً، فسأل ربه، ورجب إليه في أن يجعل ذلك رحمةً وقربةً وطهوراً وأجرًا. وإنما لم يقع هذا منه إلا في النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا منتقمًا لنفسه، وقد سبق في هذا الحديث أنهم قالوا له: ادع على دوس، فقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا»، وقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، والله أعلم. اهـ

* وقد كان منه ﷺ أحياناً شدة عند تصحيح الفهم، وهي لمصلحة.

* كما يقول لبعضهم: «إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا»^(١).

أخرج مسلم^(٢) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال:

لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾

[البقرة: ١٨٧].

قَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتِ وَسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ وَسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ».

ففي تفسير لبعض العلماء لكلمته ﷺ: «إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا»؛ أي: أن

(١) في رواية البخاري (٤٥١٠)، وسيأتي لفظ مسلم.

(٢) برقم (١٠٩٠).

عرض القفا عنوان الغباوة في المرء، وثم تفسير آخر ذكرته في غير هذا الموطن مع توضيح لميقات الفجر في كتابي «خطب دروس العام بصحيح القصص».

فيكون قوله ﷺ: «إِنَّ وَسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ» كناية عن الوصف بالغباوة إذ فهم هذا الفهم وفعل هذا الفعل^(١).

وكثيرٌ هي في أقوال الصحابة ﷺ كلمة: «لا أمَّ لك»:

* قال عكرمة: «رَأَيْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمَقَامِ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ حَفْصٍ وَرَفْعٍ، وَإِذَا قَامَ، وَإِذَا وَضَعَ، فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ».

قَالَ: «أَوْلَيْسَ تِلْكَ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ لَا أُمَّ لَكَ؟»^(٢).

قال ابن الجزري في «النهاية في غريب الأثر»^(٣):

«هو ذمٌّ وسبٌّ؛ أي: أنت لقيط لا تُعرف لك أم»^(٤).

* وقال عبد الله بن شقيق:

حَطَبْنَا ابْنَ عَبَّاسٍ يَوْمًا بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَبَدَتِ النُّجُومُ،

(١) راجع: «شرح النووي على مسلم» وغيره للحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٧٨٧).

(٣) «النهاية في غريب الأثر» (٦٨/١).

(٤) وقيل: قد يقع مدحًا بمعنى التعجب منه، وفيه بُعدٌ كذا قال ابن الجزري.

قلت «محمد»: الذي استبعده قد ورد في «صحيح البخاري» (٣٥٨٦)، ومسلم

(١٤٤) قول عمر ﷺ لحذيفة ﷺ حينما أخبره بالفتن التي بينه وبينها بابًا يُكسر،

قال عمر له: «أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ»، فيحتمل أنه قال ذلك تعجبًا من قوله، والله أعلم.

وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: الصَّلَاةُ. الصَّلَاةُ.

قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لَا يَفْتَرُ وَلَا يَنْثَنِي^(١): الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ.

فَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتَعَلَّمَنِي بِالسُّنَّةِ؟^(٢) لَا أُمَّ لَكَ!

ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَالْمَغْرِبِ

وَالْعِشَاءِ^(٣).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ: فَحَاكَ فِي صَدْرِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. فَأَتَيْتُ أَبَا

هُرَيْرَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَصَدَّقَ مَقَالَتَهُ^(٤).

* وفي «مسند أبي يعلى»^(٥) بسند حسن عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال:

لَمَّا كَانَ يَوْمٌ أَحَدٍ أَقْبَلْتُ امْرَأَةً تَسْعَى حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَيَّ

الْقَتْلَى قَالَ: فَكَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَرَاهُمْ فَقَالَ: «الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةُ».

قَالَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه: فَتَوَسَّمْتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةٌ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَتْلَى، قَالَ

فَلَدَمْتُ فِي صَدْرِي، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَلْدَةً، قَالَتْ: إِلَيْكَ لَا أُمَّ لَكَ.

قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَزَمَ عَلَيْكَ.

(١) أي: لا يقصر في عمله ولا ينعطف عنه.

(٢) وفي رواية من روايات مسلم (٧٠٥): «أَتَعَلَّمْنَا بِالصَّلَاةِ».

(٣) وفي رواية أبي يعلى (٢٥٣١) بسند حسن: «... بالمدينة...».

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٧٠٥).

(٥) برقم (٦٨٦).

قَالَ: فَوَقَّفْتُ . . . الحديث .

* بل: إن أم مسطح قالت عن ولدها مسطح لكونه وقع في عائشة رضي الله عنها في واقعة الإفك:

«تَعَسَّ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتُ: أَتَسْبِيَنَّ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟
فَقَالَتْ: يَا هَتَّاهُ أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ»^(١)
صَرَّحَتْ بِأَنَّهَا سَبَّتَهُ .

فدل على وقوع السباب من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن إذا فعل موجهه،
وهذا ينبىء أن سباب المسلم فسوق، إلا إذا كان سباباً بحق، وهذا هو
الذي تقتضيه الأدلة مجتمعة، كما سينبئ عليه في موطنه إن شاء الله .
ومن ذلك أيضاً:

ما رواه عبد الرزاق بإسنادٍ صحيح عن محمد بن علي بن أبي طالب،
أنه سمع أباه علي بن أبي طالب يقول لابن عباس وبلغه أنه يرخص في
المتعة، فقال له علي: إِنَّكَ امْرُؤُ تَائِهٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهَا يَوْمَ
خَيْبَرَ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ»^(٢) .

وقد لا يدخل ذلك في السباب، إنما هو من أبواب الشدة في الرد، كما
قال ابن مسعود في شأن فتوى أبي موسى مع دعواه أن ابن مسعود سيتابعه .
قال ابن مسعود: «ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين إن اتبعته» .

(١) وهذا في «صحيح البخاري» (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٤٠٣٢)، ومسلم (١٤٠٧) .

وقول ابن عباس لابن الزبير: «إِنَّكَ لَجِلْفٌ جَافٍ...» إن صح هذا .
وذلك أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، قَامَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ: «إِنَّ نَاسًا أَعْمَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ،
كَمَا أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ، يُفْتُونَ بِالْمُتَعَةِ»، يُعَرِّضُ بِرَجُلٍ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: إِنَّكَ
لَجِلْفٌ جَافٍ، فَلَعَمْرِي، لَقَدْ كَانَتِ الْمُتَعَةُ تَفْعَلُ عَلَيَّ عَهْدِ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ -
يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ- فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «فَجَرَّبَ بِنَفْسِكَ، فَوَاللَّهِ، لَئِنْ
فَعَلْتَهَا لَأَرْجِمَنَّكَ بِأَحْجَارِكَ»، أخرجَه مسلم بسند نبهنا عليه في موطنه .

فهذا لا يدخل في السباب، إنما هو من باب الشدة في الزجر عند الرد
على المخالف لا بأس به، أو أنه سباب ومثله جائز إذا فعل ما يقتضي ذلك
للنصح .

وها هو الإجماع قد انعقد على الشدة على المخالفين من أهل البدع،
وهجرهم والتبرؤ منهم، والهروب ممن انتسب إليها:

قال أبو الحسن الأشعري في «رسالته إلى أهل الثغر» (ص ١٧٥):

«أجمعوا على ذم سائر أهل البدع والتبرؤ منهم، وهم الرافضة
والخوارج والمرجئة والقدرية، وترك الاختلاط بهم، لما روي عن النبي
ﷺ في ذلك، وما أمرنا به من الإعراض عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ
الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وما روي عن رسول الله ﷺ
أن الخوارج كلاب أهل النار». اهـ

وقال البغوي المتوفى سنة (٥١٦هـ) في «شرح السنة» (١/٢٢٧):

«مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجتمعين
على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم، وتقدم براءة الصحابة منهم، وذكر

نصوص بعض أهل العلم في ذلك» .

وقال ابن زنين المتوفى سنة (٣٩٩هـ) في كتابه «أصول السنة»
(ص ٢٩٤):

«لم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم، ويخوفون فتنهم، ويخبرون بخلاقهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعناً عليهم» .

وقال الصابوني المتوفى سنة (٤٩٤هـ) في «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» (ص ٤٢١):

«اتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم، وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله ﷻ بمجانبتهم ومهاجرتهم» .

وقال الشاطبي في «الاعتصام» (١/ ١٨٨):

«إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم على ذمها كذلك، وتقييحها، والهروب عنها، وعمن اتسم بشيء منها، ولم يقع منه في ذلك توقف ولا مشنوية، فهو بحسب الاستقراء إجماع ثابت» .

وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٣٥/ ٤١٤):

«الداعي إلى البدعة مستحق للعقوبة باتفاق المسلمين» .

وفي موطن آخر قال عمّن أظهر بدعة (٢٣/ ٣٥٤):

«يستحق التعزير حتى يتوب، فإن أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً،

وإن كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره أثر ذلك حتى يتوب أو يعزل أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه، فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان فيه مصلحة».

وقال ابن قدامة في «لمعة الاعتقاد» (ص ٤٠-٤١):

«من السنة: هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدل والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة»^(١).

فلا يتهجم على من يهجر أهل البدع ويسفه هذا النهج ويتهم أهله ويشوش عليه و... إلا جاهل، أو أنه يدافع عن أهل البدع تحت ستار ذكر محاسن الإسلام من السماحة والرفق واللين وغير ذلك، ويلبس بهذا المنهج الأفيح المائع على أهل السنة لينفر الناس عنهم، فهو إما جاهل مغرور، وإما ضال يدافع عن أهل الهوى والبدع، كأولئك الذين يخترعون منهج الموازنات التي ما رعوها حق رعايتها مع خصومهم للدفاع عن أهل البدع، والله المستعان.

وهذا لا إشكال فيه، وإنما محل النزاع: هل المهجور المحذر منه سقط الحكم بالبدعة عليه حتى يعامل هكذا أم لا؟

فمتى كان مبتدعاً فالهجر والتنكيل والتأديب له ولمن يدافع عنه أو يثني عليه، بل يزجر من تمكن من التحذير منه ثم لم يفعل، فتنبه لهذا، بارك الله فيك.

(١) وراجع مزيداً لهذا في كتابي «عقيدة المسلم الصغير» (ص ٣٣) وما بعدها.

● وهؤلاء جماعة من أهل السنة مدحوا بشدتهم على أهل البدع:

مدحوا في تراجمهم أنهم كانوا أشداء على أهل البدع، محتسبين في فضحهم وتبيين عوارهم، ومدحوا على ذلك.

أما أهل البدع فيضيعون هذا الأصل حفاظًا على أنفسهم وكراماتهم.

* فمنهم: أحمد بن عون الله بن حدير أبو جعفر الأندلسي:

له وقائع مشهورة مع أهل البدع، كان محتسبًا على أهل البدع، غليظًا عليهم، مدللًا لهم، طالبًا لمساوئهم، مسارعًا في مضارهم، شديد الوطأة عليهم، مشددًا لهم إذا تمكن منهم، غير مُبِقٍ عليهم.

وكان كل من كان منهم خائفًا منه على نفسه متوقيًا لا يداهن أحدًا منهم على حال ولا يسالمة، وإن عثر لأحدٍ منهم على منكرٍ وشهد عليه عنده بانحراف عن السنة نابذه وفضحه وأعلن بذكره والبراءة منه، وعيَّره بهذا السوء في المحافل، وأغرى به حتى يهلكه أو ينزع عن قبيح مذهبه وسوء معتقده، ولم يزل دؤوبًا على هذا جاهدًا فيه ابتغاء وجه الله إلى أن لقي الله ﷻ.

ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (١١٨/٥)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٤٤٧/٨)، وغيرها من كتب التراجم.

قال الذهبي عنه: «المحدث الإمام كان صدوقًا صالحًا شديدًا على المبتدعة لهجًا بالسنة، صبورًا على الأذى».

* عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد أبو جعفر الهاشمي

الفقيه:

إمام الحنبلية في زمانه بلا مدافعة .

قال الذهبي مادحاً له :

«كان شديداً على المبتدعة ، لم تزل كلمته عالية عليهم ، وأصحابه ينقمعون ، ولا يرد يده عنهم أحد ، وكان عفيفاً نزهاً ، كان عالماً فقيهاً» .
ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٢٩٢ / ١٠) ، و«السير» (١٨ / ٥٤٦) ،
و«طبقات الحنابلة» (٢ / ٢٣٨) ، وغير ذلك .

* أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الشاري :

الإمام الحافظ المقرئ المحدث الأنبل الأجد شيخ المغرب ، كان منافراً لأهل البدع والأهواء معروفاً بذلك . ذكر ذلك الذهبي في ترجمته من «السير» (٢٣ / ٢٧٥) .

* حماد بن سلمة بن دينار البصري :

كان شديداً على المبتدعة مُدح لذلك .

قال أحمد بن حنبل عنه :

«إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام ، فإنه كان شديداً على المبتدعة» حكاه عنه الذهبي في ترجمته من «السير» (٧ / ٤٥٠) .

* النسفي أبو عمر بكر بن محمد بن جعفر راوي صحيح البخاري :

«كان شديداً على المبتدعة» . مدحه الذهبي بذلك كما في ترجمته من

«السير» (١٦ / ٣٩٦) .

* أبو عبد الله محمد بن الفرّج القرطبي الطلاعي :

حكى عنه القاضي عياض قال : « كان صالحًا قوالاً للحق شديدًا على
المبتدعة » .

قيل فيه أيضًا : « كان شديدًا على أهل البدع مجانباً لمن يخوض في غير
الحديث » .

ترجمته في « السير » (١٩ / ٢٠٠) .

وغير هؤلاء كثير مدحوا بشدتهم على أهل البدع فلا عبرة بجرح من
جرحهم بأن عندهم شدة في أسلوبهم ،
وإنما يطعن فيهم من شابه أهل البدع لكونه يفضحهم ويجرحهم ، والله
من ورائهم محيط ، والله المستعان .
فسلم الله العقل والمنهج^(١) .

وصدق من قال :

وإذا جاءتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل
وراجع التراجم الآتية تجد أن العلماء مدحوا أصحابها لشدتهم على
أهل الأهواء والبدع :

(١) يعني : من الطبيعي أن سب طعن أهل البدع في أهل السنة أن أهل السنة أشداء على
أهل البدع ، فإذا داهنهم أو سكت عنهم كانوا معه في لين ، وإلا فلا فهم مجروحون
وجرح المجروح ساقط لا قيمة له ، وإن وُجد مغفلون يروغ عليهم جرحه فلا تغتر
بكثرة الهالكين ولا تستوحش من قلة السالكين .

* المبارك بن حسن المعروف بابن القابلة المولود (سنة ٥٠٥ هـ) قال
عنه صديق حسن خان في «التاج المكلل» (٢٠٧):

«كان حنبلي المذهب أماراً بالمعروف شديداً على أهل البدع».

* أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر المعافري الطلمنكي:

قال أبو عمرو الداني:

«كان فاضلاً شديداً في السنة»،

وقال ابن بشكوال:

«كان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم غيوراً على
الشريعة شديداً في ذات الله»، ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤٥٦/٩)
للذهبي.

* عبد الله بن أبي حسان يزيد بن عبد الرحمن:

«كان ذاباً عن السنة متبعاً لمذهب مالك شديداً على أهل البدع».

* شريك النخعي القاضي:

«كان عادلاً عابداً فاضلاً شديداً على أهل البدع».

وعدهم يسع مؤلفاً.

فهناك شدة كانت من أصحاب الحديث نحو أهل الأهواء فلا يستغرب
فشتم أهل الأهواء بما فيهم مدحه لا ذم فلا يسمى هذا شتماً أو سباباً أو
بذاءة إلا كل مغرر به.

ومن أقوال شريك النخعي :

«لئن يكون في كل قبيلة حمار أحب إليّ من أن يكون فيها رجل من أصحاب أبي فلان - رجل كان مبتدعاً-» .

وذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣/٢٩٦) :

حرب بن إسماعيل الكرمانى صاحب الإمام أحمد تُرجم له فقالوا :
حرب بن إسماعيل لقي أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وصحبه ، وله مؤلفات
في الفقه منها كتاب السنة والجماعة :

«شتم فيه فرق أهل الصلاة ، وقد نقضه عليه أبو القاسم عبد الله بن

أحمد بن محمود الكعبي البلخي» . اهـ أفكان حرب الكرمانى شتّاماً؟! !

وأقول : بالله لقد كان ذا منهج قويم في ذلك فقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

على سبيل الذم فقال : «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»

وقال عن الخوارج : «كلاب النار» . .

وقد ذمّهم السلف قبل حرب وبعد .

والمقصود : أن الشتم كالسباب إذا كان في موطنه فهو موطن مدح

لا ذم وإلا فذم فتنبّه؟

ويحيى بن معين وقع في الحسين الكرابيسي وشتمه لكلامه في

أحمد بن حنبل ، كما ذكرناه في موطنه ، فماذا؟

واعلم علمني الله وإياك أن الشدة على أهل الأهواء مدحها الأئمة

قديمًا كما تقدم .

فقد مُدِح الحافظ شريك النخعي على ذلك

قالوا: «كان عادلاً فاضلاً شديداً على أهل البدع». كما تقدم

وقال البيهقي عن أبي يعقوب البويطي:

«كان شديداً على أهل البدع ذاباً بالكلام عن أهل السنة فدُعي في أيام
الوائق إلى القول بخلق القرآن فامتنع منه فحُمل مقيداً من مصر إلى العراق
حتى مات في قياده محبوساً ثابتاً على دينه صابراً على ما أصابه من الأذى
رحمة الله تعالى ورضوانه عليه»^(١).

وقيل عن الشاطبي صاحب «الاعتصام»:

«كان شديداً على أهل البدع حريصاً على السنة لازماً لطريق المشايخ
والأئمة محارباً لهم».

عبد الله بن أبي حسان اليحصبي المتوفى سنة (٢٢٦هـ):

«كان مفوهاً قوياً على المناظرة، ذاباً عن السنة، متبعاً لمذهب مالك،
شديداً على أهل البدع».

وكذلك كان البربهاري،

وكذلك ابن القيم،

وكذلك شيخ الإسلام، وكذلك من قبلهم الإمام أحمد وغيره

فمنهج الشدة على أهل البدع في الردود عند الأئمة واضح، يمدح به،

(١) حكاه ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري»

ولا عبرة بأقوال أصحاب الأهواء والتميع؛ لأنهم يصونون أنفسهم تحت مظلة دعواهم الرفق واللين . . . ،

فاعلم كذلك أنهم لا يقبل جرحهم لأنهم مجروحون في أنفسهم .

ومن كان له أدنى إمام بالاطلاع على كتب التراجم كتب الجرح والتعديل رأى هذا واضحاً جلياً، ولكن التعصب آفة، فالتعصب يعمي ويصم .

ولا يظنُّ السوء في سجن شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من قبل كالبربهاري وأصحابه بل بالإمام أحمد . . . لا يظن في التآليب عليهم إلا أنه من أهل البدع قَبَّحَهُمُ اللَّهُ :

فهم الذين لا يحترمون العلماء ويطعنون عليهم لاسيما إذا لم يطاوعوهم على بدعهم .

وأى إساءة أعظم من مخالفتهم للصحابة ولمنهجهم .

فأسوأ الناس أدباً مع العلماء هم أهل البدع ،

وهكذا في كل زمان، وسرده يحتاج إلى مؤلف مستقل حتى في زماننا يحصل ممن يُنسبون إلى المشيخة . وإلا فإن معتقدات هؤلاء الأئمة في مصلحة دنيا الحكام حقيقة والله المستعان .

سبب شدة أسلوب علماء الجرح والتعديل

وسبب شدة علماء الجرح والتعديل في نقدهم الرجال هو أن جرح الرجال أو تعديلهم ينبني عليه التصحيح لروايته فتقبل، أو التصويب لمنهجه وعلمه فيؤتسى به ويدرس علمه، فكان الأمر مرتباً بحملة العلم الشرعي سواء كان الرواية أو المنهج أو العلم. والعجيب أنه إذا كان أمراً ما مرتباً بما يتعلق بدنيا الناس اهتم الناس جدًّا به،

فكيف لا يهتمون بما يتعلق بحملة الدين الذي أرسل به محمد ﷺ؟! * أذكر بقصة تقدمت تُقرب هذا المفهوم لمن أعجم عليه فهم ذلك: أخرج اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٣٧٢)، وغيره بسندٍ ثابت عن عاصم الأحول قال: جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد^(١) فيه، فقلت: يا أبا الخطاب، ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض!^(٢).

(١) وعمرو بن عبيد هذا هو القدري المعتزلي المبتدع الضال الذي التبس أمره كما يلتبس أمر كثير ممن نُسبوا إلى العلم على العوام أتباع أهل البدع والتلبس والكذب والغش اليوم ففيه محاسن من كرم وزهد وتقى اغتر بها أولئك كما يغتر كثير بمثلها اليوم...

(٢) وفي رواية: «وإذا الفقهاء ينال بعضهم من بعض». انظر إمكانية نسبة أهل البدع إلى العلم والفقهاء بسبب التباس أمرهم! =

قال: يا أحول، ولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تُذكر حتى تُعلم.

فجئت من عند قتادة، وأنا مغتمّ لقوله في عمرو بن عبيد، وما رأيتُ من نُسك عمرو بن عُبيد وهديه^(١)، فوضعتُ رأسي بنصف النهار فإذا بعمر بن عبيد في النوم والمصحف في حجره وهو يحكّ آية من كتاب الله، قلت: سبحان الله تحك آية من كتاب الله؟ قال: سأعيدها فتركته حتى حكّها، فقلت له: أعدها، فقال: «إني لا أستطيع» نعوذ بالله.

* انظر إلى حسن ظن عاصم الأحول بهذا المبتدع والسبب أنه خالطه وما هجره:

وقد قال القاضي أبو الحسن في «التمام»:

«لا تختلف الرواية في وجوب هجر أهل البدع»^(٢).

= حتى يلتبس أمرهم على طلاب العلم الذين يجلسون للعلم، فكيف بغيرهم؟! وقد التبس أمر أهل البدع على أبي موسى حينما قال لابن مسعود: «رأيت شيئاً فأنكرته ولم أر والله إلا خيراً»، وما أكثر ما يلتبس الحق بالباطل حتى على بعض المنتسبين إلى العلم، فكيف بمن دونهم؟.

(١) فقد يكون لأهل البدع نُسك وهدى ومحاسن ربما كانت سبباً في ضلال بعض من لا دراية لهم بأصول الشريعة إذ يغترون بذلك كما اغتر قبل من ضل مع الخوارج، لكن يبصر حقيقة ذلك الراسخون في العلم يزنون الأمور بميزان الشرع والمنهج لا بالعواطف.

(٢) حكاه عنه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/٢٣٨).

وقد أخرج العقيلي في «الضعفاء» (١/٢٢٩) بسندٍ صحيح عن أبي صالح الفراء =

وأشار بعض أهل العلم إلى فائدة الهجر:

فقال الشاطبي في «الاعتصام» (١/١٥٢):

«توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: التفات الجهال والعامّة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وُقِّر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي، المحرّض له على إنشاء الابتداع في كل شيء.

وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه».

وفي «الإبانة الكبرى» لابن بطة:

«عليك بالعلم واهجر كل مبتدع وكل غاوٍ إلى الأهواء ميال»^(١).

= قال: حكيتُ ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئاً من أمر الفتن فقال: ذاك يشبه أستاذه -يعني: الحسن بن حي- الذي كان يرى رأي الخوارج- قال: قلتُ ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فقال: لم يا أحمق؟ أنا خيرٌ لهؤلاء من أمهاتهم وآبائهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتبعتهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضراً عليهم.

نعم إذا لم يتكلم فيهم كيف يُعرف الحق من الباطل، والسقيم من الصحيح؟ فمن أخير لأهل الأهواء؟ وليست قصة أبي تراب النخشي، ومحمد بن بندار السباك مع أحمد بن حنبل ببعيدة. راجع «طبقات الحنابلة» (١/٢٤٨-٢٤٩، ٢٨٧).

(١) «الإبانة الكبرى» (٦/٢٨٤).

تبرئة ساحة الصحابة
من توهم السباب المحرم بينهم^(١)

قد ورد عن الصحابة أشياء قد يتوهم متوهم أنها من السباب المحرم .
فهذا توجيه بعض الوارد عن الصحابة من أنه ليس من السباب المنهي
عنه :

الأول : قول سالم بن عبد الله بن عمر حكايته عن والده بشأن أخيه
بلال :

« . . . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَسَبَّهُ^(٢) سَبًّا سَيِّئًا ، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ . »

فهذا ليس من الباب المنهي عنه الذي يفسق فاعله ، فإنه ولده وله
تأديبه ، وله الدلال عليه وبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ احتمل ذلك من والده .

ولذلك لم ينكر صحابي واحد مثل هذا على ابن عمر ، ولا قال له
أحد : إنك سببت المسلم ، ورسول الله ﷺ يقول : «سِبَابُ الْمُسْلِمِ
فُسُوقٌ» ما حصل شيء من ذلك .

فدل على أن ذلك ليس من السباب المنهي عنه ، ولا يدخل فيه .

(١) قال أبو المظفر السمعاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

«التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله ، بل هو بدعة وضلالة» .
حكاها الحافظ في «الفتح» (٤/٣٦٥) .

(٢) أي : سبَّ ولده بلالاً لكونه اعترض عليه حينما حدث عن رسول الله ﷺ :
«لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ .» ، فقال بلال : «لنمنعن . . .» .

الثاني : فعل أبي بكر رضي الله عنه لما أهمل ولده حقوق الأضياف :
فغضب أبو بكر وسبَّ وجدَّع^(١) . . . وقال له : «يا غُنْثَرُ» أي : يا جاهل
أو وخيم . .

فهذا من نفس باب قول ابن عمر لولده ، ولذا لم ينكر أحدٌ من الصحابة
ولا ولده ما حصل من أبي بكر ، ولم يقل أحدٌ إنه من السباب الذي يُفسق
فاعله .

الثالث :

ما رواه النسائي والترمذي^(٢) ، وغيرهما بإسنادٍ صحيح : عن زر بن
حيش عن حذيفة قال :

سَأَلْتَنِي أُمِّي مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ .
فَقُلْتُ لَهَا : مُنْذُ كَذَا وَكَذَا ، فَتَأَلَّتْ مِنِّي وَسَبَّتَنِي .
فَقُلْتُ لَهَا : دَعِينِي فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ ، وَلَا أَدْعُهُ
حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكَ ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ .

(١) أي : دعا بقطع الأنف ، وهذا أيضًا ليس من الباب الذي فيه النهي عن الدعاء على
الأبناء ، وإنما هو من باب قوله ﷺ : «نُكَلِّتُكَ أُمَّكَ» .
وقوله ﷺ لصفية رضي الله عنها إذ حاضت في الحج : «عَقْرِي حَلَقِي» .
دعاء لا يُراد وقوعه إذ لا ذنب عليها أصلاً ، فمعاذ يسأل ، وصفية نزل عليها ما كتبه
الله على بنات آدم من الحيض ، فمثل هؤلاء لا يُدعى عليهم ، فيقال : الدعاء ليس من
الباب المنهي عنه؟! !

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٤٠) ، والترمذي (٣٧٨١) وغيرهما .

فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ انْقَتَلَ وَتَبِعْتُهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ، فَأَخَذَهُ
وَذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ.

فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟».

فَقُلْتُ: حُذَيْفَةُ.

فَقَالَ: «مَا لَكَ؟»، فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ.

فَقَالَ: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلِأُمَّكَ، أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي
قَبْلُ؟».

قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: «هُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ..» الْحَدِيثُ.

والشاهد: أنها سبَّت ولدها حذيفة رضي الله عنه، وهي صحابية.

الرابع: ما وقع من العباس رضي الله عنه - كما في «صحيح البخاري» - عند

خصومته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عند شكايته لعلي بن أبي طالب في إمارة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَفْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ

الْخَائِنِ».

قال بعض العلماء: هذا اللفظ الذي وقع لا يليق بالعباس وحاشا أن

يكون في علي رضي الله عنه بعض هذه الأوصاف، فضلاً عن كلها، ولسنا نقطع

بالعصمة إلا للنبي ﷺ، ولمن شهد له بها، ولكننا مأمورون بحسن الظن

بالصحابه رضي الله عنهم، ونفي كل رذيلة عنهم، وإن انسدت طرق تأويلها نسبنا

الكذب إلى روايتها^(١). قاله المازري فيما حكاه عنه القاضي عياض نقله النووي في «شرح مسلم (٧٢/١٢)».

وقد حضر هذا المجلس عمر وهو الخليفة، وعثمان، وسعد، وزيد، وعبد الرحمن رضي الله عنه كما في سياق الحديث، ولم ينكر أحد منهم هذا الكلام مع تشديدهم في إنكار المنكر، وما ذلك إلا لأنهم فهموا بقريته الحال أنه تكلم بما لا يعتقد ظاهره مبالغة في الزجر.

قال المازري:

وكذلك قول عمر رضي الله عنه في نفس الحديث:

«إنكما جئتما أبا بكر فرأيتماه كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا».

وكذلك ذكر عن نفسه أنهما رأياه كذلك، كما في رواية مسلم (١٧٥٧).

وتأويل هذا على نحو ما سبق، وهو أن المراد: أنكما تعتقدان أن الواجب أن أفعل في هذه القضية خلاف ما فعلته أنا وأبو بكر.

فنحن على مقتضى رأيكما لو أتينا ونحن معتقدان ما تعتقدانه لكنا بهذه الأوصاف.

(١) ولا داعي لاتهام الرواة الثقات بغير بينات. وأجود ما حمل عليه أنه حصل من العباس على جهة الإدلال على ابن أخيه لأنه بمنزلة ابنه، وقال ما لا يعتقده، وما يعلم براءة ذمة ابن أخيه منه، ولعله قصد بذلك ردعه عما يعتقد أنه مخطئ فيه، وإن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن قصد، ولا بد من هذا التأويل. انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم».

الخامس : قول أبان بن سعيد لأبي هريرة :

«يَا وَبَرُّ تَحَدَّرَ مِنْ رَأْسِ ضَأْنٍ»^(١).

فقد أخرج البخاري معلقاً عن سعيد بن العاص قال :

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَانَ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ نَجْدٍ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَدِمَ أَبَانٌ وَأَضْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحَهَا وَإِنَّ حُزْمَ خَيْلِهِمْ لَلِيْفُ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَقْسِمَ لَهُمْ .

قَالَ أَبَانٌ : وَأَنْتَ بِهَذَا يَا وَبَرُّ تَحَدَّرَ مِنْ رَأْسِ ضَأْنٍ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَا أَبَانُ اجْلِسْ» فَلَمْ يَقْسِمَ لَهُمْ^(٢) .

وفي سياق آخر موصول^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحُوهَا فَقُلْتُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْهَمَ لِي .

فَقَالَ بَعْضُ بَنِي سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ : لَا تُسْهِمَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَلٍ^(٤) .

(١) أراد احتقاره، وتصغير قدره عنده، وأنه مثل الوبر الذي يتدلى من رأس الضأن في قلة المنفعة والمبالاة .

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٣٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٧) .

(٤) وقد أخرج البغوي كما قال الحافظ في «الفتح» (٤١ / ٦) : أن النعمان بن قوقل قال يوم أحد : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبُّ أَنْ لَا تَغِيبَ الشَّمْسُ حَتَّى أَطَأَ بِعَرَجَتِي فِي الْجَنَّةِ . =

فَقَالَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ : وَاعْجَبًا لَوَبَّرِ تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قَدُومِ ضَاُنٍ
يَنْعَى عَلَيَّ قَتَلَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ وَلَمْ يُهْنِي عَلَى يَدَيْهِ .
قَالَ : فَلَا أَذْرِي أَسْهَمَ لَهُ أَمْ لَمْ يُسْهَمْ لَهُ^(١) .

يعني - أبو هريرة - : أن أبان بن سعيد قتل النعمان بن قوقل رضي الله عنه يوم
أحد، وكان أبان حينذاك كافرًا^(٢) .

= فَاسْتَشْهَدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ» .
وتحرير ذلك في موطن آخر .

والمقصود هنا : أن أبان بن سعيد هو قاتل النعمان بن قوقل ، وكان أبان كافرًا يوم أن
قتل النعمان .

(١) الأصل أنه لم يسهم له ، ففي الرواية الأولى يجزم بعدم الإسهام له ، وهنا يقول هذا ،
فلعله نسي ، فالجزم في الرواية الأولى يُقَدِّمُ ، أنه لم يسهم له ، والله أعلم .
(٢) وأبان رضي الله عنه هو ابن سعيد بن العاص بن أمية ، كان إسلامه بعد غزوة الحديبية .

وقد ذكر في صلح الحديبية أن أبان هذا أجاز عثمان بن عفان يوم الحديبية حتى دخل
مكة وبلغ رسالة رسول الله ﷺ لكفار قريش ، ومعلوم أن غزوة خيبر كانت عقب
الرجوع من الحديبية ، فيشعر ذلك بأن أبان أسلم عقب الحديبية حتى أمكن أن يبعثه
النبي ﷺ في سرية ، وقد ذُكر في سبب إسلام أبان : عن سعيد بن العاص قال : «قُتِلَ
أَبِي يَوْمَ بَدْرٍ ، فَرَبَّانِي عَمِّي أَبَانُ ، وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يُسَبُّهُ إِذَا ذُكِرَ ، فَخَرَجَ إِلَى
الشَّامِ فَرَجَعَ فَلَمْ يُسَبِّهُ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ رَاهِبًا فَأَخْبَرَهُ بِصِفَتِهِ وَنَعْتِهِ ،
فَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ تَضَدُّيقُهُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَسْلَمَ» . فَإِنْ كَانَ هَذَا ثَابِتًا
إِحْتِمَالٌ أَنْ يَكُونَ خُرُوجَ أَبَانَ - عم أبان بن سعيد المذكور رضي الله عنه - إِلَى الشَّامِ كَانَ قَبْلَ
الْحُدَيْبِيَّةِ . وراجع ترجمته من «الإصابة» ، وإرسال الرسول ﷺ له على سرية من
المدينة قبل نجد في «صحيح البخاري» برقم (٤٢٣٨) .

وراجع شرحه في «الفتح» وكتابي «صحيح السيرة النبوية» ، والله أعلم .

فكان أبان رضي الله عنه يقول: إن ابن قوقل في الجنة بسببي ثم أسلمتُ بعدُ أما يومها فلم أكن أسلمتُ فماذا؟

ومعنى ينعي علي: أي: يعيب علي^(١).

وهذا من باب المخاصمة واستيفاء الحقوق كما في قصة علي والعباس، فكان بينهم أشياء لم تبلغ دينهم، كما كان بين علي وعثمان كذلك غيرهما

السادس: ما ورد عن عمار أنه سبَّ عثمان بن عفان أو شتمه وذكرته في كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط»

فهذا إما أن يحمل على أنه أخطأ وهو غير معصوم، ولا يفسق بذلك إذ لم يرمه أحدٌ بذلك من الأفاضل وكانوا موجودين وبين رسول الله صلوات الله عليه منزلته فمن مثله؟ .

بل هذا مما احتمله بعضهم من بعض مما كان يجري بينهم، ليس المقصود به السباب الذي يفسق فاعله .

ولذلك لم يفسقه عثمان نفسه، بل ولا علَّق عليه وإنما هذا من نفس

باب:

السابع: قول سعيد بن المسيب رضي الله عنه:

«شَهِدْتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَكَانَ بَيْنَهُمَا نَزْعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَا تَرَكَ وَاحِدٌ

(١) والنعمان بن قوقل رضي الله عنه هو الذي روى قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ وَأَحَلَلْتُ الْحَلَالَ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: النَّبِيُّ صلوات الله عليه: «نَعَمْ...». وهو صحيح: أخرجه مسلم (١٥).

مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ شَيْئًا إِلَّا قَالَهُ، فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقْصَّ عَلَيْكُمْ مَا قَالَا لَفَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَبْرَحَا حَتَّى اضْطَلَحَا وَاسْتَغْفَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ»^(١).

الثامن :

ومن نفس باب دفاع سعد بن أبي وقاص حينما دافع عن علي رضي الله عنه :

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِسَعْدٍ لَمَا رَأَاهُ يَدَافِعُ عَنْهُ :

فَوَاللَّهِ إِنَّهُ كَانَ يُبَغِّضُكَ وَيُسَمِّيكَ الْأُخَيْسَ .

فَضَحِكَ سَعْدٌ حَتَّى اسْتَعْلَاهُ الضَّحِكُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ يَجِدُ الْمَرْءُ عَلَى أَخِيهِ فِي الْأَمْرِ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ لَا يَبْلُغُ ذَلِكَ أَمَانَتَهُ؟! وَذَكَرَ كَلِمَةً أُخْرَى^(٢).

ومن نفس الباب قول علي رضي الله عنه لما جاءه ابنُ جُرْمُوزٍ قَاتِلُ الزُّبَيْرِ يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَلِيٍّ^(٣) فَحَجَبَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ أذِنَ لَهُ فَقَالَ: أَمَا أَهْلُ الْبَلَاءِ فَتَجْفُوهُمْ .

فَقَالَ عَلِيٌّ: بِفِيكَ التُّرَابُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ

(١) أخرجه أحمد في «العلل» (٢٠٥٣) بسندٍ حسن .

وعند الخلال في «السنة» (٧١٦) بسندٍ حسن أيضًا قال: «فَمَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ حَتَّى دَخَلَ أَحَدُهُمَا أَخِذًا بِيَدِ صَاحِبِهِ كَأَنَّهُمَا أَخْوَانٌ لِأَبٍ وَأُمَّ . - يَعْنِي: عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ-» .

(٢) أخرجه إسحاق كما في «المطالب العلية» (٥٦/١٢) رقم (٤٢٧٣) والحاكم (٣٣٠/٢) بإسنادٍ صحيح، وصححه الحافظ رحمته الله .

(٣) مع أن الزبير رضي الله عنه كان ممن يقاتل ضدَّ علي رضي الله عنه .

مُنْقَلِبِينَ ﴿[الحجر: ٤٧]﴾^(١).

وما كان بين خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما من كلام فتناول رجل خالدًا عند سعد:

قال: فَقَالَ سَعْدٌ: «مَهْ، فَإِنَّ مَا بَيْنَنَا لَمْ يَبْلُغْ دِينَنَا»^(٢).

فلهم سوابق وحصلت فتن بينهم فنرد أمرهم إلى الله، كما قال أبو نضرة رضي الله عنه^(٣).

فما حصل من عمار نحو عثمان من كلام إنما هو من هذا الباب.

ولا قال أحدٌ من أهل العلم أبدًا ولا يقول: إن عمارًا رضي الله عنه كان فاسقًا أو خارجيًا، لكونه سب عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه^(٤).

وقد علقت على القصة في كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط» (ص ١٤٢) لجهره على عثمان رضي الله عنه الأمير بمزيد عن هذا.

السابع:

قول عمر رضي الله عنه لحذيفة وقد حدّثه أن بينه وبين الفتن بابًا مغلقًا يوشك

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٩٩)، وابن الأعرابي في «المعجم»

(١٧٧٤)، وابن سعد في «طبقاته» (٣/١١٣) بسندٍ صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه (٥/٢٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٤/١٠٦) رقم (٣٨١١)،

وأبو نعيم في «الحلية» (١/٩٤) بسندٍ صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه (١٥/٢٧٤) وغيره.

(٤) وقد قال رضي الله عنه عن عمار: «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ»، وأنه مبشّر يدعو الناس إلى الجنة،

وأنه وأنه . . .

أن يكسر .

قَالَ عُمَرُ: أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ! فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ.

قُلْتُ: لَا بَلْ يُكْسَرُ.

وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ. حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعْلَى.

وفي رواية البخاري:

فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنْ الْبَابُ؟ قَالَ: عُمَرُ^(١).

فقول عمر لحذيفة رضي الله عنه: «أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ» في هذا الموطن ليس هو سبابٌ في الأصل، وما كان عمر يفعلُه مع مثل حذيفة؛ وهو الذي كان يسأله عن الفتن ويعتمد رأيه ويُجَلِّه^(٢). وقد سلفت الإشارة إلى هذا.

وإنما هو من باب الحث على الإجابة على عادة العرب إذا أرادوا أن يقولوا جدًّا في الأمر قالوا: «لَا أَبَا لَكَ»، وهو من باب استعظام من عمر لكسر ذلك الباب،

فكلمة «لَا أَبَا لَكَ» لا يريدون بها الذم أصلاً، كقولهم أحياناً: «قاتله الله»، ونحو ذلك، لا يريدون به الذم على الدوام.

وهذا كقول هُنَيِّ الذي استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الحمي، وأنه قال لعمر: «أَفْتَارِكُهُمْ أَنَا لَا أَبَا لَكَ» كذا يقول لعمر رضي الله عنه^(٣).

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٨٦)، ومسلم (١٤٤).

(٢) وقد سأله: هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين؟ راجع كتابي «ذم النفاق وأهله».

(٣) كما في «صحيح البخاري» (٣٠٥٩).

فليس هذا من باب السباب ولا الشدة حتى يحتاج إلى إجابة عنه،
والله أعلم .

الثامن :

لما أرسلت زوجات الرسول ﷺ زينب بنت جحش فأتته فأغلظت
وقالت :

إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ^(١)، فَرَفَعَتْ
صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاولَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ؟

قَالَ : فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسَكَّتَتْهَا .

قَالَتْ : فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ : «إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ»^(٢) .

(١) وليس هذا كلغة الخارجي ذي الخويرة الذي قال لرسول الله ﷺ : «اعْدِلْ» ؛ لأن
هذا كان كلامه على وجه الاعتراض واتهام النبي ﷺ بالجور وأمره بالعدل فأين هذا
من ذا .

بخلاف زوجات الرسول ﷺ فقد كان رسول الله ﷺ يفضّل عائشة في المحبة وما
يتبعها من أشياء ولم يكن يعلمن أنه لا يلزم العدل فيها أصلاً .

حتى أخبرهن رسول الله ﷺ ، وورد في حديث مرسل : «اللَّهُمَّ هَذَا قَسَمِي ، فِيمَا
أَمَلِكُ فَلَا تَلْمَنِي ، فِيمَا تَمَلِكُ ، وَلَا أَمَلِكُ» .

فقولها : «يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ» ليس اعتراضاً ولا اتهاماً وإنما هو رجاء ، ولكن رسول الله
ﷺ لا يملكه ؛ لأن هذا محله القلب الذي بيد الله تعالى ، أو أنهن أردن العدل بأمر
الناس أن لا يتحرّوا بهداياهم يوم عائشة .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨١) .

فمعنى ذلك: أنها استطالت عليها بالكلام وليس بالسباب المعروف المتبادر إلى الذهن، وإنما بمعنى أنها وقعت فيها.

كما في رواية مسلم^(١):

«ثُمَّ وَقَعْتُ بِي فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ . وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ، هَلْ يَأْذُنُ لِي فِيهَا . . . قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا .

قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَبَسَّمَ الخبر .

ولو كان كلامها ككلام الخارجي ما تبسّم بل كان يغضب كغضبه على الخارجي ذي الخويصرة فتنبه .

وقد أشار الحافظ في «الفتح» (٢٠٧/٥) إلى رواية عند النسائي (٧٧٦٥)، وابن ماجه (١٩٨١) من طريق البهي عن عروة عن عائشة قالت: دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ فَسَبَّتَنِي، فَرَدَّعَهَا النَّبِيُّ ﷺ . . . الحديث، وهو ضعيف لأجل البهي .

والرواية التي عندهما ليس فيها اللفظ المذكور «فسبتني»، فالظاهر أن الحافظ بن حجر ذكرها بالمعنى .

وفي رواية أبي داود (٤٨٩٨) من طريق آخر في قصة أخرى:

«وَأَقْبَلَتْ زَيْنَبُ تَفْحَمُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَهَاهَا، فَأَبَتْ أَنْ تَنْتَهِيَ، فَقَالَ

لِعَائِشَةَ:

(١) برقم (٢٤٤٢).

«سُبِّيهَا»، فَسَبَّتْهَا، فَغَلَبَتْهَا . . .» الحديث .

وهذا ضعيف سنده لا يصح لحال البهي أيضاً ،

لا يصح لا سنداً ولا عقلاً أيقول ﷺ لإحدى أمهات المؤمنين عن

الأخرى سُبِّيها ، وقد نهى هو ﷺ عن السباب

وفي هذه الرواية علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف . .

وتم توجيه آخر - في حالة ثبوته - :

أن ذلك صدر منهنّ - رضي الله عنهنّ - بمقتضى الغيرة التي تجعل المرأة

لا تبصر أعلى الوادي من أدناه، فعقلها ليس معها بكامله، ولا شك أن

المرأة تُعذّر في هذه الحالة .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«إِنَّ الْغَيْرِي لَا تُبْصِرُ أَعْلَى الْوَادِي مِنْ أَدْنَاهُ» أخرج أبو يعلى .

وقد ثبتته الحافظ ابن حجر ، كما بيّنته في كتابي «تبصير النساء» .

ولذا كان رسول الله ﷺ يعذرنّ في ذلك .

فإما أن يقال : لا مؤاخذه لكون ذلك مما لا تؤاخذ به المرأة ، أو يحتمل

السباب على غير بابه ، فيكون المقصود به الشدة في الانتصار ، أو نحو

ذلك ، والله أعلم .

فلا لوم ولا ذنب على إحداهنّ في هذا المقام .

وأما أن رسول الله ﷺ قال لإحداهنّ : «سُبِّيها» فلم يحصل هذا بحال

ولا يصح له سند ، والله المستعان .

فالمرأة الغيرة إذا أخرجتها غيرتها إلى أن انسد عليها منفذ الفهم

بسبب شدة الغضب فليست مكلفة حينئذٍ .

ولذلك لما قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ! هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» .

قالت عائشة: فَغَرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشُّدْقَيْنِ، هَلَكْتَ فِي الدَّهْرِ، فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا^(١).

فما ورد أنه عَنَّفَ أو عاقب ﷺ في ذلك الموقف .

كمثل يوم أن ضربت إحدى أمهات المؤمنين الصحيفة فسقطت الصحيفة، فانفلقت، فجمع النبي ﷺ الصحيفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحيفة ويقول: «غَارَتْ أُمَّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَيْ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمَسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كُسِرَتْ^(٢).

فما عَنَّفَهَا إذ فعلت ذلك وهي مَنْ؟ وفي بيت من؟، وأمام من؟ . . .

ولا عاقبها .

فالمراة لا تَوَاحِذُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، حَالَةَ الْغِيْرَةِ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهَا مِنْ خَطَأٍ .

فإذا وقع منها سباب، كما وقع نحوه من حمزة يوم أن كان ثملاً محمراً عيناه، وعدا على ناقتي علي بن أبي طالب، فأجَبَّ أَسْنَمْتَهُمَا وَبَقِرَ خَوَاصِرَهُمَا، وَلَمَّا عَاتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا فَعَلَ، نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى سِرَّتِهِ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) كما في «صحيح البخاري» (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٢٥).

«هل أنتم إلا عبيدٌ لأبي»^(١).

ولم يعاتب أو يعاقب زينب بنت جحش رضي الله عنها لأجل مثل هذا، والله الموفق.

ولذلك قال العلماء في شأن قول عائشة عن خديجة ما قالت :

«الغيرة مسامح للنساء فيها، لا عقوبة عليهن فيها: لما جبلن عليه من ذلك، ولهذا لم تزجر عائشة رضي الله عنها»^(٢).

فلا تُؤاخذ الغيرة بما يصدر منها في حال غيرتها.

التاسع :

قول معاوية رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

قال : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسِبَّ أَبَا التُّرَابِ؟

فَقَالَ : أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَنْ أَسْبَهُ ، لِأَنْ تَكُونَ

لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ ، خَلَفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلَفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا

تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي» .

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ : «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩)، وتمامه : «فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ

ثَمِلٌ . فَكَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقْبِيهِ الْقَهْقَرَى» .

(٢) راجع «فتح الباري» (١٤٠/٧)، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (٢٠٢/١٥).

وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا» فَأْتِيَ بِهِ أَرْمَدًا، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّأْيَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»^(١).

فهذه لا تصح سنداً لانفراد بكبير بن مسمار ومخالفة الثقات له في سياق روايته، وهو لا يحتمل تفرُّده لاسيما بهذا السياق.

وقد أجاب العلماء عن اللفظة لو صحَّت بتأويلها بما حاصله:

أن ذلك ليس فيه تصريح بأن معاوية أمر سعدًا بسبِّ علي رضي الله عنه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السبِّ؛ أي: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك، فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السبِّ فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، فإن معاوية ما سبَّه قط مع أنه كان يحاربه.

ولعل سبب السؤال:

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٣٤٢)، والترمذي (٣٧٢٤)

وغيرهم من طريق بكبير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه به.

وفي بكبير بن مسمار كلام كثير، ورواية مسلم له في الشواهد لا في الأصول.

وقد رواه مسلم في الأصول من طريقين آخرين عن سعد بن أبي وقاص ليس فيهما أن

معاوية رضي الله عنه سأل سعدًا عن امتناعه عن سبِّ أبي تراب.

وآخرون قد رووه وخالفوا سياق رواية مسلم -التي في الشواهد-، فلم يذكروا سؤال

معاوية لسعد، فالأصح عدم سؤال معاوية سعدًا عن عدم سبِّه لعلي. هذا من ناحية

الأسانيد والله أعلم

أن سعدًا كان في طائفة يسبُّون عليًّا فلم يسبَّ معهم، وعجز عن الإنكار.

أي: السؤال سؤال استكشاف لا سؤال حثّ على السبِّ، وحاشا من هو دون معاوية أن يفعل ذلك، فكيف بمعاوية الذي كان يُجلُّ عليًّا، بل يعلم أنه أفضل منه، إنما كانت أخطاء هم فيها أصحاب أجر واحد، كما بينته في كتابي «شفاء صدور الموحدين بذكر فضائل خال المؤمنين».

العاشر:

ما رواه الطبري (١١٣/٤) رقم (٣٨٣٤) من طريق مَحْرَمَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ الْأَشْتَرِ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: سَبَّنِي عَمَّارٌ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْلَاكَ مَا سَبَّنِي ابْنُ سُمَيَّةَ، فَقَالَ: «مَهْلًا يَا خَالِدُ، مَنْ سَبَّ عَمَّارًا سَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ حَقَّرَ عَمَّارًا حَقَّرَهُ اللَّهُ»، فهذا في إسناده مخرمة بن ربيعة ولا أعلم فيه جرحًا ولا تعديلاً.

وقد قال ابن حبان عنه: يروي المراسيل، والظاهر أنه معروف بهذا الخبر، وله طرق بذكر السباب لا يصح منها شيء. وقد روى هذا بإسنادين آخرين.

الأول: أخرجه أحمد (١٦٨٢١) من طريق شعبة والطبراني (٣٨٣١) من طريق عمرو بن مرزوق كلاهما - شعبة وعمرو بن مرزوق - عن سلمة بن كهيل عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه - وسقط من المسند - عن الأشتر - وهو مالك - قال:

كَانَ بَيْنَ عَمَّارٍ وَبَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كَلَامٌ، فَشَكَاهُ عَمَّارٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يُعَادِ عَمَّارًا يُعَادِهِ اللَّهُ ﷻ، وَمَنْ يُبْغِضُهُ يُبْغِضُهُ اللَّهُ ﷻ، وَمَنْ يَسْبَهُ يَسْبَهُ اللَّهُ ﷻ» ليس فيه أنه سبه .

وهذا إسنادٌ صحيح رجاله ثقات

وقد حكى الخلال في «السنة» (٨٣٧) عن مهني سألت أحمد عن مالك الأشرى يروى عنه الحديث؟ . قال: لا .

وفسر الحافظ في «التهذيب» هذا فقال:

«لم يرد أحمد بذلك تضعيفه وإنما نفى أن تكون له رواية» .

قلت -محمد-: كيف وقد روى له هذا الإسناد وهو في المسند كما

رأيت

ويبدو أنه مشهور بهذا الخبر فقط .

لكن الذهبي ذكر له في «السير» (٣٤ / ٤) مدائح وإن كان أخذ عليه

شدته على عثمان

وعلى كل حال للخبر طريق آخر بنحو هذا وهو .

الثاني: أخرجه ابن حبان (٧٠٨١) من طريق العوام بن حوشب، عن

سلمة بن كهيل، عن علقمة بن قيس، قال: أتيت الشام فلقيت خالد بن

الوليد ﷺ، فسمعتُه يحدث، قال: كان بيني وبين عمارة بن ياسر بعض ما

يكون بين الناس، فأقبلت فعذمته فأتى النبي ﷺ يشكوني إليه، فلما رأته

يشكوني أقبلت أيضا عليه، فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى ما يقول

وَأَنْتَ حَاضِرٌ؟ فَقَالَ: «مَهْلًا يَا خَالِدُ لَا تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْغِضُ عَمَّارًا يُبْغِضُهُ اللَّهُ، وَمَنْ يُعَادِيهِ يُعَادِيهِ اللَّهُ»، فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ جَعَلَتْ أَتَعَرَّضُ لِعَمَّارٍ حَتَّى لَقِيَتْهُ، فَأَعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ.

وسنده صحيح كالذي قبله لا إعلال، ولكن ليس فيه ذكر السباب ولفظ ابن حبان: «فَلَقِيَتْهُ فَرَضِيَّ».

وهذا السند يثبت به سماع علقمة من خالد خلافاً لما قاله النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ» (٢/٣٨): عقب الخبر: «هذا منقطع لم يدرك علقمة خالدًا» فراجع كتابي «الجامع في ذكر رواية».

ولئن كان أبو زرعة وأبو حاتم قد قالوا كما في «العلل» (٢٥٨٨):

«أسقط العوام من هذا الإسناد عدة ورواه شعبة عن سلمة عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن الأشر» . اهـ؛

يعنيان: أن بين سلمة بن كهيل وعلقمة رواية غير مذكورين

وعلى كل فطريق الأشر الأول أيضاً صحيح كما تقدم فلا إشكال في

تصحيحه

ولكن ليس فيه أنه كان بين خالد وعمار سباب إنما كان بينهم كما يكون

بين الأفاضل مما تقدم ولا إشكال.

ولو سلمنا أنه سباب فليس من الباب الذي يُفَسَّقُ فاعله على ما تقدم

نظائره وإلا فالصحيح ما جزمتم به من ناحية الأسانيد ليس فيه سباب والله

أعلم.

الحادي عشر:

قول أسيد بن حضير لسعد بن عباد: «إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ»^(١).

قال العراقي في «طرح الشريب»^(٢):

«إنما انتصر أسيد بن حضير رضي الله عنه لكلام ابن معاذ، وساعده على قتل القائل لهذا الكلام إن كان من الأوس، وقال: إنهما قادران على قتله، حملة على ذلك شدة نصرته للنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحالة العظيمة التي طلب فيها من يعذره من ذلك القائل.

وأنكر - أي: أسيد رضي الله عنه - ظاهر لفظه وإن كان لباطنه مخلص حسن، فيحتمل أنه غاب عن أسيد ذلك المخلص.

ويحتمل أنه علمه وأنكر على ابن عباد ظاهر اللفظ.

وكم من لفظ يُنكر إطلاقه على قائله، وإن كان في الباطن له مخلص.

(١) في رواية «الصحيحين» البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٤٧٧٠).

وذلك لما اعترض سعد بن عباد على قول سعد بن معاذ للرسول صلى الله عليه وسلم حينما سمعه يقول: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَدَاهُ فِي أَهْلِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا...»، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْذِرُكَ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ فَقَالَ لَهُ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّه فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ...».

(٢) (٦٤ / ٨).

فهذا ما سمح به الخاطر في تنزيه الصحابة رضي الله عنهم ، والعلم عند الله . اهـ
وقال المازري :

«قول أسيد لسعد : «إِنَّكَ مُنَافِقٌ» .

قد تقدم الكلام على أمثاله إذا وقع بين الصحابة ، وأنه يجب تأويله
على ما يليق بهم .

والأشبه أن أسيداً إنما وقع ذلك منه على جهة الغيظ والحنق ، وبالغ في
زجر سعد ، ولم يرد النفاق الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، ولعله
أراد أن سعداً كان يظهر له وللأوس من المودة ما يقتضي عنده أن لا يقول
فيهم ما قال ، فلاح له أن باطنه فيهم خلاف ما ظهر ،

والنفاق في اللغة : يُطلق على إظهار ما يبطن خلافه ديناً كان أو غيره .

ولعله رضي الله عنه لأجل ذلك لم ينكر عليه رضي الله عنه إن كان سمع^(١) . اهـ^(٢) .

وقال النووي :

«أراد إنك تفعل فعل المنافقين ، ولم يرد النفاق الحقيقي»^(٣) .

وسياتي مزيد لهذا قريب .

(١) كيف يقال : «إن كان سمع» ، لقد سمع هذا فقد كان ينظر ويسمع ما يجري وهو على
المنبر يومها .

(٢) المصدر السابق .

(٣) «شرح مسلم» (١٧/١١٨) .

وهو قول البرماوي النعيمي الشافعي في كتابه «اللامع الصبيح بشرح الجامع =

والحاصل:

أن قول أسيد بن حضير في حادثة الإفك لسعد بن عباد: «كَذَبْتَ لَعْمَرُ اللَّهِ لِنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ»:

إنما هو من الشدة في الرد، وهذا مشروع، والآخر ليس عليه عتب في ذلك، كما بينت عائشة خشية من ظن السوء بسعد بن عباد رضي الله عنه، فقد قالت:

«وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اخْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعْمَرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعْمَرُ اللَّهِ إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ.»

فهذا قول عائشة صاحبة الحادث، فمن يظن السوء بهذا أو ذاك بعد قولها هذا؟

فما كان أسيد بن حضير يعتقد نفاق سعد بن عباد أصلاً، ولا يتهمه بالكذب، وإنما أراد الشدة في الرد لحصول ما لا ينبغي حصوله منه. والذي فيه شبهة في ظاهره بأفعال المنافقين

بل قال العراقي في «طرح التثريب» (٦٢/٨) عن فوائد حديث الإفك:

«السادسة والأربعون: فيه فضيلة ظاهرة لسعد بن معاذ وأسيد بن

= الصحيح» (٢٠١/٨، ٢١٢/١١)، والكرماني في «شرح صحيح البخاري»

المسمى «الكواكب الدراري» (١٨٧/١١، ١٦/٥٧-٥٨)، والمناوي في «فيض

القدير»

(١٥/٧).

حضير...». اهـ.

قلت: «محمد».

وهذا واضح: الأول لموقفه (أعني: أسيداً)، لقوله لرسوله ﷺ ما قال: أنا أعذرك... .

وفضيلة لسعد بن عباد لقول عائشة رضي الله عنها: «... وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا...».

والحقيقة: أن مقصود أسيد بن حضير ليس الجزم بنفاق سعد بن عباد، وإنما مقصود أسيد رضي الله عنه أن سعداً يفعل فعل المنافقين وهو الدفاع عنهم، وهذا من المبالغة في الزجر.

فلا مؤاخذه عليهم في ذلك، والله أعلم^(١).

الثاني عشر: ما ورد عن حنظلة بن خويلد قال:

(١) والواضح أن الصحابي قال ما قال في شأن سعد بن عباد رضي الله عنه على ما وقع في فهمه أن الصحابي متعصب بالباطل، وهذه المسألة - أعني: التعصب بالباطل - فسق وكبيرة - وإن كان الصحابي الجليل لا يقال فيه ذلك -، لكن لما تصور سعد بن عباد ذلك قال ما قال.

ولذلك استنبط القاضي عياض من هذا فقال:

«فيه جواز سب المتعصب في الباطل والمتكلم بذكر القول، والإغلاظ في سبه بما يشبه صفته، وإن لم يكن فيه حقيقة، لقول أسيد بن حضير: «كَذَّبْتَ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ»، وحاشا سعداً من النفاق، ولكن لما كان منه من ظاهر التعصب لابن أبي المنافق عرض له بمثل هذا القول الغليظ» وحكاه عنه العراقي في «طرح الشريب» (٦٢/٨).

إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ؛ إِذْ أَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: أَنَا قَتَلْتُهُ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لِيَطْبُ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ».

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا تُغْنِي عَنَّا مَجْنُونُكَ يَا عَمْرٍو، فَمَا بِالْكَ مَعَنَا؟

قَالَ: إِنِّي مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ، إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ»، فَأَنَا مَعَكُمْ، وَلَسْتُ أُقَاتِلُ^(١).

فالجواب:

أن الاعتراض فيه من معاوية على تحديث عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ، إنما اعترض عليه لأنه ظن أنه وضع الحديث في غير موطنه.

وقد ذكرتُ وجهة استدلال معاوية ﷺ في قتاله لعلي بن أبي طالب ﷺ في كتابي «شفاء صدور الموحدين»، فله حجة فعل بها ما فعل، لكنه على أي حال كان مخطئاً له أجر واحد على خطئه.

فاعتقد معاوية ﷺ أن تحديث عبد الله بن عمرو في هذا الموطن بهذا مما يشق الصف ويختلف الناس عليه، وهو يظن أنه محق فيما ذهب إليه من قتاله لعلي ﷺ. فقال ما قال ليس هو من باب السباب لعبد الله بن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٤٧/٧)، وأحمد (٦٥٣٨) بسندٍ صحيح.

عمرو رضي الله عنه،

فعلى هذا يكون رده عليه من باب الشدة في الرد، لكونه لا يعلم حقيقة الأمور - على حد زعم معاوية - رضي الله عن الجميع،

ولذلك لم ينكر عبد الله بن عمرو ولا عمرو رضي الله عنهما على معاوية شدة رده، ولو كان سبباً لرد عليه ابن عمرو بحديث «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، وشدد عبد الله في الرد عليه، كما شدد في رده على من جاءا يختصمان ويدعي كل منهما أنه قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، رضي الله عن الصحابة أجمعين.

كلمات جرت بين الصحابة رضي الله عنهم محتملة ليست صريحة في السباب والشتم

ككلمة «الأخينس» فهي غير داخلية في السباب .

فالأخينس تأتي بمعنى المدح

وبمعنى الذم،

وبمعنى لا مدح ولا ذم،

وأصل الخنس: الذي يظهر ويغيب، وقد شبه به النجوم التي تظهر

وتغيب، فقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ [النكوير: ١٥]، تغيب بالنهار وتظهر

بالليل، وعلى هذا فالخنس في الناس كثير، كما ورد عن علي رضي الله عنه نفسه .

ففي «الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (٢٠٨) بإسناد حسن عن

عبد الله بن الأرقم قال:

أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ أَنَا وَأَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَلَقِينَا سَعْدُ بْنَ مَالِكٍ فَقَالَ:

كُونُوا عِرَاقِيِّينَ، وَكُنْتُ مِنْ أَقْرَبِ الْقَوْمِ فَسَأَلَ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَقَالَ:

كَيْفَ رَأَيْتُمُوهُ؟ هَلْ سَمِعْتُمُوهُ يَذْكُرُنِي؟

قُلْنَا: أَمَّا بِاسْمِكَ فَلَا، وَلَكِنْ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «اتَّقُوا فِتْنَةَ الْأَخِينِسِ» .

قَالَ: سَمَّانِي؟ قُلْنَا: لَا . قَالَ: «إِنَّ الْخُنُسَ فِي النَّاسِ كَثِيرٌ» .

وله طريق آخر: أخرجه الضياء في «المختارة» (٢٦٨/٣) رقم

(١٠٧١) بإسناد حسن، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال:

كُنْتُ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، أَنَا وَرَجُلَانِ مَعِي، فَنِلْنَا مِنْ عَلِيٍّ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَضْبَانَ، يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَتَعَوَّذْتُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ وَمَا لِي؟ مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي» يَقُولُهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ.

قَالَ: فَكُنْتُ أُوتَى مِنْ بَعْدُ فَيُقَالُ: إِنَّ عَلِيًّا ﷺ يُعَرِّضُ بِكَ، فَيَقُولُ: اتَّقُوا فِتْنَةَ الْأَخْنَسِ، فَأَقُولُ: هَلْ سَمَّانِي؟ فَيُقَالُ لِي: لَا، فَأَقُولُ إِنَّ خَنَسَ النَّاسِ كَثِيرٌ، مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُؤْذِيَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ.

وفي إسناده قنان بن عبد الله يُحسن حديثه، وإن قال الحافظ فيه: «مقبول»؛ أي: ليّن، وقد قال البوصيري في «إتحاف المهرة» (٢٠١/٧): «ورواته ثقات»، فله طرق في «المختارة»،

ثم وقفت له على سندٍ أعلى لهذا في «المطالب العالية» (٣٩٣٨) عزاه لابن أبي عمر العدني.

وقد أخرج إسحاق بإسنادٍ صححه الحافظ في «المطالب العالية» (٤٢٧٣) - وهو كذلك -، عن خيثمة قال:

كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، فِي نَفَرٍ فَذَكَرُوا عَلِيًّا فَشْتَمَوْهُ.

فَقَالَ سَعْدٌ: مَهَلًا عَنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّا أَصَبْنَا دُنْيَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] فَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَبَقَتْ لَنَا.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَوَاللَّهِ إِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُكَ وَيُسَمِّيكَ الْأَخْنَسَ.

فَضَحِكَ سَعْدٌ حَتَّى اسْتَعْلَاهُ الضَّحِكُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ يَجِدُ الْمَرْءُ

عَلَى أَخِيهِ فِي الْأَمْرِ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ لَا يَبْلُغُ ذَلِكَ أَمَانَتَهُ وَذَكَرَ كَلِمَةً أُخْرَى.

قال الحافظ عقبه في «المطالب» (٥٦/١٢):

«هذا إسنادٌ صحيح، وقد اشتمل على فوائد جلييلة». اهـ

قلت «محمد»: نعم والله نعم.

الثالث عشر: تعبير أبي ذر لبلال بأُمَّه^(١):

فعن المعرور بن سويد قال:

لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ:
إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهِ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ إِنَّكَ
أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ
أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا
يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(٢).

(١) في رواية: أنه قال له: «يا ابن السَّوْدَاءِ» كذا عند البيهقي في «الدلائل» (٩٥٤)، و«الشعب» (٥١٣٥).

وفي «مسند أحمد» (٢١٤٠٧) من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: «انظُرْ فَإِنَّكَ لَيْسَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى».

(٢) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

وفي «مسند أحمد» (٢٣٤٨٩) من حديث أبي نضرة عن سمع خطبة رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «... أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ؟...» الحديث. وإسناده صحيح، ولكن ليس فيه أن أبا ذر قال لبلال: «... يا ابن السَّوْدَاءِ».

وموطن الشاهد: «سَابَيْتُ رَجُلًا»، ثم فسّره بأنه عيّره بأمه .

وفي رواية مسلم:

أنه ذكر سبب ذلك وسأل رسول الله ﷺ:

قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَبِينًا أَنْ ذَلِكَ مِنْ أفعالِ الجاهلية فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَةٌ..» .

وهذا محمول على أن أبا ذر لم يكن يعلم المنع من ذلك، وإنما كان يعمل بما جرت به العادة قديمًا بفعله .

فبيّن رسول الله ﷺ له أن سباب الناس أو الطعن في أنسابهم من عادات أهل الجاهلية، فامتنع ﷺ .

وكان بعد ذلك يفعل مع الغلمان ما ذكر في صدر الحديث، استجابة لرسول الله ﷺ يلبس غلمانه كما يلبس .

فهذا الحديث فيه فضيلة لسرعة استجابة أبي ذر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ لا يذم أبو ذر لأجله .

أخطأ ونبّه رسول الله ﷺ فامتلأ الأمر، فماذا؟!

وانظر إلى نقله عنه في نفس الحديث:

«كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ . . .» الحديث، سماه بعد ذلك

أَخًا .

الرابع عشر: ما حصل بن خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ
أَحَدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» .

وهذا الحديث، وإن رواه مسلم، فإن السياق الذي فيه السباب غير صحيح، والصواب أنه صحيح بغير ذكر لفظ السب، كما بينته في كتابي «التوضيحات الجلية» (ص ٢٢٥-٢٢٦).

ولم يتهم رسول الله ﷺ، ولا الصحابة خالداً بالفسق لأجل ما حصل -إن كان صحح سند هذا-، وقد يحمل على معنى من المعاني المتقدمة التي حصلت بين عمار وعثمان، أو بين علي وعثمان، أو غيرهما، بل إن ابن حبان في «صحيحه» (٢٣٨/١٦) استدلل بهذا الحديث على أن الصحابة كلهم عدول، وهو استنباط جيد.

الخامس عشر: ما أخرجه ابن حبان^(١) من طريق إسحاق بن راشد،

عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها :

أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ،
وَتَضْرِبَانِ بِالْدَفِّ، فَسَبَّهُمَا، وَخَرَقَ دُفَيْهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَهُمَا
فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ»

كذا أن أبا بكر رضي الله عنه سبهما وهو لفظ منكر.

(١) «صحيح ابن حبان» (٥٨٦٩).

فإن في رواية إسحاق بن راشد عن الزهري ضعفاً .
واللفظ الصحيح هو لفظ «صحيح البخاري» (٩٥٢)، ومسلم
(٨٩٢):

أن أبا بكر قال لهما :

أَمْزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ - وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ - ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا» هذا إذن .

وقد رواه ابن حبان نفسه من طريق أبي أسامة عن هشام بن عروة عن
أبيه، عن عائشة^(١) من نفس طريق البخاري ومسلم باللفظ الصحيح .

السادس عشر: قول عبد الرحمن بن عوف لخالد: «قاتلك الله»:

فعن إياس بن سلمة، عن أبيه قال:

لَمَّا قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - يَعْنِي: بَعْدَمَا صَنَعَ بَنِي جَدِيمَةَ
مَا صَنَعَ - عَابَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى خَالِدٍ مَا صَنَعَ، قَالَ: يَا خَالِدُ، أَخَذْتَ
بَأَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، قَتَلْتَهُمْ بِعَمِّكَ الْفَاكِهِ، قَاتَلَكَ اللَّهُ، قَالَ: وَأَعَانَهُ عَمْرُ بْنُ
الْخَطَّابِ عَلَى خَالِدٍ .

فإنه قد أخرجه ابن عساكر (٢٣٤ / ١٦) من طريق الواقدي، وهو
متروك .

وإنما الذي أخرجه البخاري (٤٣٣٩) عن ابن عمر قال:

«بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى

(١) «صحيح ابن حبان» (٥٨٧٧) .

الإسلام، فلم يُحسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ. « أصل القصة.

وليس فيه أن عبد الرحمن بن عوف قال لخالد: «قاتلك الله» التي هي موطن الشاهد، والله أعلم.

السابع عشر:

ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) عن سليمان بن صرد قال:
اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ
أُودَاجُهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةَ لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي
يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فَقَالَ: الرَّجُلُ وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ
جُنُونٍ؟

ورواية البخاري: فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ:
إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ.

فهذا يُجاب عنه:

بأن الصحابي ليس بمعصوم، قد يحصل بينه وبين أخيه ما يحصل من
البشر، لكنه إذ ذُكر تذكر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ
طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فلا إشكال
إلا إذا قلنا بعصمة الصحابة، ولا قائل يقول بهذا.

(١) البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

وجواب آخر:

لو قيل: إن الصحابي الذي وقع منه السباب كان غضباناً، وانغلق عقله من الغضب، فلا يدري ما يقول، فصار في حالة أشبه بحالة السكران الذي لم يوقع الشرع طلاقه، ولا رتب على فعله - والحالة هذه - أثراً، فيقال حاله حينئذ كحال غير المكلف.

وقد ورد هذا بسياق يدل على ذلك:

أخرجه أبو داود عن معاذ بن جبل قال:

اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنْ أَنْفَهُ يَتَمَرَّعُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْغَضَبِ». فَقَالَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاذٌ يَأْمُرُهُ فَأَبَى وَمَحَكَ وَجَعَلَ يَزِدَادُ غَضَبًا.

لولا أن إسناده ضعيف لا يصح.

وقد يكون هذا الرجل الذي وقع منه السباب ولم يتذكّر إذ ذكّر بقول رسول الله ﷺ فأبى، من المنافقين الذين لم يلحقهم شرف الصحبة أصلاً.

وعليه، لا إشكال من وقوع مثل ذلك منه، والله أعلم.

ثم رأيت الحافظ في «الفتح» (١٠/٤٦٧) قال:

«وَأَخْلَقَ بِهَذَا الْمَأْمُورِ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا^(١)، أَوْ كَانَ غَلَبَ عَلَيْهِ

(١) فهذا إما منافق، أو من جفاة الأعراب الذين قال بعضهم لرسول الله ﷺ: اعطني =

الْغَضَبِ حَتَّى أَخْرَجَهُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ بِحَيْثُ زَجَرَ النَّاصِحُ الَّذِي دَلَّهُ عَلَى مَا يُزِيلُ عَنْهُ مَا كَانَ بِهِ مِنْ وَهَجِ الْغَضَبِ بِهَذَا الْجَوَابِ السَّيِّئِ .

وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ مِنْ جُفَاةِ الْأَعْرَابِ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَسْتَعِيدُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا مَنْ بِهِ جُنُونٌ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْغَضَبَ نَوْعٌ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلِهَذَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ صُورَتِهِ وَيُزِيلُ إِفْسَادَ مَا لَهُ كَتَقَطِيعِ ثَوْبِهِ وَكَسْرِ آيَاتِهِ أَوْ الْإِفْدَامِ عَلَى مَنْ أَغْضَبَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَاظَاهُ مَنْ يَخْرُجُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ . اهـ

قلت - محمد - :

ويؤيده رواية النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٩٢): «فغضب فجعل يقول ويقول . . .» الحديث، من رواية سليمان بن سرد .

وفي رواية أحمد (٢٢٠٨٦): «فغضب أحدهما حتى أنه ليخيل إلي أن أنفه ليتمرغ من الغضب . . .» الحديث من حديث ابن أبي ليلي عن معاذ، فقد يكون لا يدري ما يقول من شدة الغضب، فهو غير مؤاخذ بما يقول أصلاً .

وفي رواية البخاري: «فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير»، كما رأيت .

وفي رواية مسلم برقم (٢٦١٠): «فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه» .

= من مال الله الذي عندك . . . أو فهو أشبه بمن قال لرسول الله: «اغدِل»، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، وحديثه في «صحيح البخاري» (٣١٣٨) ومسلم (١٠٦٣)، وعلى أي حال لا أسوة في الشر إنما الأسوة في الخير .

فكما عذر النبي ﷺ حمزة حينما بقر سنما الشارفين الذين كانا لعللي ﷺ حال سكره ونظر إليهما وقال: «هل أنتم إلا عبيد لأبي» - ولم تكن الخمر حُرِّمت - وعذره لحاله، كذلك عُذر هذين، وهو كعذر نبي الله موسى ﷺ لما أغلق الغضب عقله، فألقى الألواح التي فيها هدى ورحمة وكتبها الله بيده.

وتمَّ أخبار أخرى فيها وقوع أشياء بين بعض الصحابة، كثيرٌ منها لا يثبت سنده فأعرضنا عنه.

والمقصود:

براءة ساحة الصحابة مما وقع بينهم مما يوهم سباباً ﷺ، فهم المبرءون من كل نقيصة ﷺ، فما وقع بينهم إنما هو من باب لا يقدر فيهم ولا في واحد منهم والله أعلم.

ولذلك جزم الأئمة بوجوب الكفِّ عما شجر بينهم من أشياء، كما بينته في غير هذا الموطن.

فلا يُتوهم أن الصحابة ﷺ كان بعضهم يسبُّ بعضاً، فتنبّه.

وقد قال ابن أبي داود في «حائيته» في العقيدة:

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
والله المستعان.

فصل في مراتب السباب في الحرمة

اعلم - علمني الله وإياك - أن كل ما ورد في الباب مما يوهم سباباً غير صريح وقد تقدم تأويل كثير منه، رضي الله عنهم جميعاً، لكن ليعلم أن مراتب السباب متفاوتة .

فمنه : ما هو كفرٌ وردّة، كما إذا كان السبُّ لله أو الرسول أو سبّ من انعقد الإجماع على عدالته كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم .
ومنه : ما هو دون ذلك، وفساده قاصر على ذات السابِّ ونفسه وهو من وقع عليه السباب، كسباب المسلم لأخيه .

ومنه : ما هو مكروه كسباب المشركين كما لو جرّهم إلى سباب الله أو الدين، فإن الله قال : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فالنظر هنا لما سيئول إليه، فإن أدى سباب المشركين إلى محرم فهو حرام، وإن أدى إلى مكروه كإيذاء أهل الإيمان فهو مكروه، وإن لم يؤدِّ إلى مفسدة فلا بأس، فإنهم أهل النقائص والعيوب، أراحنا الله منهم .

ومن السباب : ما ضرره يتعدى الغير ولا بد، فهو محرم لذاته، كسباب الحكام والأمرء .

فإن الأمير وإن كان فاسقاً فسبابه يؤدّي إلى الوقعة بينه وبين الرعية وانقلابهم عليه، ومن ثمّ المفساسد، وهو نواة الخروج على الأمرء المحرم، وهو من أفعال الخوارج، ولذلك نهى كبار الصحابة عن سبِّ

الأمراء في أيامهم، وأثمتهم يومها كانوا أئمة جور،
وقد قال رسول الله ﷺ عن بعضهم: «هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ»، ومع
ذلك ورد النهي عن سبابهم كما سيأتي.

وعامة السلف من الفقهاء عاملوا الأمراء بلطف ورفق وأدب عند
مخاطبتهم، ونصحوهم مع جورهم، كما بينته في كتابي «نصح الحكام
بين الغلو والتفريط»، إلا ما كان من سلف الخوارج، فلهم مع الأمراء
ومع من يتأدب معهم ويأمر بالصبر عليهم ويمنع من الخروج عليهم، لهم
معهم شأن آخر كما بينته في كتابي «مناصحة الخوارج»،
وإليك التعليق على أنواع السباب.

● أولاً: سباب الله أو الدين أو الرسول ﷺ، وهو أخطر أنواع السباب:

سباب الدين كافر بالنص والإجماع مرتدٌ خارج عن دين الإسلام،
حتى لو عرَّض بسبِّ الله تعالى.

بل الاستهزاء بالدين أو المؤمنين لإيمانهم كفرٌ كما قال تعالى:
﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ
كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وقد ورد في سبب نزولها قول المنافقين يا رسول الله إنما كنا نخوض

ونلعب

فلا يجوز بدء من يقع منه ذلك بالسلام، ولا يُردُّ عليه إن بدأ،

ولا تُجاب دعوته،

ويجب هجره هجرًا كاملاً ، حتى يتوب أو ينفذ فيه حكم الله بالقتل من جهة ولي الأمر ، لعموم قوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١).

والمنتسب إلى الإسلام إذا سبَّ الدين فقد بدل دينه ، ومن تأمل في معنى سبِّه وجد ذلك ، ولذلك فإن كثيراً منهم لا يُعذر بجهله ، فإنه يطلب من بعض الأشخاص يقول له : «ردّ لي ديني» ، وهذا يدل على علمه أنه خرج من دينه بمقتضى ما قال .

وإذا مات هذا الساب فلا يُصلى عليه ، ولا يُدفن في مقابر المسلمين ، بل يُلقى على المزبلة^(٢).

وبالجمله ، فسأبُّ الدين على خطر عظيم فليُقْلَعْ وليُحذَرُ من تورّطه بإلف العادة في ذلك ، نسأل الله تعالى أن يهدي المسلمين لما يحب ويرضى .

وتناول أسباب السبِّ بالدين وتفصيل كيفية التخلص منه ليس المقام مقامه ، وهل يستتاب من وقع منه ذلك أم لا ؟

خلاف بين العلماء ،

ولعل الأقرب فيما يظهر الآن لي -والله أعلم- استتابته ،

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠١٧).

(٢) راجع كتابي «لمع الأدلة» (١/٨٩-٩٠)، و«فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/١٢ ، ٢٢)، وانظر (٤١٦/١) وقد قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في فتاويه رقم (٧٩): «هذا الباب كغيره من أبواب الكفر يُعَلَّم ويؤدب ، فإن علم وعاند بعد التعليم والبيان كفر ، وإذا قيل : لا يعذر بالجهل فمعناه يُعَلَّم ويؤدب وليس معناه يكفر» .
والصواب ما ذكرناه عالياً وترك التفاصيل أحسن في الدعوة ، والله أعلم .

وليس المقام مقام بسط أكثر من ذلك
وبالجملة: على الآباء والمريين والمعلمين أن يتناولوا هذا الأمر الذي
فشا في أوساط المسلمين يسب الدين لغضب يغضبه كأنه أمرٌ مباح أو
مكروه، والعياذ بالله!! .

وكذلك سبُّ الله أو الرسول ﷺ :
هذه ردة .

وإذا كان مجرد إيذاء الله ورسوله ﷺ من أسباب اللعن في الدنيا
والآخرة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، كذا عذاب
موجع مؤلم لمن آذاه، فكيف بمن سبه، والسبُّ أعلى درجات الإيذاء .
ولذلك لما كان أبو هريرة يدعو أمه كل يوم إلى الإسلام فتأبى عليه،
فدعاها ذات يوم فأسمعتة في رسول الله ﷺ ما يكره قال:

فَأْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَبْكِي . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو
أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ . فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ . فَادْعُ
اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . . . الحديث^(١) .

خشي أن يختم لها بسوء لكونها سبَّت النبي ﷺ، أو تكلمت عليه بما
لا يليق والله يغضب لغضب رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يغضب من
إيذائه .

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩١) .

وسبُّ الرسول ﷺ ردةٌ توجب القتل .

وكذلك ينتقض عهد أهل الذمة إذا سبوا الرسول ﷺ، ولا يكون لهم عهد إذا سبوه، ولو لم يكن اشترط عليهم عدم سبِّه لأنه المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً، والمعروف عرفاً أن سباب الرسول ﷺ ممنوع منه عند المسلمين .

لأن سبَّ النبي ﷺ سبٌّ للدين الذي أتى به رسول الله ﷺ، وطعن فيما أرسله الله به رسوله ﷺ، وكفى بذلك كفراً .

وإنَّ سبَّ الذميِّ النبيِّ ﷺ لا يختلف حكمه عن حكم سبِّ المسلم للنبي ﷺ، فحكمه القتل، وإن كان له عهد انتقد عهده، وينفذ فيه الحكم من قبل أولياء الأمور، لا يُفتات عليهم في ذلك، والحدود لا تُنفذ إلا من قبل ولي الأمر، إلا عند الخوارج أهل البدع الذين يُنفذون الحدود بغير إذن الحكام .

ولهم شُبُه في ذلك أوهى من بيوت العنكبوت، والله المستعان .

لكن إن سبَّ الذميِّ النبيِّ ﷺ ثم تاب توبة غير فارِّ بها من القتل (أعني : أسلم) فإنه يُدرأ عنه العقوبة، لعموم قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ولقوله ﷺ : «الإسلامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ»^(١) .

ولا فرق بين سباب النبي ﷺ ومحمد، وبين سباب غيره من الأنبياء -

(١) صحيح : أخرجه مسلم .

عليهم الصلاة والسلام- .

والتعريض في ذلك كالتصريح بالسبِّ سواءً بسواء، لعظم حرمة الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- .

قال ابن حزم في «المحلى» (١٣/ ٢٣٧):

«كل من سب الله تعالى أو استهزأ به، أو سب ملكاً من الملائكة أو استهزأ به، أو سب نبياً من الأنبياء، أو استهزأ به، أو سب آية من آيات الله تعالى، أو استهزأ بها، والشرائع كلها، والقرآن من آيات الله تعالى فهو بذلك كافر مرتد، له حكم المرتد وبهذا نقول وبالله التوفيق» .

وأما سبُّ السكران للنبي ﷺ فإنما يؤخذ بسكره فقط، على قول من أقوال أهل العلم، وليس المحل محل بسط ذلك .

فلم يؤخذ النبي ﷺ حمزة حال سكره لما جبَّ أسنمة الشارفين اللذين كانا لعلي رضي الله عنه، وقال لرسوله وعلي: «هل أنتم إلا عبيد لأبي» .

وأما الإكراه على سبِّ النبي ﷺ، فليس فيه إثم .

وقد أكره عمار رضي الله عنه على التلفظ بالكفر فتلفظ بألفاظ هي كفر، ونال من النبي ﷺ، وهو مُكْرَهُ،

فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، هذا ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان، وعلى هذا الجمهور^(١) .

(١) راجع «المغني» لابن قدامة (٩/ ٢٤) .

وكذلك من سبِّ ملة الإسلام .

فإذا أكره الإنسان على سبِّ الرسول ﷺ أو أحدٍ من الخلق وهو مُكره فلا شيء عليه .

وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]
نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر .

وقد أخرج الحاكم^(١)، وغيره بسندٍ يتقوى بغيره إن شاء الله، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال:
أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ
آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا وَرَاءَكَ؟» .
قَالَ: شَرُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَرَكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ
بِخَيْرٍ .

قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ .

قَالَ: «إِنْ عَادُوا فَعُدُّ» . وصححه الحاكم .

والمفسرون - فيما أعلم - جميعاً على أن الآية نزلت في شأن عمار بن ياسر ﷺ، ومعلوم أنه لا يترتب على أحكام المكره شيء، لا طلاق، ولا عتاق، ولا إنكاح، ولا شيء من هذا .

لكن يكون إكراهها حقيقياً، لا أن يصنع الإنسان شيئاً من مدهانة لنيل وجاهة أو ما شابه ذلك، فإذا ما عُرض من أهل الحق ادّعى أنه كان مكرهاً .

(١) في «المستدرک» (٢/ ٣٨٩) .

وليراجع كتب «أصول الفقه» فيما يحصل به الإكراه .
والمقصود:

أنه لا يترتب على سباب المُكْرَه أحكام، وتقدم دليله .

● ثانيًا: سباب الصحابة رضي الله عنهم، وهو أقل خطرًا مما قبله، لكنه منه ما هو كفرٌ، ومنه ما هو كبيرة:

فسباب من أجمعت الأمة على إمامته كأبي بكر وعمر وعثمان . . .
فسباب كفرٌ وردة؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وقد أثنى الشرع عليهم، فالطعن فيهم طعنٌ في الوحي الذي أثنى عليهم، فصار الثناء عليهم معلومًا من الدين بالضرورة .

فبراءة هؤلاء ورفع قدرهم معلومة من الدين بالضرورة .

ومن هؤلاء: عائشة رضي الله عنها، وبقية أمهات المؤمنين .

فرمي بعض هؤلاء بالفواحش ردة؛ لأن مفاده تكذيب للقرآن الذي أثنى عليهم، وتضليل لعلماء الأمة الذين أثنوا عليهم، والأدلة على النهي عن ذلك والثناء عليهم كثيرة، ذكرتها في غير هذا الموطن .

وقد سئل الإمام أحمد عمَّن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟

قال: ما أراه على الإسلام .

وفي رواية عنه قال:

«مَنْ شَتَمَ أَخَافَ عَلَيْهِ الْكُفْرَ مِثْلَ الرُّوَافِضِ، لَا نَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَرَقَ

من الدين . ونهى أن يصلى خلفه أو يرد عليه السلام، قال : يُتهم على الإسلام»^(١) .

وقال الحافظ ابن كثير بعد ذكر آيات الإفك :

«أجمع العلماء -رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها -يعني : عائشة- بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر ، لأنه معاند للقرآن ، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان^(٢) : أصحهما : أنهنّ كهي ، والله أعلم»^(٣) .

قال القاضي عياض :

«من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص .

فإن قال : كانوا على ضلال وكفر قتل^(٤) ، وإن شتمهم بغير هذا من

(١) انظر : «السنة» للخلال (٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨٣) ، و«السنة» لعبد الله بن أحمد (٧٨٢) ، و«شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩) ، و«الشفاء» للقاضي عياض (٦٥٦/٢) ، و«طبقات الحنابلة» (١٠٧/١) .

(٢) وقد حكى القاضي عياض في «الشفاء» القولين فيمن سب غير عائشة ﷺ : أحدهما : يُقتل لأنه سب رسول الله ﷺ بسب حليلته ، والآخر : أنها كسائر الصحابة يُجلد حدّ المفترى .

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢٦٣/٣) .

(٤) ووجه ظاهر : أن الله أثنى عليهم جميعاً بلا استثناء لأيّ ممن كان معه وقال : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٢٥] ، فالطاعن فيهم محادّ للقرآن .

مشاتمة الناس نُكل به نكالا شديدا»^(١).

وقال سحنون :

فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أنهم كانوا على ضلال وكفر قُتل ، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نُكل النكال الشديد .

وروى عن مالك :

من سبَّ أبا بكر جُلد ، ومن سبَّ عائشة قُتل .

قيل له : لِمَ ؟

قال : من رماها فقد خالف القرآن ، والله يقول : ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧] .

فمن عاد لمثله فقد كفر وبغى .

قال ابن حزم في «المحلى» (١٣/٢٣٨) .

وقال عمر بن عبد الله الخرشبي المالكي :

«من رمى عائشة بما برأها الله منه بأن قال : زنت ، أو أنكر صحبة أبي بكر أو إسلامه ، أو إسلام جميع الصحابة ، أو كفر الأربعة أو واحدا منهم ، كفر» .

(١) «شرح مختصر خليل» (٨/٨٤) .

بل قال أحمد كما في «طبقات الحنابلة» (١/٣٠) : «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه ؛ بل يعاقبه ويستتبه ، فإن تاب قبل منه ، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يراجع» .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

«من خصَّ بعضهم بالسبِّ، فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكمالهِ كالخلفاء، فإن اعتقد أحقية سبِّه أو إباحته فقد كفر^(١)، لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله ﷺ، ومكذبه كافر.

وإن سبَّه من غير اعتقاد أحقية سبِّه أو إباحته فقد فسَّق؛ لأن سباب المسلم فسوق، وقد حكم البعض على من سبَّ الشيخين بالكفر مطلقاً، والله أعلم.

وإن كان ممن لم يتواتر النقل في فضله وكمالهِ، فالظاهر أن سبابه فاسق؛ إلا أن يسبَّه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ، فإن ذلك كفر.

وغالب هؤلاء الرافضة الذين يسبُّون الصحابة لاسيما الخلفاء يعتقدون أحقية سبِّهم أو إباحته، بل وجوبه، لأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى، ويرون ذلك من أجل أمور دينهم، كما نقل عنهم.

فما أضل عقول قوم يتقربون إلى الله تعالى بما يوجب خسران الدين - والله الحافظ -.

هذا وإنِّي لا أعتقد كفر من كان عند الله مسلماً، ولا إسلام من كان عنده كافراً؛ بل أعتقد من كان عنده كافراً كافراً، وما صح عن العلماء من أنه لا يكفر أهل القبلة فمحمول على من لم تكن بدعته مكفرة، ولا شك أن تكذيب رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه قطعاً كفر، والجهل في مثل ذلك

(١) لأنه عارض الله الذي أثنى عليهم، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

ليس بعذر، والله أعلم»^(١). اهـ

قلت: وإن كان جاهلاً يُعَلِّم.

لوازم سباب الصحابة رضي الله عنهم أمور^(٢):

يلزم من سباب الصحابة أمور:

منها: الطعن في أصل دين الإسلام الذي وصلنا عن طريقهم.

ومنها: الطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله رأساً؛ لأنه معلمهم ومربيهم.

ومنها: إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وإغضابه - عليه الصلاة والسلام -.

ومنها: تكذيب قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:

١١٠]؛ لأن مقتضى ذلك أن القرن الأول عامتهم كفار أو فساق، فتكون هذه

الأمّة شر الأمم؛ لأن سابقي الأمّة شرارها، فأنى لمن بعدهم الخيرية قليلها

أو كثيرها؟!!

ومنها: نسبة الجهل إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

كيف يكون الصحابة مطعوناً فيهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله لا يدري، ولا يأتي

الوحي يبين ذلك ليحفظ الله الدين الذي تعهد سبحانه بحفظه، وقال: ﴿إِنَّا

نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، بل مع ذلك ينزل في القرآن

تركبتهم في غير ما آية؟!!

فالفساق - على حد قولهم - يعبثون بالوحي وأحاديث نبينا صلى الله عليه وآله فيها

(١) «الرد على الرافضة» (ص ١٩).

(٢) أذكرها هنا موجزة مختصرة، وقد ذكرتها بتوسع في كتابي «شفاء صدور الموحدين

بذكر مناقب خال المؤمنين معاوية الأمين» (ص ١٩٥) وما بعدها.

العبث ورسول الله ﷺ لا يدري، والله لا ينزل بيان ذلك على رسوله أو لا يعلم!!

ومنها: العجز واليأس من دعوة الناس للدين والإسلام والخلق القويم والصراط المستقيم.

فهذا المجهود الجبار الذي بذله رسول الله ﷺ على مدى ثلاثة وعشرين عاماً تربيةً وإصلاحاً وتأديباً، لم يجد في الثلة التي معه نجاحاً مع إعانة الله لرسوله ﷺ بالطبع وتعهدده سبحانه لرسوله ﷺ بالنصرة والتأييد من كل وجه. كل هذا لم يُجد ولا يوثق به.

فبمجهود من يوثق؟!!

فليأس العاملون على إصلاح البشرية أصلاً.

ولتتعدم الثقة في المنهج الذي يُربى عليه.

فهذا رسول الله ﷺ ربّي أناساً مطعوناً فيهم، فمن يربي وعلى أي منهج يربي حتى يصعد بالبشر إلى الخير... .

واعلم -بارك الله لي ولك-:

أن المطاعن المنسوبة إلى الصحابة منها ما هو كذب كله، يرويه المتروكون، وإما محرّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرج إلى الذم والطعن، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي^(١)، وراجع

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٨١، ٨٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٩٢)، و«الإبانة» لابن بطة (٢/ ٥٥٧).

كتابنا «شفاء صدور الموحدين» (ص ٢١٠)، وما بعدها .

وإلى الروافض الذين يسبون أمهات المؤمنين أقول بقول رسول الله ﷺ حينما رميت عائشة في واقعة الإفك :

خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : «مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي ، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ» . . . الحديث^(١) .

وما أدري هل من يسبون أمهات المؤمنين علموا بعد ١٤٠٠ عام ما لم يعلمه رسول الله ﷺ على أهله؟! - قبح الله من يفعل هذا تقيحًا كبيرًا - .

فهذه غيرة أصحاب النبي ﷺ الصغار وحنقهم على من يسب رسول الله ﷺ :

أختم الفائدة بها نفع الله :

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في غزوة بدر :

بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ - حَدِيثَةَ أَسْنَانُهُمَا ، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا - فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ : يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟

قُلْتُ : نَعَمْ ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي ؟

قَالَ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا .

فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ .

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٠) .

فَعَمَزَنِي الْآخَرَ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا .
 فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ .
 قُلْتُ : أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي سَأَلْتُمَنِي .
 فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ . . . الحديث^(١) ، وسب زوجة رسوله ﷺ سب له وإيذاء ﷺ .

وهذا الموقف فيه من العظات والعبر ما ينفعنا في تربية أبنائنا ، نسأل
 الله أن يصلح أحوال المسلمين فراجع له كتابنا «خطب ودروس العام
 بصحيح القصص» .

ثالثاً: سباب الوالدين:

من أسوأ أنواع السباب التي لا يُتخيل عظم مساوئه : سباب الوالدين .
 ونظراً إلى غرابة وقوعه حتى في الجاهلية ، فإن الصحابة رضي الله عنهم تعجبوا
 حين ذكره رسول الله ﷺ ، كيف يحدث هذا؟!
 فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» .
 قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ .
 قَالَ : «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(٢) .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٤١) ، ومسلم (١٧٥٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٣) .

وذلك لعظم حقوق الوالدين قال رسول الله ﷺ ما قال .
ولا خير فيمن تسبب في سباب والديه إذ جرَّ عليهما الإهانة ، وهم
أعظم الناس حقاً عليه بعد الله ورسوله ﷺ فهما أحق الناس بحسن
الصحبة .

فيا هؤلاء :

من سبَّ الرجال سبوا أباه وأمه وعوقب ، كما أشار أبو ذر رضي الله عنه (١) .
فاعقل هذا لا تسبَّ أحداً فيسبَّ أباك وأمك .

تنبيهه : سب الوالد ولده :

سبُّ الوالد ولده ليس فيه تعزير ، وإنما يكون من باب الإدلال الذي
يجري عادةً ، فلا تعزير فيه ، ولا حتى يقدح هذا في عدالته .
فقد سبَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولده .
وسبَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولده .
وسبَّ العباس علي بن أبي طالب ابن أخيه رضي الله عنهما ، كما تقدم ،
وأجبنا على إشكال حصوله منهم رضي الله عنهم قبل .
وهذا قد جرت به العادة فلا إشكال .

(١) ففي «الصحیح» (٣٠) ، ومسلم (١٦٦١) عن أبي ذر الغفاري لما عنَّفه رسول الله ﷺ أن عيَّر عبداً بأمه وقال له : «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» قُلْتُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ . . . الحديث . وهذا لفظ مسلم ،
وليس عند البخاري موطن الشاهد .

فلا تعزير ولا حد ولا إسقاط عدالة إذا حصل هذا من الوالد لولده .
ولكن قد ذكروا تعليلاً في كتب الفقهاء : أن الوالد لا يُحَدُّ في قذف
ولده وحتى لو قتل ولده لا يحد به ، ولا يعزر في شتم الولد كذلك .
والتعليل لهذا بعيد ذكرته في غير هذا الموطن .
فقد حررنا قود الوالد بولده إن قتله في كتابنا «الصحيح من بر الوالدين
وفقه التعامل معهما» .

وإنما قلنا القذف لا يحد به ، لأنه يجري في كثير من الأحيان مجرى
السب والشتم لا بمعنى الرمي بالفاحشة قصداً .
ولذلك لما سبَّ بعض الصحابة أبناءهم -والشتم والسب شقيق
القذف أحياناً- ما ورد أن أحداً من الصحابة عَزَّرَ في ذلك ، والله أعلم .

● رابعاً: سباب الداعي إلى الله:

الداعي إلى الله كريم يُكرم ، وقد أكرمه الله تعالى فقال عنه :
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] ، فليس أحسن قولاً منه .

والفرق بينه وبين العالم : أن العالم إذا أطلق شمل الداعي ومحصل
العلم ، وأما الداعي فقد يكون قليل العلم ، لكنه يدعو الناس إلى الخير
بحسب ما عنده مما أعطاه الله إياه فكلّ عالم داعي إلى الله من غير عكس .
والذين يسبون الدعاة -وإن لم يكن الدعاة من العلماء- أسوتهم مَنْ
بعثه رسول الله ﷺ إلى حيٍّ من أحياء العرب فسبَّوه وضربوه ، فجاء إلى

رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ مَا سَبُّوكَ وَلَا ضَرَبُوكَ»^(١).

فأتسوا يا دعاة وتسلُّوا وفقكم الله

فعدت هذه في مناقب أهل عُمان كما بوب النووي للحديث فهم لا يسبون الدعاة إلى الله تعالى .

لا يُسب الداعي وإن كان قليل العلم ولا يُطعن فيه ،

وقد يكون يُعلم غيره ممن هو دونه ينفعهم ، فإذا فعل فقد بذل وسعه ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ولذا شرع له أن يصلي بمن هو دونه .

لكن يحذر أن يقفو ما ليس له به علم ، ويسأل العلماء ولا يتعدى قولهم ، فمتى تعدى وأخطأ نُبّه وإلا يُحذّر منه ، والله الموفق .

● خامساً: سباب العلماء:

إن سباب العلماء علامة نفاق في المرء ، بدأه ابن سلول وغيره من المنافقين :

فمن الذي قال لَمَّا مرَّ رسول الله ﷺ: «قد غبر علينا ابنُ أبي كبشة»؟! إنه ابن سلول^(٢).

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٤٤).

(٢) كما خرجته في كتابي «بر الوالدين وفقه التعامل معهما» قال ولده ﷺ لرسول الله ﷺ: «وَالَّذِي أكرمَكَ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لئنْ شئتَ لَأَتِينَنَّكَ بِرَأْسِهِ» والخبر إسناده حسن .

ومن الذي كان يستهزئ بالقُرَّاء وأهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ، فأخرج الله ما كانوا يكتُمون في أنفسهم من نفاق، وما كانوا يحذرون إظهاره.

فقد أخرج ابن أبي حاتم^(١) بإسناد حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قَرَأِينَا هَؤُلَاءِ لَا أَرْغَبُ بَطُونًا، وَلَا أَكْذِبُ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجِبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لِأَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنْكِبُهُ الْحِجَارَةَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: «إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضُ وَنَلْعَبُ». وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ». وَإِذَا كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّهَمَ مِنْ سَبِّ الْمُسْلِمِ بِالْفُسْقِ، فَمَاذَا عَسَاهُ أَنْ يَقُولَ ﷺ فِيمَنْ سَبَّ الْعُلَمَاءَ؟! .

مع أن المفسدة التي تترتب على سباب المسلم مفسدة فردية غالباً غير متعدية، أما سباب العالم فهو إسقاط لهيبة الدين بإسقاط حملته الذين هم في الناس قدوة، وتقليل لشأن الدين في قلوب الناس، ونزع الثقة في النفوس تجاه حملته، فماذا ينتظر بعد ذلك؟ إلا كما قال رسول الله ﷺ:

(١) في «تفسيره» (٦/١٨٢٩) وله شواهد.

«حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤْسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» .

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ :

ولقد ابتلي بعض الناس بغيبة صنفين من الأمة هما : ولاية الأمور وخيرة الناس من العلماء والحكام ، فيسلطون ألسنتهم في المجالس على العلماء وعلى الدعاة وعلى الأمراء ، وعلى الحكام الذين فوق الأمراء ، وإن غيبة مثل هؤلاء أشد إثماً وأقبح عاقبة وأعظم أثراً لتفريق الأمة .
أيها الإخوة :

إن غيبة ولاية الأمور من أمراء أو علماء ليست غيبة لهؤلاء بأشخاصهم ، ولكنها غيبة وتدمير لما يحملونه من المسؤولية .
فإن الناس إذا اغتابوا العلماء قلَّ قدر العلماء في أعين الناس ، وبالتالي يقل ميزان ما يقولونه من شريعة الله ، وحينئذٍ يقل العمل بالشرعية بناءً على هذه الغيبة ، فيكون في ذلك إضعاف لدين الله تعالى في نفوس العامة ، وإن الذين يغتابون ولاية الأمور من العلماء ، والحكام ، ليسيئون إلى المجتمع كله ، لا يسيئون إلى الحكام فحسب ، ولكنهم يسيئون إلى كل المجتمع ، بالإخلال بأمنه واتزانه وانتظامه ، ذلك لأن ولاية الأمور من الأمراء إذا انتهك الناس أعراضهم قلَّ قدرهم في نفوس العامة وتمردوا عليهم ولم ينصاعوا لأوامرهم ، ولم ينتهوا عما نهوا عنه .

وحينئذٍ تحل الفوضى في المجتمع ويصير كل واحد من الناس أميراً على نفسه ، وحينئذٍ تفسد الأمور ويصبح الناس فوضى لا سراة لهم .

وإن الغيبة من كبائر الذنوب ليست بالأمر الهين ، ولقد انتشر في الآونة الأخيرة نشرات تأتي من خارج البلاد، وربما تكتب في داخل البلاد فيها سبّ ولاة الأمور والقدح فيهم ، وليس فيها ذكر أي خصلة من خصال الخير التي يقومون بها ، وهذه بلا شك من الغيبة .

وإذا كانت من الغيبة فإن قراءتها حرام .

وكذلك تداولها حرام ، ولا يجوز لأحد أن يتداولها ولا أن ينشرها بين الناس ، وعلى من رآها أن يمزّقها أو يحرقها .

لأن هذه تُسبب الفتن ، تُسبب الفوضى ، تُسبب الشر .

ولقد حذر مفتي هذه المملكة شيخنا عبد العزيز بن باز وفقه الله ورحمه في الدنيا والآخرة .

لقد حذر من تداول هذه المنشورات ، وبيّن أنها سبب لفتنة عظيمة ، سببٌ للتفريق بين الحكام والرعية ، وسبب للشر والفساد ، وحذر - وفقه الله لما فيه الخير - ، حذر من تداول هذه الأوراق المنشورة ، وأنا كذلك أحذر معه ، وكذلك بقية إخواننا العلماء الناصحين يحذرون أمتهم من تداول هذه المنشورات .

وإني أقول لكم : أليس النبي ﷺ قال في الغيبة : « إِنَّهَا ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ » ، فهل هذه المنشورات يكرهها ولاة الأمور . . .

وحينئذ يتحقق أنها من الغيبة ، وإذا تحقق أنها من الغيبة فإن الغيبة من كبائر الذنوب ، وإذا كانت من كبائر الذنوب فإنها لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة ولا الصيام ، لقول رسول الله ﷺ : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ

وَالْجُمُعَةَ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنِبَتْ
الْكِبَائِرُ»^{(١)(٢)}.

وعن حكم مجالسة من يطعن في العلماء والأمرء وشمهم ويوزع
مجلة المسعري وهل نقاطهم سئل العثيمين^(٣) :
فقال :

هذا ينظر فيه للمصلحة إذا كان في ذلك مصلحة تأليف قلوبهم وبيان
الحق لهم هذا مطلوب ، ولا ينبغي أن نبتعد عنهم لما فعلوا من المنكر ،
وأما إذا كان هذا لا يزيدهم إلا استمراراً لما هم عليه وتغريباً بالعامّة
بصحة منهجهم فإننا نقاطهم ، لا نحضر مجالسهم التي يقولون فيها هذا
المنكر ، ولا نذنبهم منا حتى لا يكونوا عيناً علينا .
الإنسان في هذا ينظر إلى المصلحة .

وأنا أدعو الجميع إلى الاتفاق والائتلاف والنظر لما ينشر ويقال ، لأنه
ليس من العقل أن يلتفت الناس إلى أقوال تَرْدُ . . . ولا يَنْشُرُ ما يكون سبباً
للثورة والتطاحن بين الأمة ؛ لأن كل إنسان يعلم أن مثل هذا الحال
لا يحسن لا للرعاة ولا للرعية ، بل هي غش مُبْطَن .

فيجب على الإنسان أن ينظر في حال المتكلم من حيث العدالة

(١) مقطع من خطبة بعنوان «الغيبة وأثرها على المجتمع» بتصرف .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة بنحو من ألفاظه .

(٣) من مقطع بعنوان «حكم مجالسة من يطعن في العلماء والأمرء ويوزع مجلة
المسعري» .

والاستقامة وإرادة النصح؛ لأنه ربما يتكلم الإنسان بما يظنه نصيحة وفلاح وهو فساد وفضيحة.

وكون الإنسان إمعة يسير مع الناس حيثما ساروا دون روية ولا نظر في العواقب أمرٌ لا يُستحسن ولا يُستساغ^(١).

وسياتي طعن ولمز أبي إسحاق الحويني، ومصطفى العدوي، وأحمد النقيب، وابن جبرين، وعبد الله بدر، وحازم شومان، ومحمد عبد المقصود، ووحيد بالي، وغيرهم كأمثلة معاصرة لمن يلمزون أهل العلم المتفق على إمامتهم،

سيأتي طعنهم في علماء السنة الذين أثنى عليهم علماء العصر كالألباني والعثيمين ومقبل بن هادي الوادعي، ستأتي نصوص أقوالهم إن شاء الله قريباً.

(١) وما أدري هل مقولة محمد بن حسان حينما أمر الرئيس السيسي جنوده بفضّ الخارجين عليه بالقوة بعدما أنذرهم وأمرهم بالرجوع فعصوا وأوقعوا بفعالهم الضرر بالبلد والمارة فقتل منهم عدداً.

هل محمد بن حسان لما قال له: يا قاتل -كذا على الملاء- دخل هذا في الطعن في الأمراء عنده أم لا؟.

وإذا كان قتلهم بعد أن أنذرهم وأمرهم بالرجوع فأبوا هل يقال القاتل من أخرجهم وأمرهم بالثبات -ثم تركهم وفرّ- هل يقال القاتل هو المتسبب في قتلهم لكونه هو الذي شجّعهم وثبتهم وحرّضهم أم ولي الأمر الذي عصوه؟.

وراجع مقطعاً بعنوان «الشيخ محمد حسان يقول للسيسي وأعوانه: لن ينفعك منصبك» منشور من طلبه وجده.

نعم

«لا يزال الناس بخير ما عَظَّموا السلطان والعلماء، فإن عَظَّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم»^(١).

نعم

إن من مفسد سباب العلماء: أن ذلك يفسد الدين، كما أن سباب الأمراء يفسد الدنيا، وسيأتي بيانه، فكلاهما (سباب العلماء والأمراء) يفسد الدين والدنيا، ولطالما حذر العلماء -رحمهم الله- من ذلك أشد التحذير، والشريعة تحض على احترام العلماء والأمراء فلا يسبُّهم إلا مُنحرف عن الشريعة.

وحسبك بسباب من مدحهم الله تعالى في كتابه وقرن شهادتهم بشهادته مع شهادة الملائكة ورفعهم درجات... وكذا هم في سنة رسول الله ﷺ، وأقوال سلف الأمة.

وهذه الفرية [فرية سباب العلماء] لا تجدها إلا في أوساط أهل البدع.

* من الذي أساء إلى الصحابي عبادة بن قرص فقتله وهو يذكرهم ويدعوهم إلى قبول ما قبله منه رسول الله ﷺ الشهادتين، فعصم دمه، ومع ذلك قتلوه، يا ويحهم^(٢).

(١) قول منسوب لسهل بن عبد الله التُّسْتَرِي، عزاه إليه القرطبي في «تفسيره» (٥/٢٦٠) وغيره، وهو وإن لم أقف له على سندٍ صحيح إلا أنه كلام منضبط.

(٢) قصته في «تاريخ البخاري» (٦/٦٣) وغيره بسندٍ صحيح ذكرتها في كتابي «مناصحة الخوارج».

* أبصر إلى قلة أدب الخوارج مع علي بن أبي طالب . . . وقد قتلوه .
 * أبصرهم كيف قابلوا ابن عباس ولما ذهب يناظرهم ينصحهم فقال بعضهم : « لا تحدّثوه » ، وقال بعضهم : « والله لنحدّثنه » .
 * أبصر فيروز غلام عبد الله بن أبي أوفى وهو يقول عن أبي أمامة :
 « نعم الرجل لو هاجر » يريد منه أن يهاجر إليهم - يا ويحه - ، وقد هاجر عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه الهجرة الأولى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 * أبصرهم وأحدهم يدعو على أبي برزة الأسلمي لماذا؟ لكونه يسير مع دابته وهو يصلي ، مع أنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزوات ، ويعلم تيسيره وتشديده صلى الله عليه وسلم فهو أصح وأسدُّ رأياً وأوفق طريقة
 * أبصرهم حينما تحاصبوا وعثمان رضي الله عنه يخطب على المنبر وتراموا بالبطحاء .

قال الحسن : حتى ما أبصر أديم السماء .

وسمعتُ صوتاً من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا صوتُ أمّ المؤمنين تنهى عن ذلك ، وتقول : « أَلَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم قد برىَ ممَّن فرَّق دينه واختزبَ ، وقرأت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، فهل احتجزوا أم أكملوا المسيرة المرة مسيرة الحمقى وقتلوه وهو من ؟!
 * أبصر أحدهم يقول لعثمان : « يا عثمانُ أعطنا كتابَ الله » ، كما قالوا لعلي رضي الله عنه : « لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ » ، حتى قال الحسن البصري : « أَلَا تَتَوَالَهُ يا فاسقُ ، وما يُدريك ما كتابُ الله !! »

المبتدعة ينبتون من باثة واحدة ، من حماة منتنة .

* أبصرهم وهم ينشبون رماحهم ويوجهونها إلى صدور أصحاب نبيهم ﷺ الذين زكَّاهم .

وأبصر كلمة ابن الكوّاء يخطب الخوارج يقول : « يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أُعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨] ، فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ ! »

وأكثر من هذا ما قاله عبد الله بن وهب الراسبي حيث أمر الخوارج بسلّ السيوف في وجوه أصحاب رسول الله ﷺ .

* أبصرهم وقد قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام واستحلوا أهل الذمة .

* أبصرهم . . . (١) .

* فأبصر الجهمية ابن أبي دؤاد وبشر المريسي وأعاونهم كيف أغروا الحكام زمن الإمام أحمد حتى قتلوا من قتلوا ، وقدحوا في العلماء حتى ضيَّعوا هيبتهم أمام العامة وكثير من طلاب العلم والحكام ، وأوشوا بهم عند الأمراء حتى عذَّبوهم ، فمنهم من ظلم ، ومنهم من سُجن ، ومنهم من ضُرب ، وكانت محنة على العباد ، واستغلَّوا جهل الأمراء بالدين وفعلوا ما فعلوا أبصر هذا .

(١) فراجع تخريجات هذه الأخبار وذكر سياقها في كتابي «مناصحة الخوارج» ففيه ما قد لا تجده مجموعاً في كتاب آخر ، والفضل والمنة لله وحده .

تعلم أن سوء الأدب مع العلماء إنما هو في أهل البدع لا أهل السنة .
* أبصرهم وقد أنشدهم عبد الله بن سلام المبشر بالجنة في قتل
عثمان بن عفان - يعني : ينكر عليهم ويخبر أنهم إن تركوه أربعين يوماً أنه
يموت^(١) فحصبه الناس حتى أدموا وجهه و . . . الأثر والإسناد بذلك
حسن^(٢) .

فهذا سوء أدبهم مع عبد الله بن سلام الحبر الذي ذكره الله في كتابه
ونعته بالمؤمن ، عالم الإسلام هم يسيئون إليه ، ولا عجب أن يصدر منهم
هذا مع الذي يدافع عن الأمراء ، أو يُصبر الناس على الأمراء ، فالله
المستعان .

* أبصر بعضهم وهو نافع بن الأزرق الخارجي وهو يقول لابن
عباس : «فَف يَا وَقَّاق»^(٣) ؛ أي : يا سيئ الطول . يقال رجل قُوق وقاقُ
للتويل السيئ الطول .

(١) لعل هذا رآه في رؤيا منامية ، أو أنه شيء سمعه من رسول الله ﷺ ولم يؤذن له في
التحديث به ، كما لم يؤذن لحذيفة في ذكر أسماء المنافقين ، وأبي هريرة في ذكر
أسماء أمراء سنة الستين ، ومن كان من الأمراء الذين هلك الأمة على أيديهم .

(٢) وقد أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» بإسناد حسن ، وقد خرجته في كتابي
«مناصحة الخوارج» .

(٣) فأخرج الطبري (٤٤١ / ١٩) بسند ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ
دَاوُدَ يُوَضِّعُ لَهُ سِتُّ مِائَةِ كُرْسِيِّ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَشْرَافُ الْإِنْسِ فَيَجْلِسُونَ مِمَّا يَلِيهِ ، ثُمَّ
تَجِيءُ أَشْرَافُ الْجِنِّ فَيَجْلِسُونَ مِمَّا يَلِي الْإِنْسَ .

قَالَ : ثُمَّ يَدْعُو الطَّيْرَ فَيُظِلُّهُمْ ، ثُمَّ يَدْعُو الرِّيحَ فَتَحْمِلُهُمْ .

قَالَ :

قاله الأصمعي فيما حكاه عنه ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص ٧١)، وغيره .

هل رأيت -أخي في الله- قلة أدب وتخلف أكثر من هذه، يسيء الأدب إلى من قال رسوله الله ﷺ عنه ما قال، ويعيبه بشيء يتعلق بخلقه، يعيب خلق الله، وما أدري هذا يعيب الخالق أم المخلوق!!

* أبصرهم وحكى عنهم الشعبي سبهم لأيمن بن خريم وهو رجل مختلف في صحبته لأجل أنه لم يقاتل معهم في الفتن -يا ويحهم- .
قال الشعبي: «لَمَّا قَاتَلَ مَرْوَانَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ أَرْسَلَ إِلَى أَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ الْأَسَدِيِّ فَقَالَ: إِنَّا نَحِبُّ أَنْ تُقَاتِلَ مَعَنَا»^(١).

= فَيَسِيرُ فِي الْعُدَاةِ الْوَاحِدَةِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ .

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَسِيرِهِ إِذْ أَحْتَاجَ إِلَى الْمَاءِ وَهُوَ فِي فَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ .

قَالَ: فَدَعَا الْهُدْهُدَ، فَجَاءَهُ فَفَقَّرَ الْأَرْضَ، فَيُصِيبُ مَوْضِعَ الْمَاءِ .

قَالَ: ثُمَّ تَجِيءُ الشَّيَاطِينُ فَيَسْلُحُونَهُ كَمَا يُسْلُخُ الْإِهَابُ، قَالَ: ثُمَّ يَسْتَخْرِجُونَ الْمَاءَ .
فَقَالَ لَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ: قِفْ يَا وَقَاقَ، أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: الْهُدْهُدُ يَجِيءُ فَيَنْقُرُ الْأَرْضَ، فَيُصِيبُ الْمَاءَ، كَيْفَ يُبْصِرُ هَذَا، وَلَا يُبْصِرُ الْفَخَّ يَجِيءُ حَتَّى يَقَعَ فِي عُنُقِهِ؟ .
قَالَ .

: فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيْحَكَ، إِنَّ الْقَدْرَ إِذَا جَاءَ حَالَ دُونَ الْبَصْرِ .

(١) رأيت كيف يحاول أهل الأهواء أن يستقطبوا المشهورين لجلبهم في صفوفهم لتكثير

سوادهم ليقولوا: معنا فلان وفلان من أهل العلم والفضل يتبعهم الناس .

كذا فعلوا مع مسلم بن يسار، والحسن البصري، وحاولوا مع ابن عمر في قتالهم في

الفتن، كما بينته في غير هذا الموطن كتابي «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم» .

فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي، وَعَمِّي شَهَدَا بَدْرًا فَعَهَدَا إِلَيَّ أَنْ لَا أُقَاتِلَ أَحَدًا يَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ جِئْتَنِي بِرَاءَةٍ مِنَ النَّارِ قَاتَلْتُ مَعَكَ».

فَقَالَ: اذْهَبْ، وَوَقَعَ فِيهِ وَسَبَّهُ، فَأَنْشَأَ أَيْمَنُ يَقُولُ:

وَلَسْتُ مُقَاتِلًا رَجُلًا يُصَلِّي عَلَى سُلْطَانٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ
لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلَيَّ إِثْمِي مُعَاذَ اللَّهِ مِنْ جَهْلٍ وَطَيْشٍ،
أُقَاتِلُ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ شَيْءٍ؟ فَلَيْسَ بِنَافِعِي مَا عِشْتُ عَيْشِي^(١).

* وأبصرهم وقد جلى أمرهم وهب بن منبه: أنهم يشهدون لمن شهد
الله لهم بالإيمان هم يشهدون عليهم بالكفر (وهم نطقوا الشهادتين)
يشهدون عليهم بالضلالة، والله يشهد لهم بالهدى.

* أبصرهم وقد قتلوا عبد الله بن خباب ابن الصحابي وهو يذكركم
بحديث رسول الله ﷺ، وبقروا بطن جاريته !!! .

* أبصر خطابهم مع أميرهم عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد
يسلمون عليه يقولون: «السلام عليك يا إنسان» ذكرته في «مناصحة
الخوارج».

وراجع كتابي «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم».

وقد قيل للإمام أحمد:

يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال:
أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال:

(١) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٩٤٧) بسند صحيح.

«زنديق! زنديق! زنديق!»، ودخل البيت .

وهؤلاء جماعة من المعاصرين ممن يتعصب للعامة لهم حتى أسموهم
علماء :

لهم ألفاظ شديدة مع بعض خصومهم من العلماء^(١)، مع أن كلامهم
منه ما هو افتراء، ومنه ما هو مبنيٌّ على الوهم والتخمين والإشاعات .
ومع ذلك ما اتهمهم المتعصبون لهم بأنهم يسبون العلماء، كذا الكيل
بمكيالين يكون وإلا فلا .

أسردها سردًا لأجلِّي أمر هؤلاء العامة ومن اتبعوا، كمثال لمن أساءوا
للعلماء، وبما أساءوا .

فالتعصب آفة -أجارنا الله منه-، فإنه كبيرة يسب فاعله ويُعاقب
بالتعزير كما بيَّنا ذلك في موطنه . وها أنا أسوق أمثلة لقوم أساءوا للعلماء

(١) ومنهم منه هو أولى بالسنة منهم كالشيخ ربيع المدخلي، ومحمد أمان الجامي،
وذلك لأن هذين بالذات عندهما شدة على المخالفين من أهل البدع كثيرًا -عن
غيرهما- وهذا وجه مدح .

وإلا فإن كلام هذين الشيخين وغيرهما -حفظ الله أحياءهم ورحم الله أمواتهم-
لا يختلفون في أصول المنهج مع الكبار المشهورين أمثال العثيمين والألباني وابن
باز واللجنة الدائمة والفوزان وغيرهم .

فلماذا مثل هذين بالذات وغيرهما تُلقى عليهم التُّهم ويُرمون بالألقاب: المداخلة
والجمامية؟ ويبدو أنهم توجَّعوا منهما ما لم يتوجَّعوا من غيرهما، وإلا فليُظهر
المعادي لهما ما الذي خالفا فيه أهل السنة أو الأئمة الأعلام في أصول المنهج
والعقيدة وإنا لمنتظرون!!

وما حفظوا حرما تهم ولا أجلُّوهم ولا أكرمواهم بل تكلموا عليهم بما يشينهم أمام العامة . . . فإذا نادوا بعد ذلك باحترام العلماء وعدم سبابهم يقال: إنما هو تليس، أو أن ضابط العالم عنده غير مضبوط كما بينته في كتابي «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم».

فها هي الأمثلة:

أبو إسحاق الحويني حجازي بن محمد شريف^(١):

وصف المخالفين له بالحمقى .

وتهكَّم على الشيخ ربيع المدخلي وبعض أهل السنة في إنكارهم على

(١) راجع مقطعا بعنوان «العلامة أبي إسحاق الحويني يفحم المبتدع ربيع المدخلي!!» ودعنا ممن سماه فقد يقتنع البعض بأن العصفور يحلب لبنًا والبقرة فوق الشجرة، والعتب فيه على المصدِّق المغفَّل لا على المحدث المحدث .

(٢) وما أدري يرد على أقوام هنا - أعني: أن منهجه الرد على من خالفه - لكن لماذا لما أصدر الأخ خالد بن عثمان أبو عبد الأعلى - وفقه الله - كتابه «الحدود الفاصلة بين أصول منهج السلف وأصول القطبية والسرورية» متضمنا المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني أصول منهج السلف الصالح، لماذا لم يرد عليه لما خالفه ويذكر وجهات نظره، وكتاب أخي خالد قوي مطبوع، أثنى عليه من لا يوازي حجازيهم هذا طلبتهم، بل ولا طلبة طلبتهم!! .

وتأمل المقطع المذكور كيف خلطه بين الثوابت والمتغيرات في التعامل مع أصحابها، فيشبه خصومة سفيان ووكيع بالخصومة التي تكون بين من يغير ثوابت المنهج، وأهل السنة وسبب هذا الخلط أنه لا يعرف الثوابت من المتغيرات في الشريعة .

فاسمع المقطع ترى تخليطه في المنهج، إن كان لك معرفة بمنهج أهل السنة . =

من يهادن المبتدعة^(١) - وهو منهج أهل السنة الذي غاب عنه - يا ويحه - .
وتهكم على بعض مخالفيه وقال بموازنا ابتدعها أو لأك ما ابتدع له ،
ما رعاها حق رعايتها ، وسماهم «الملاطيش» - كلمة عامية - في مصر بمعنى
المعتوهين أو من شابهم ،

وقال عنهم : «فعلهم ليس فعل العقلاء» .

ثم يسحب قول رسول الله ﷺ : «حَدَّثَاءُ الْأَسْنَانِ ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ ،
يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ» عليهم ، مع أنه في الخوارج . !
فافتضح في فتن الثورة ،

فكذا الفتن فصاحة ، ليعلم العقلاء من الخوارج الذين فيهم هذا
الحديث : هل من يكفرون المصرّ على أكل الربا ،

ويكفرون الحكام ، ويخرجون عليهم أم الذين ينهون عن ذلك

ويدّعي أن أوربا كلها صُدعت بسبب هؤلاء . . . كذا يقول !

ثم يدعو - المسكين - بعد ذلك عليهم يقول في المقطع ذاته :

«طَهَّرَ اللَّهُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ» - مع تظاهره بإرجاء حقه إلى يوم القيامة

بقوله :

= مع أن القادح في الشيخ ربيع المدخلي هو قادحًا فيمن زكّاه كالألبناني وابن عثيمين
ومقبل الوادعي والفوزان وغيرهم؟! .

إلا أن يبين أن هؤلاء أصحاب غفلة لا يدرون ما يخرج من رؤوسهم ، يزكون من
لا يُزكى .

وقد كنت أحترم أبا إسحاق الحويني هذا قبل أن أرى منه ذلك ، ما كنت أظنّه ممن
يسبّون العلماء وبلا موجب . . . نسأل الله العافية .

(اللَّهُ الموعِد)!

يقول عنهم: (هم نزاع وشر)،

وما أدري لماذا لم يراعِ الرفق واللين الذي ذكره بين سفيان ووكيع -
وقد أشار هو إليه في المقطع ذاته - على حد قوله؟

فأنت ترى تسميته غيره من أهل العلم: بـ«الحمقى»، و«الملاطيش»،
و«فعلهم ليس فعل العقلاء»، ثم سحب حديث الخوارج عليهم، مع أن
هؤلاء الذين يقصدهم يحاربون كل من اتصف بصفة من صفات الخوارج،
ويطلقون عليه خارجياً مبتدعاً،

وهو سبب النزاع بينه وبينهم أصلاً، «رمتني بدائها وانسلت».!
وهذه الألفاظ عند المتعصبين له ليست بذاءة، ولا من السباب في قبيل
ولا دبير إذا كانت من محبّتهم،
هكذا الإنصاف وإلا فلا!!

مع أنه لما طعن على المخرّف على جمعه المفتي سموا كلامه ردّاً،
وأما ردّ غيره عليه فسمّوه سباباً، سلام عليكم!!
وأقول: سبحان ربي! أليس في هذا إساءة إلى الشيخ ربيع الذي زكّاه
شيخه الألباني -الذي يتمسّح به- وابن باز وابن عثيمين، وكبار علماء
الأمّة؟!!

ألم يعلم بأن في هذا التعزير.

● تنبيه مهم بشأن تزكية الألباني للحويني:

إياك -سلمك الله- أن تدعي أن الألباني زكّي الحويني .
 فالألباني يزكّي الحويني في تخريج الأحاديث ، أما منهجه وعقيدته
 فلم يزكّه أحدٌ من أهل العلم الكبار -فيما نعلم وإلا فليأت لنا- وإنما
 يلعب الصغار بكلمة الألباني في باب التخريج ، ومنهجه -أعني
 الحويني- واضح أنه خارجي المذهب^(١) يوالي الحزبيين الإسكندرانية .
 وقد بينت قبل أن أهل البدع قديماً وحديثاً يذهبون لنيل تزكيات من أهل
 العلم يُلبسون بها على الناس . كما بينت ذلك بالأمثلة في كتابي «التعريف
 بالعلماء وذكر حقوقهم» وبينت فيه مسالك أهل البدع مع أهل العلم وذكرت
 فيه قصصاً صحيحة الأسانيد من عمق التاريخ إلى الزمن المعاصر للتدليل
 على هذا .

فلا عبرة بمن خالف منهج السلف وإن زكّاه من زكّاه ، وتُحمل التزكية
 -إن صحت- بناءً على ما أظهره للعالم ، والله أعلم .
 وإلا فالرجل يخالف الألباني رَضِيَ اللهُ فِي أَصُولِ الْمَنْهَجِ ، ويعرّض
 بالطعن في العلماء .

* فالحويني يكفّر المصّرّ على المعصية ، ويجعل المصّرّ مُستَحَلًّا .
 والألباني لا يكفر المصّرّ على المعصية ولا يجعل المصّرّ مُستَحَلًّا .

(١) وبينت في كتابي «مناصحة الخوارج» وغيره دليل جواز إطلاق الخارجي على من
 أخذ منهم خصلة .

* الحويني وافق سيد قطب في قوله: «أخصَّ خصائص توحيد الألوهية: توحيد الحاكمية».

والألباني ينكر الغلو فيها.

* الحويني يثني على طائفة من القصاص والحزبيين ممن حذر الألباني من أمثالهم، بل ممن هو أسوأ حالاً منهم من أمثال عبد الرحمن عبد الخالق الذي كذبه العثميين وغيره وضللوه. بينما الحويني يجله.

* الحويني يعتبر الذين ينسبون القول بوحدة الوجود إلى سيد قطب (تلكيماً) أي: تربصاً بسيد وظلماً له-.

والألباني على رأس العلماء الذين نسبوا القول بوحدة الوجود إلى سيد قطب.

* الألباني يثني على ربيع بن هادي المدخلي ثناءً عالياً نحو قوله: «إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم في العصر الحاضر بحق هو أخونا الدكتور ربيع والذين يردون عليه لا يردون بعلم أبداً والعلم معه».

والحويني يقول عن العلامة ربيع: «إنه أحق»، وأخذ يقلل من علم الإمام ربيع^(١)، وإلا فلينكر هذا علناً ويخالفه، وهو ما زال حياً يأكل ويشرب ويذهب ويأتي ويتكلم، فما يمنعه لو كان كذباً عليه؟.

* والألباني وصف من يطعن في العلامة ربيع بن هادي بالجهل، ودعا

(١) هذا قد نشره عنه الأخ خالد قبل من تسعة سنوات وما نفاه عن نفسه، وإلا فليكذب هذا ويتبرأ منه ويقول: إن الشيخ ربيع بضد هذا وإنا لمنتظرون. وهذا ليس سباً عند المتعصبين -لحجازيهم - عاملهم الله بعدله.

عليه حيث قال :

«فالحط على هذين الشيخين الشيخ ربيع والشيخ مقبل بن هادي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(١) الداعيين إلى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ومحاربة الذين يخالفون هذا المنهج الصحيح هو كما لا يخفى على الجميع ، إنما يصدر من أحد رجلين : إما جاهل أو صاحب هوى .

الجاهل يمكن هدايته لأنه يظن أنه على شيء من العلم ، فإذا تبين العلم الصحيح اهتدى . . . أما صاحب الهوى فليس لنا إليه سبيل إلا أن يهديه الله -تبارك وتعالى- فهؤلاء الذين ينتقدون الشيخين -كما ذكرنا- إما جاهل فيعلم ، وإما صاحب هوى فيستعاذ بالله من شره ، ونطلب من الله عَزَّوَجَلَّ إما أن يهديه أو يقصم ظهره» . اهـ كلام الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

* والعجيب : أني لا أعلم رجلاً في الدنيا يعمل في تخريج الحديث وقصاًصاً إلا الحويني هذا .

أبصره من الذي نشر في الناس ضرب الزبير لأسماء على وجهها وعقد ضفيرتها في ضفيرة الزوجة الأخرى؟ يضربها حتى يترك أثراً ، ضرباً مبرحاً ، وأبو بكر ينصحها يقول لها : «اصبري إن الزبير رجل صالح»؟ ولا يصح لها سند -فيما أعلم- وإن علم فليأتنا .

ومن الذي نشر بيع العز بن عبد السلام المملوك في زمانه؟ ولاك هذا من هو أقصر باعاً في العلم منه كوحيد بالي هذا فراجع كتابي في الرد علي

(١) والشيخ مقبل هذا هو شيخ الشيخ مصطفى العدوي وأحمد ابن أبي العينين وغيرهما ، والشيخ مقبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ممن طعنوا في الحويني وقال : «إنه زائع» .

(نصح الحكام بين الغلو والتفريط)

ومن الذي نشر ما في التاريخ الذي لا سند له في الأمة؟ . . .
كل هذا في سياق طعنه المغلف على الحكام على طريقة قعدية
الخوارج الذين يطعنون في الحكام على المنابر ويظهرون عيوبهم
علناً

* الألباني يقول بحرمة هذه العمليات الانتحارية - كما تقدم - .
والحوييني يعتبر القائلين بالتحريم : أنهم أصحاب (جليطة) ، وأنهم
لا يعرفون الحقيقة ، وأصحاب حواديت - وهي كلمة عامية مصرية بمعنى
القصص - .

فهذا سبٌ غير مباشر للألباني^(١) لولا أننا لا نعامل المرء بلازم قوله
لإمكانية غفلته عن اللازم ، - وهذا هو مذهب العدل مذهب أهل السنة -
لقلنا فيه أشياء شديدة هداه الله .

وانظر لقاء الحوييني الذي استقبل فيه عبد الرحمن عبد الخالق الذي
كان خصماً للألباني والعثيمين ومقبل بن هادي - رحمهم الله - ،
وسترَ طعن الأئمة الكبار في عبد الرحمن عبد الخالق ،

بل ذكره في اللقاء مادحاً إياه بأنه معجب به لكونه لم ينشغل بالرد على

(١) وراجع مزيداً لهذا فيما ذكره أخي الشيخ خالد بن عثمان - حفظه الله - في كتابه
الذي يتجاهله المتعصبون والمفتونون «الحدود الفاصلة بين أصول منهج السلف
وأصول القطبية» متضمناً المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني أصول منهج
السلف الصالح (ص ٧٠٣) وما بعدها .

خصومه!!، هذا دون أن يبين للناس -ستراً على بلايا عبد الرحمن- مَنْ
خصوم عبد الرحمن عبد الخالق الحزبي هذا؟!، وأنهم الألباني
والعثيمين ومقبل بن هادي وأضرابهم،

وليُسأل عن سبب ستره هذا تعلم ما تُرشد إليه، والله المستعان.

فهل بعد هذا يُقال: الحويني متوافق في طريقته لطريقة الألباني وإن

ادعى؟!!

مع أن واحدة مما ذكرت يبدع المخالف بها عند أهل السنة، هذا
واضح لمن له عناية ومعرفة بمنهج أهل السنة الذي عليه السلف.

وأنبه إلى أن الحويني هذا -المدعي أنه من تلاميذ الألباني لأنه مكث

عنده أياماً -على حد قوله- يسأله عن بعض الأسئلة ليسجلها...^(١).

المهم أنه مع قوله أنه لا يجاربه أحد في الدنيا في حبه للألباني يقول في

«مركز الألباني» الذي في الأردن... فيما حكاه عنه الشيخ فلاح مندكار

-حفظه الله-:

«مع أنني لا أوافق في مفايده» كذا!! -أي مفايد كثيرة-.

ويقول: «كتبت الردود على هذه المفايد وجعلتها في مؤلف ثم

أهديتها إليه...».

(١) مع العلم أن الألباني لم يشرح كتاباً واحداً في فن من العلوم الشرعية من أوله إلى

منتهاه، ولا الحويني جالسه إلا بضعة أيام!! لكن هذا زمان ينتشر فيه الإشاعات

وتلاك بالألسن، والله المستعان.

وما أدري لماذا لم يذكر هذه المفاريد حتى نتعلم؛ لأنه -أعني: الألباني- انفرد بها علناً، فلا بد أن يكون الردُّ علناً نصحاً للأمة، لئلا تكون أشياء لا قيمة لها أصلاً، وهو يُهَوِّلُ بها ويُفُخِّمُ وَيُعْظِمُ. كما لم يذكر لنا كيف استقبلها الألباني بعد الاطلاع عليها. وإني أخشى أن يكون هو الذي انفرد عن الألباني وغيره من العلماء وهم على حق، فسمى من خالفه منفرداً والتوهم من قبله، وقد تقدمت مخالفاته للألباني في سيره ومنهجه

* فرأيه بتكفير المصر على الكبير كأكل الربا .

* ورأيه بتجويض التحزبات للمصلحة من أجل الضرورة .

* ورأيه في عبد الرحمن عبد الخالق الحزبي المخاصم للألباني^(١) .

* ورأيه بأن المظاهرات والثورات والمنازعات للأمرأ ليس لها مثال

سابق والتلوين عليهم -أعني: على الأمرأ أو الرؤساء- . .

(١) وليسمع الإخوة أشرطة رد الألباني ومقبل الوادعي في الرد على عبد الرحمن هذا الذي استقبله الحويني على القناة في مصر استقبال التلميذ بحفاوة بالغة . وذكر في اللقاء بالصوت والصورة أنه أعجبه فيه أنه لا ينشغل بخصومه . وللقارئ الكريم أن يسأله: لماذا لم يذكر الحويني للمشاهدين من خصوم عبد الرحمن عبد الخالق؟ .

لأن المستمعين إذا علموا أن خصومه الألباني وابن عثيمين ومقبل بن هادي الوادعي . . فإنهم سيلقون الضيف والمضيف بقوس واحد، ويتهمونه، وليجيب: لماذا لم يذكر الحويني خصوم عبد الرحمن عبد الخالق -وهو يَعْلَمُهُمْ- وإنما لمنتظرون .

* ورأيه في مجالسة الحزبيين واعتبارهم أهل سنة وعدم التحذير منهم ،
وتمكينهم من مثل مسجده (مسجد ابن تيمية) وإن شئتُ سميتُ .

* ورأيه في الشيخ ربيع المدخلي : الألباني يُثني عليه والحويني يقدر
فيه بغير وجه حق .

هل مثل هذه الأشياء هي التي انفرد الألباني بها فردَّ عليه الحويني ، وما
رأينا الردود ، ولا المفاريد ، ولا ما كتبه ، ولا ما أجاب به الألباني ،
ولا كيف استقبلها وإن أراد الستر على الألباني لحبه له ، فلمَ ذكر هذا
الآن بعد موته؟! ولم ينطق بنت شفة بشيء من هذا في حياة الألباني - فيما
أعلم - !! .

أم أنها التهويلات؟

فهذا أو ان ينتشر فيه مثل هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهذا لا يعدُّه المتعصبة لحجازي هذا غلطًا ولا تعاليًا!!! .

وقد أوقفني بعض الأخوة على مقطع له .

وسأله على الانتخابات فقال : «نزهوا أنفسكم عن هذا» ، لكن أيام
حاكمهم مرسي الإخواني نصح أن يكون الناس خلفه!! إنه الخلط
والتناقض المنهجي .

وسئل عن التحذير من حزب النور . . . فقال للسائل : عليك بنفسك . .

كذا!!

ثم راح في وادٍ آخر ذاكراً .

* أن أهل الحديث ينزهون أنفسهم عن هذا لنفاضة بضاعتهم . . .

كلام يبدو أنه عن الخوض في التحزبات ثم تهكّم على حزب النور في

دعواهم لولا حزب النور لكان كذا وكذا . . من ترهاتهم
ثم نصح السائل بأن ينظر إلى شأنه . فليته نصحه بالصدع بالحق . . ،
وإبطال الباطل !!

ونصحه بأن يلزم كل إنسان عالمه . . . انظر إلى شبه النصح في وقت
كهذا!! نصح حسّل ، ككلامه يوم أن ذهب في معمرة الفتن إلى مسجد
العزيز بالله . . . فسأله السائل عن كيفية معرفة العالم . . . فتكلم بما لو
أراح نفسه منه لكان أحسن . .

فلم يبين من العالم وصفاته وعلاماته وأعماله وما يتحلى به بين
الناس .

* كان يلزمه أن يبين بصراحة ووضوح حال الأحزاب والتحزبات
وحال الداعين إلى ذلك ويقدم في قادتهم
كما حصل من شيخه الألباني وابن باز والعثيمين وغيرهم في نحو ذلك
فكلامهم أوضح من شمس النهار
ثم يبين حال الذين حذروا من الأحزاب مبكرًا وقديمًا :
هل كانوا على الحق وأفقهم بالواقع أم لا؟ ليبيّن للسامع حتى يكون
الأتباع على بينة من أمرهم نصحًا للأمة ، كما صنع العلماء .
أم هناك مانع يمنع من أن يذكر عبد الرحمن عبد الخالق رئيس جمعية
إحياء التراث الكويتية الذي استقبله بحفاوة ويأسر برهامي وأحمد فريد . . .
ومن مكنتهم من مسجده وجالسهم هل هناك مانع أن يبين أحوالهم وأساليبهم
في نشر الحزبية ومعاينة السياسة التي أدت إلى تفرقة الناس في كل بلد

وشارع وزقاق . .

نعم بسبب الحزبية .

ما المانع من بيان هذا؟! وإنه للبيان الذي في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ [البقرة: ١٦٠] .

أما وحيد بن عبد السلام بالي:

فموقفه مع أهل العلم واضح من الكذب عليهم وتلفيق التهم لهم ،
ورميهم بالألقاب ، وإيهاهم بمناظرات لتمير الشبه يؤصل بها منهجاً
ورميهم بسبب العلماء ، وحذر الناس منهم ، ونصح بعدم المجالسة لهم ،
ورماهم بعدم الإنصاف ، وأقام المناظرات -بل المهاترات- الفارغة
لإقناع العوام بما يُدخله عليهم . . ، وهذا ليس بسباب عند المتعصبين . ،
فانتشر مذهب الخوارج في الأمة ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد بينت
بعضه في غير هذا الموطن^(١) ،

فاللّه يحاسبه بما ضلل العوام وهم الغالبون على مجالسه .

إن رمي الناس فضلاً عن العلماء بالألقاب ذنبٌ يُعزّر فيه ، نسأل الله
العافية .

ألا لو كان ثمّ تعزيراً ، أحسن من يوم القيامة ، عفا الله عنا جميعاً
بفضله وكرمه .

(١) راجع كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط» فقد جعلت الشرط الثاني منه في الرد
على بعض ترهاته وأباطيله ، وإن كنت لم أستقص في ذلك ؛ لأن النقد كان بالدرجة
الأولى لكتابه «علماء وأمراء» فقط .

محمد بن عبد المقصود^(١):

يقول عن الشيخ رسلان^(٢)، ومن يشبهه في القول: «عباد الطواغيت»،
ويكررها . . وهي كلمة شديدة ففيها رمي بالكفر .

ويقول عنهم: «لا يقرأون وإذا قرأوا لا يفهمون» .

ويقول عنهم: «مجموعة دينهم شتم كل العاملين بالساحة . . .!!»،
ومعلوم أن هذا كذب أصلع لا يقول به عامل ولا عاطل إلا أمثاله
-عامله الله بعدله- .

ووصفهم بأن لهم قرون استشعار يوجهونها لإرضاء أمن الدولة
والحزب الوطني . . .

وأنهم يعبدون الحكام . . .

يقول . . . ومنهم من هو ما زال في حمأة الضلال . . .

وأنهم يتهكمون على غيرهم . .

يقول عنهم: «شتامين» . .

ولذا احتج عليهم بحديث: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ
وَعَرَضُهُ» .

(١) الذي أثنى عليه كثير من الحزبيين والعامّة وكثير من المضللون فضلاً عن العلماء
قبل . ولا عجب فإن الحزبيين أهل تلوّن .

(٢) في مقطع بعنوان «محمد عبد المقصود يكفر رسلان» .

وأعجب من تَوَرَّعه في توفُّفه عن القول في كتاب للشيخ رسلان عن الرد حتى يقرأ
الكتاب، ولا يتورع من وصفه بـ«عبيد الطواغيت» . وهو وصف تكفيري!!

وهل هذه إساءة لأهل العلم عند المتعصبين أم لا؟
ومع ذلك لا ينتصب أحد يقول عنه سبَّاباً، ولا شتاماً للعلماء، ولا أنه
ذا بذاءة

ويصف بعض من خالفه في المقطع ذاته بأنهم (همج) . . . ولا يستنكر
اللفظ أحد منهم لأنها من متبوعهم!
فهذه ليست بذاءة عند المدافعين عن أهل العلم!
يقول عنهم: . . . وابتلوا بالجهل وتربوا في أحضان أمن الدولة
والحزب الوطني .

وهم ناس نفعيون . . ولا يزالون في حمأة الضلال .
وتعود أن يكون عميلاً يشتم في الجميع .
ويقول على الشيخ رسلان:
هذا رجل متربي في زريبة . . اتجنن . . محتاج جلسات كهرباء على
دماغه . . كذا هي ألفاظه!
رجل يحتاج أن يُهمل . .
شتام . .
أصيب بحول في عقله . .
حسبنا الله نعم الوكيل فيه وفي شيخه المخرب - ولعله يقصد الشيخ
ربيع المدخلي -

وهؤلاء تطاولوا وخرجوا عن حدِّهم . . وهذا تربية زريبة فعلاً .

ثم يقول:

«إن هذا ليس سبًّا، هذا توصيف.. والذي ينام جنب الحمار والجاموسة لازم تكون أخلاقه كأخلاق الحمير والجاموس» كذا! (١).
أليس في هذا تعزيز على السباب والطعن في أهل العلم.
ويقول في مقطع آخر بالصوت والصورة (٢) عن الشيخ ربيع المدخلي ردًّا على من نسبه إلى أسد الدعوة.

قال عبد المقصود:

«بل غرابها الأبقع.. لأنه تسبب في شق الصف السلفي.. وسلك مسلك جماعات التكفير..!
ولا أحد من مادحي عبد المقصود هذا يقولون له أنت بذلك سبَّاب شتَّام للعلماء..!!
أليس وصف من زكَّاه الألباني وابن باز وابن عثيمين وغيرهم بصحة المنهج... بهذا طعنًا يوجب التعزيز يا عبد المقصود؟
عبد الله بدر (٣):

يقول عن الشيخ رسلان-وفقه الله-:

«نسب نفسه للسلفية»، وشيخوه.

(١) مقطع بعنوان «قاموس شتائم وسباب محمد عبد المقصود في حق أهل السنة».

(٢) بعنوان «الشيخ محمد عبد المقصود يكشف منهج ربيع المدخلي وأتباعه».

(٣) في مقطع «رد الشيخ عبد الله بدر على محمد سعيد رسلان».

يقول عنه :

لما علقنا عليه في حلقة سابقة خرج بمنتهى قلة الأدب والسفالة وتهكّم على الحلقة .

و«عاملين من أنفسهم مشايخ وما يفهموش حاجة على وجه الأرض أصلاً .

و«مسمي نفسه شيخ» . . .

ثم سمى أسامة القوصي «متخلف»، وهو على شاكلة محمد سعيد رسلان .

ويقول عنهما :

«كانا يقبلان رجل ويد مباحث أمن الدولة ، ويتقربون إلى الله بأنهم يبلغوا عنا» .

وقال عنهم :

«إنهم يقولون بطاعة حسني مبارك طاعة مطلقة»^(١) .

يقول :

«وأنهم يحتجون بقوله ﷺ : «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ

حَبَشِيٌّ . . .»

(١) وهذا من كذبه ، فلا أعلم قائلًا بطاعة الأمراء مطلقًا في الطاعة والمعصية إلا المرجئة الضلال ، ولكن أهل البدعة يتوهمون فيكذبون على أهل السنة وهو مُسجل عليهم بالصوت والصورة .

يا جهلة يا متخلفين . . . هذا العموم له ما يخصه : «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»! ^(١) .

وسمى بعض تلاميذ رسلان بـ«المخابيل دول» . .

«وشوية جهلة متخلفين» .

ويقول عن رسلان :

«يستخف بعقول الخلق ، ويلعب في عقول هؤلاء الناس . .

لأنهم أعلنوا حملة ضارية على الإخوان المسلمين . .

فهل هذه الإساءة إلى أهل العلم والبذاءة في الألفاظ مع المخالفين

تُعدُّ سباً؟! أم أنه قميص فضَّله أهل الهوى لخصومهم فقط؟

والعجيب أنني وجدت في المقطع المذكور عدداً من الكذبات يستحيل

متحدِّث- فيما أعلم- يكذب هذا الكم في هذا الوقت القليل!! .

كمية من الكذبات في وقت قياسي .

فراجع المقطع المذكور بالصوت والصورة تعلم ، والله المستعان .

حازم شومان:

يكذب فيدعي أن في جماعة اسمها المداخلة - يعرِّض بالشيخ ربيع

المدخلي الذي زكاه ابن عثيمين والألباني والفوزان وابن باز وغيرهم - .

وأنه تيار هدفه الأساسي خطة معمولة في CIA هدفه التشويش على

(١) وكذا يفعل عدم الفهم بأهله .

الدعاة وعلى أهل العلم والدعوة^(١). بحيث إنهم يقطعون ما بين الذين يُعلِّمون الناس الخير وبين الناس^(٢)، ومعمول - كذا! - عشان الخليج^(٣) - كذا ألفاظه - .

يقول: تيار من أسوأ ما يكون.

ونسبهم إلى العمالة لأمن الدولة وأنهم «عفن» . . !

وهذا عند المتعصبين ليس سباباً ولا قدحاً، ولا كذباً، ولا شيئاً من

هذا!!

وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقال: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

وما أدري هل الكذب عنده في رمي الناس بالألقاب وإعلان ذلك حتى يلوكة من هو أقصر باعاً في العلم منه فينتشر في الآفاق ويلاك بالألسنة، هل هذا مُسقط للعدالة عنده أم لا؟

أليس عنده - في الرقائق التي هي بضاعته، والقصص التي هي صنعته - ليس عنده من ذلك ما يزجره عن الكذب وإطلاق الطعن في الناس بلا موجب؟

أو يزجر أتباعه عن التعصب له وتبرئة ساحته والاعتذار عنه!

(١) وما أدري من الذي يصدّ ويشوّش بكذبه على أهل العلم الذين زكّاهم الألباني وابن باز والعثيمين والفوزان، ويرميهم بالألقاب؟

(٢) ما أدري من الحائل بكلامه هذا بين من يُعلِّمون الناس الخير وبين الناس؟!!

(٣) وهكذا تكون الدعاوى - بغير بينات -! وإلا فلا .

ألا فليعتذروا عن أهل العلم الذين طعن فيهم ونسبهم إلى الصناعة الأمريكية لدول الخليج وإلا ﴿هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ [النساء: ١٠٩].
 فإذا قلتُ إن هذا قفاه قفا كذاب طعان للعلماء رامياً لهم بالألقاب أكون مفترياً عليه؟ .

وليس المجال مجال بيان نقده في كل ما يقول، فلذلك مقام آخر، ولعل غيري قد كفاني ومتابعاتي ومشاهداتي لما يقولون قليلة، والحمد لله على ذلك. إنما نحن بصدد نقده في طعنه وسبه للعلماء ولا إشكال أن يكون هذا بحجة الدفاع عن العلماء فمستمعوه يروغ عليهم هذا

وسياتي كلام العلماء ابن باز وغيره في الطعن على من رمى أحد الشيخين المدخلي والجامي بهذا اللقب.

والأعجب من هذا:

أنه لما أنكر عليه بشدة لإساءته لمعاوية رضي الله عنه كاتب الوحي لرسول الله ﷺ حيث قال ما نصه: «من في الناس أحسن من الحسن ومن في الناس أسوأ من معاوية»، وهي كسب عائض القرني لمعاوية وأبيه رضي الله عنهما!!! .
 فقام يعتذر -وياليتته ما اعتذر- بهذه الطريقة فورط نفسه.

يقول ما حاصله:

«إنه إنما أراد أن يقول: «من في الناس أحسن من معاوية ومن في الناس

أحسن من الحسن بن علي»

لأنه كان مجهدًا ومشغولًا يا ولداه .

ومع أن سياق كلامه لا يحتمله عند صاحب البصيرة أن يكون إنما قصد وصف كل منهما (الحسن ومعاوية رضي الله عنهما بالإحسان . . . عفا الله عنه .
وإنما أراد أن يطعن فيمن رد عليه -أصلح الله نوايانا ونواياه وجعلنا من المنصفين من أنفسهم - .

ولكن يُعامل بظاهر كلامه بعد الاعتذار لا كما يُعامل -المسكين-
خصومه بظاهر ما فهمه من فعلهم :

أنهم أرادوا إسقاطه -فلا منفعة لأحد في إسقاط أحد بغير موجب - ،
وإنما أرادوا الدفاع عن أصحاب رسول الله ﷺ ، وعن كاتب الوحي
لرسول الله ﷺ ، فكان عليه أن يشكر لهم غيرتهم أن يُسبَّ الصحابي ،
فليحسن الظن بهم كما يحب ذلك لنفسه؟! . . .

لكن

ليحك لنا ما قصة المداخلة ومن هؤلاء؟ وسبب تسميتهم ذلك مع
التنصيص على أسمائهم ، ليعلمهم الناس من باب النصيحة فيحذروا ، وما
أقوالهم ومعتقداتهم ، وكيف سيرهم ، ومن خصومهم ، ولماذا
يخاصمونهم . . . ويدلّل ويبين بدلائل ومراجع يرجع السامع إليها إذا أراد
التثبت ، وليذكر ذلك ويعطي لنفسه الوقت الذي يريده -بلا عجلة وبروية-
ثم يخرج به للناس ، وإنا لمنتظرون .

وأسأل الله تعالى -دعوة خالصة- أن يشفيه ويبرئه شفاء لا يغادر

سقمًا .

مصطفى بن العدوي:

يمدح الشيخ ربيع المدخلي مع وصفه بالشدة في الانتقاد^(١) . .
 كذا ولم يبين أين مواطن الشدة حتى نحذرهما؟ .
 ثم يقول: «يُتحفظ عليه في ذلك» كذا دون بيان!!
 وهذا نوع غمز مغلف بعدما مدحه، فليبين لنا ما الذي منعه من البيان
 المفسر.

يقول: «إن الذين ينتسبون إليه لا يمثلونه . . كذا»^(٢) .
 فليس لنا الأشخاص وأقوالهم وينقضها، - كما كان يفعل شيخه
 مقبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقد جمع كلامه في نقد الأشخاص وتفسير جرحهم في مجلد
 «إعلام الأجيال»، وهو مطبوع وكذا غيره من العلماء.

(١) وكان عليه أن يبين لنا من كتبه أو من كلماته ما تشدد فيه بدلاً من الطعن المغلف،
 والدعاوى العامة التي لا بيان ولا بيّنة فيها كما ترى .
 لكن المستمعون هم السبب، لو طلبوا منه التفصيل والتصريح بالتسمية والبيّنات
 لا تضح لهم الحق الذي لعله ظهر وهم يكابرون عن قبوله .
 وهل الشدة في الانتقاد تُدَمِّم أم تُمدح؟ أم أن هناك تفصيلاً على حسب المنتقد فيه؟ .
 (٢) وهذا غمز في طلبه الرجل ومن حوله بلا تسمية ولا بيان ولا بيّنة، وليظن السامع في
 كل من يسمع للشيخ ربيع إن شاء، ثم تحفّظ هو على التفصيل، وهذه طريقة
 يستخدمها في مواطن لا تكاد تخلص إلى المنهج فيمن يتكلم فيه في سريح - مع
 محاولة تحفظه في الكلام - لكن لحن القول ولهجة النقد تكشف، والله المستعان
 أن يوفقه لمذاكرة أبواب الحاكمية ومسائل المنهج ويفتح عليه بفقّه الواقع،
 وضوابط التبديع، إنه لطيف لما يشاء، وهو الغفور الرحيم .

وإلا فهي دعوى عارية عن البرهان .

وله كلام في بعضهم بالتلوين بغير تصريح يقول :

«اسودت القلوب منهم»

يتصيدون الأخطاء .

واتهمهم بقصور في قراءة القرآن . . .

وهذا - أحياناً يكون حقاً - ولكن أراد به باطلاً ، أما حقه : فما من فصيل في الأمة إلا وفيهم من القصور مما أشار إليه أو غيره ما قاله ، وأما باطلة : فإنه يريد الطعن فيهم والتحذير منهم لكونهم يتناولون عيوبه وأخطاء من يريد الدفاع عنهم ، فلو انشغل بتحريم ما نسب إليه من خطأ أو يردّ على المخالف وذكر الأدلة وتبرأ مما خالف السلف وتاب توبة صحيحة مما أخطأ فيه ، ونصح إخوانه وردّ عليهم وسمّاهم والحاجة ماسة إلى ذلك لكان أصلح له ولغيره .

ثم أوقفني بعض الأخوة على كلام للشيخ مصطفى العدوي أنه يرجع فيه عن تأييده لبعض الأحزاب فقال فيه :

«أبرأ إلى الله من كل الأحزاب ، وثبت فشلها في قيادة أمة محمد فضلاً عن انحرافها من النهج الصحيح لكونها أسست على أسس ديمقراطية ثم بين أن تأييده لحزب النور إنما كان قديماً . . . يعني : غرّوه وأظهر التراجع والتوبة وهذا حسن جداً ، فالحمد لله على هذا .

لكن :

لو راجع كلام شيخه مقبل بن هادي الوادعي رحمته الله في الأحزاب ،

وكلام شيخ شيخه الألباني وكلام ابن باز والعثيمين - والبركة مع أكابرهم
كما قال ﷺ - لما حصل منه ما حصل مما ندم عليه الآن وعلى كلٍ هو غير
معصوم فالله يغفر لنا وله .

ونأمل

كما بيّن هذا القدر في الكلام أن يتمم بيان القول الفصل في الطعن في
قادة الأحزاب - الداعين إليها - فلان وفلان بكل ما أوتوا من إمكانيات
إصراراً بعد ما تبين واتضح من ظهور فشلها - الذي ذكره ، ويعقبه بيان
حالهم للناس وهم يُصِرُّون على الدعوة إلى الأحزاب مع أنها تستقي
بنودها من الديمقراطية والعلمانيين . . . لا من الشريعة .

والآيات والأحاديث المحذرة من الفرقة والاختلاف مُنزلة على
التحزب فيضيِّعون طاقات الشباب في الفشل الذي بسببه يحطم الأفراد
بعضهم بعضاً خلافاً واختلافاً في كل قرية وشارع وناد فتذهب ريحهم . .
أم أن هناك مانعاً من بيان أسمائهم والتحذير منهم؟

ثم يبين للناس

هل الذين حَذَّرُوا من الأحزاب ومنه يوم أن قال بها وردَّوا عليه وعلى
غيره بسبب ذلك كانوا - في الظاهر - على الحق غيورين على دينهم
ينصحون الناس وعلى دراية بفقهِ الواقع الذي لم يكن ظهر له يومها يوم
إقبال الفتن؟ أم كانوا من الضلال المضلين السبَّابين للعلماء؟! .

فليبيّن هذا ضرورة بيان هذا مما أمر الله به

نصحاً وبيانا بمقتضى قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وفقنا الله وإياه لما يحب ويرضى وهدانا إلى الرشاد وطهر قلوبنا من التعصب ونزغات الشيطان وهدانا إلى ما نختلف فيه من الحق بإذنه إنه قريب مجيب .

وعليه أيضاً :

أن يُصلح ويبين خطأه في رده لكلام السائل الفاضل المستدل على المنع من التحزبات بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

حيث رد يومها عليه -يا ويحه- بأن هذه الآية في الكفار -كذا- ،
ويبدو أن السؤال جاءه في وقت تأييده للأحزاب يوم امتلاء كيسه
بكلام الحزبيين إذ جالسهم
وإلا فقد ذكر هو في تفسيره لسورة «الأنعام» (ص ٤٧٤) الأقوال
الثلاثة في تفسيرها

هذا ، والثاني : أنها نزلت في أهل البدع من أمة محمد ﷺ ،
والثالث : أنها شاملة لهذا وذاك ، وأورد هناك ترجيح الطبري وابن
كثير في تفسيرهما بالشمول -وكانه يرجحه هناك- وهو الصواب .
ثم يتكلم في جواب للسائل الفاضل -كأنه يعيش في كوب آخر- عن
حلم المتحزبين ، فيقول في جوابه للسائل الفاضل -وقطع عليه حديثه- .

«أن التحزبات إذا آلت إلى فرقة بين المسلمين أو إذا قامت على باطل فهي مذمومة بلا شك»!! .

وما أدري أين هذه التحزبات التي لا تؤول إلى فرقة وتقوم على حق؟! -لو ذكر منها صورة-!

فدخل الناس في الأحزاب أفراداً أو جماعات بسبب ما أجاب به السائل يومها إلى الآن ولا يسمعون لمخالفه يومها، ولا له الآن في ذلك -لأنهم أهل هوى- .

مع أن الآية التي فسرها ارتجالاً بأنها في الكفار فسرتها أم سلمة وأبو أمامة الباهلي رضي الله عنهما، واحتجا بها في النهي عن التحزبات .

فالأولى:

قالت: أم سلمة لما اختلف الناس وتحزبوا على عثمان وتحاصبوا - وهو يخطب- قالت:

«أَلَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ بَرَى مَمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ، وَقَرَأَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]»،

وهو حسن السند على أقل الأحوال أو صحيح لطرقه كما بينته في كتابي «التوضيحات الحلية»، وكنت قد ناولته نسخة بيدي لما طبعت في منزله يومها

كذا استدلت بالآية على منع التحزب مع أن الأدلة التي ساقها السائل الفاضل له -وقد قطع هو عليه حديثه- تتناول النهي عن التحزب كما قاله شيخه مقبل وشيخ شيخه الألباني وغيرهم كالشيخ ربيع المدخلي الذي

وصفه هو بالتشدد دون تفسير وتوضيح وبيان تفصيلي لشدته - والبركة مع أكابرهم - وراجع ما سقته من أدلة في الموضوع المشار إليه .

الثاني : أثر أبي أمامة رضي الله عنه :

لما رأى رؤوس الخوارج معلقة قال عنهم :

«هُؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاتَّخَذُوا دِينَهُمْ شِيْعًا» .

أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٥٤٦) بسند صحيح ،

فلماذا يحيد عن الطعن في الأحزاب يومها والسائل الفاضل ذكر له

ساعتها الأدلة على حرمتها؟! على كل - غفر الله له -

والمطلوب منه اليوم أن يبين أخطاه هذه ليصلح ما أفسده بفتواه

بمقتضى قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ

وَأَنَا أَتُوبُ الرَّجِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] ،

ويظهر التراجع اليوم عن هذا؟!!

كما أن عليه أن يبين خطاه في تجويز التحزب على أساس ديني ، فإن هذا

أخطر وأفسد من التحزب على أساس دنيوي لمن تنبه .

وكذلك يبين حكم استقبال رؤود الأحزاب التي تبرأ إلى الله منها اليوم

- إن كان - .

ويبين حكم مجالستهم وهجرهم والطعن فيهم أو الثناء عليهم .

ويبين حال الذين يحذر المتحزبون منهم ، لأجل طعنهم في الأحزاب

يرونها بدعة؟ هل من غيرة على المنهج قالوا أم هم سبابة مغتابون أهل بداءة؟

وهذا يلزمه بيانه مع التراجع المذكور فيما يتعلق بالتحزبات بمقتضى

الآية . . . فتنبّه

وإلا فهل يصح الرجوع من غير البيان والإصلاح - دعنا من التوبة هذا فيما بينه وبين ربه لا دخل لنا به -

لكن هذا من لوازم التوبة فيما يتعلّق بالخلق،

ما المانع من بيان كل هذا بيانا شافيا نصحا كما بينه شيخه مقبل بن هادي الوادعي والألباني وابن باز والعثيمين والفوزان واللجنة الدائمة والشيخ ربيع المدخلي وغيرهم في مثل هذا^(١)،

هل يصلح الرجوع بغير بيان ذلك؟ وما المانع من بيان ذلك واضحا صريحا لا لبس فيه ولا غموض؟!

فيا أيها المتبرئ من الحزبية والأحزاب - زعمت - وقد لدغت وخُذعت - على حد قولك - :

أليس من المستلزمات الواجبة عليك أن تتبرأ من رموزها أولئك الذين أصابك منهم وأصبت من رأوك تؤيدهم فاتبعوهم فحرفوهم ، واحتجوا على المعارضين بك مع أنك تزعم أنهم كذبوا عليك وخدعوك وأثروا عليك ، وقالوا لك : إنا سندلي بأصواتنا لكتاب الله . . . وتطبيق الشريعة

فقل يا شيخ مصطفى للناس : إنهم كذبة وغششة ، ولا تغتروا بلحاهم ولا بزخرف قولهم فاحذروهم ولا تصدقوهم بأنهم أتباع للسنة في مثل

(١) وكلامهم في الطعن فيهم وفيمن يتبعهم والبراءة منهم من طلبه وجده فلا يمكن الاجتماع للأمة مع التحزب كلامهم واضح فوقه الله أن يكون واضحا مثلهم .

هذا وسمّهم بأسمائهم نصحاً للأمة لئلا يُحرفوا غيرك كما حرفوك فيجب عليك تسميتهم للحذر منهم لا سيما وقد مدحتهم علناً فاطعن فيهم علناً كما مدحتهم علناً وإياك واللعب على الحبلين أو الأكل على الشدقين، وما عند الله لا يُنال إلا بطاعته .

ولا ترضي الناس بسخط الله بل العكس ولا يضركُ بعد ما حصل فمن أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس هذا واضح

إذا كنت تبرّأ يا شيخ مصطفى من الحزبية . . ، فمعنى ذلك أنك ترى أن الخلاف بين الحزبيين ومخالفهم خلاف تضاد لكونه في ثوابت . . بدلالة تبرّئك، فإنه لا يُتبرّأ من سائغ للمخالف فيه وجهة نظر وإلا فبين لنا موقفك من أقوال الشيخ الألباني وشيخك مقبل وابن باز والعثيمين حيث رميهم رموز الحزبيين بالفواقر . . وما موقفك ممن مجدّ بعض رموزهم كعبد الرحمن بن عبد الخالق

عجيب أمر الشيخ مصطفى

حينما يخطئ المضيف في خطأ لغوي لا يسكت، مع أن هذا سائغ لا يسقط المرء به، ومع ذلك يرُد عليه، وعلى الملاء وفي وجهه، ولا يراعى حرجه أو خذلانه، لا تأخذك في الله لومة لائم تصدع بالحق . . . وهذا حسن جداً .

فما بالك تسكت عن المخالف في ثوابت المنهج . . . والذي يخدع الناس ويكذب عليهم، ويدعي كذباً، ويتمسح في الدين . . .؟! . . .

لا حول ولا قوة إلا بالله

إذا كنت لا وقفت في الميادين ولا قلت بالخروج على الحكام والسير
في الثورات ولا التأييد على الحكام ولا النصيح علنا بما يؤدي إلى
مفسدة . . . إلخ

فبين موقفك ممن فعلوا ذلك من أمثال محمد حسان ويعقوب والزغبى
وحازم شومان وصلاح أبو إسماعيل ووحيد بالي وأمين الأنصاري . . .
بين هذا صريحاً؟ هذا من البيان الذي أمر الله به
بين بارك الله فيك ولا تخشى في الله لومة لائم، وفقني الله وإياك لما
يحب ويرضى .

أحمد النقيب:

وسئل عن جماعة المداخلة . . كذا على حد زعم السائل فيقول^(١):
أنا لا أسمع عن هذه الفرقة، ولكن أعرف قوماً اسمهم السبابة، هؤلاء
لا يدعون أحداً من أهل الإسلام له جهد إلا سبوه^(٢)، ورموه بصفرائهم
وبيضائهم، فلو أنهم بذلوا جهدهم في أهل البدع والمنكرات لكان أولى
بهم .

يتركون أصحاب الفتاوى الضالة المضلة، ويتركون الرافضة،

(١) في مقطع بعنوان: «فرقة تسمى المداخلة مقطع للشيخ أحمد النقيب» .

(٢) وما أدري فليس هم هؤلاء الأشخاص بأسمائهم ويثبت من كلامهم ما يؤيد صدق
دعواه وإلا فهو كذاب، يرمي بكذبه البراء ويتوسّع في الجرح «لا يدعون أحداً . .
كذا» .

ويتركون المجرمين، والإسماعيلية المتنطعين، والصوفية المتفلسفين، وأهل الأهواء الزائعين، ثم لا يتكلمون إلا عن أرباب الدعوة، يقولون: إنهم مهيجون، وثورجيون، وأنهم كذا وكذا، كلام لا طائل تحته، فلنحذر هؤلاء السبابة فإنهم أشد على الدعوة من إبليس^(١).

واتهم الشيخ ربيع بأنه يتوسع في الطعن والجرح. . . كذا بغير بينات!! وأنصحته أن يسمع كلام المشايخ الأفاضل الكبار من أمثال الفوزان والعثيمين والألباني وغيرهم في بيان ضلال من أطلقوا على المشايخ محمد أمان الجامي وربيع المدخلي الألقاب، فقد حاربوهما وأثاروا الناس على البعض منهم، ذلك لكونه فضح أهل البدع والتحزب والخوارج، وبيّن ضلالهم، فاخترعوا اختراعات ألصقت بالشيخين الفاضلين: ربيع المدخلي وأمان الجامي، للتشويش على تحذيراتهم.

فلفح هذا الكذب والتلفيق بغباره وكيدة طائفة كثير عددهم من

(١) وهذا ليس من التوسع في الطعن، وأنا لست بصدد الرد عليه الآن فله مقام آخر. وإنما أود أن أقول يكذب عددًا من الكذبات في وقت قليل يحوز به سبق. يشبه الطاعنين في الثوريين الذين يستغلون حماسة الشباب في تهيجهم على أمرائهم. . . . يقول إنهم أشد على الدعوة من إبليس. . . أليس هذا طعن في من لهم جهد في الدعوة؟! .

ويبدو أنه يتكلم عن أقوام لم يعرف عنهم إلا ما أشيع من قبل الخوارج والثوريين. وإذا أردت أن تعلم تخليطه في المنهج له فاطلع على مقطع بعنوان: «الشيخ أحمد النقيب يرد على المداخلة الذين يقذفون العلماء مثل الشيخ أبي إسحاق والشيخ حسان بالحزبية والابتداع» تعلم ما تُرشد إليه من الفضائح.

المرموقين المنتسبين إلى العلم ولم يتأهلوا للتعامل مع هذا بالتحقيق والتدقيق والتحرير، فلاكوا الكذب، وبتوه للناس على أنه علم وحقيقة في الدين، فصدقهم من دونهم ممن أحسنوا فيهم الظن ولم يسألوهم عن البيئات، فتوغل الأمر في الأمة وهو لم يعدو أن يكون إشاعة كاذبة تشرشر أشداقهم إلى أقفيتهم بسبب انتشاره في الآفاق إلا أن يغفر الله لهم، والله المستعان.

وراجع سبب هذا الكذب ومبدأه في مقطع مسجل من سنة ١٤١٢هـ بعنوان «من هم الجامية ومن هو أمان الجامي» على شبكات الإنترنت تجد الكذب الأصلع الأبلق.

وها أنا أنقل لك نص كلامه حتى تعلم خلطه:

في قوله بالموازات البدعية بين الحسنات والسيئات^(١)، وغمز الشيخ ربيع بقوله عنه: «يتوسع في الطعن والجرح».

وانظر بيانه الذي بينه فانكشف المستور الذي يخفيه، فيقول ما نصه:
«فما يقال في رواية الحديث يطبّقه -يعني الشيخ ربيع- على آحاد الناس، وهذه نقرة وهذه نقرة أخرى، يعني الأحكام التي نطبقها على الرواية لتحفظ حديث رسول الله ﷺ يأخذ هذه الأحكام بحذافيرها يطبقها

(١) وقد رد على هذه البدعة ابن باز وابن عثيمين والألباني، وارجع فيها إلى كتابي «فقه الرد على المخالف» وراجع فصلاً في الردّ على ذلك في كتابي «عقيدة المسلم الصغير» (ص ٢٥٣).

وكلام العلماء في ذلك مبثوث.

على آحاد الناس^(١) .

وبالتالي مَنْ يسلم له؟ لم يسلم له أحد^(٢) .

ومنهجه^(٣) - يعني : الشيخ ربيع المدخلي - في ذلك أن كل إنسان عنده

(١) ومع أن الإجماع انعقد على خلاف ما تقول يا أخ أحمد وقد ذكرتُ فصولاً ينفكك الله بها في كتابي «عقيدة المسلم الصغير» جعلها الله تعالى سبباً لتبصيرك بما ضل عنك ونفعتني الله وإياك القارئين بها .
فمن ذلك : قول ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - في «الفرق بين النصيحة والتعير» (ص ٨) :

«لا فرق بين الطعن في رواية حفاظ الحديث ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل ، وبين تبين خطأ من أخطأ في معاني الكتاب والسنة وتأول شيئاً منها على غير تأويله ، وتمسك بما لا يُتمسك به ليُحذَر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه ، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضاً» . اهـ

وراجع نفس المصدر (ص ١٣) و«مجموع الفتاوى» (٢٢١ / ٢٨) وكتابي المشار إليه ، و«الاعتصام» للشاطبي (١ / ١٣١ ، ٤٥٣) ، و«فتاوى ابن الصلاح» (٢ / ٤٩٧) .
وراجع ضرورة «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢٣٣) .

(٢) لا يا أخ أحمد يسلم له أهل السنة ويسقط أهل البدع إذا روعي هذا المنهج بشروطه ، -بصرك الله- .

(٣) كأن حفظ العلم ومنهج السلف في الأحكام والعقائد والمنهج ليس في حاجة إلى حفظ كحديث رسول الله ﷺ .

فليقل لنا -الأخ أحمد- ما الفرق .

وما أدري لماذا كلّف نفسه عناءً أن يغمز في الشيخ ربيع بأنه يتوسع في الطعن -كذا-!! .

أليس طعنه في منهج الشيخ ربيع من جنس ما يقال في رواية الحديث؟! =

خطأ تطوى الحسنات وتنشر السيئات .

يعني : لو فرضنا أنني عملتُ غلطاً ، كلنا يعمل غلطاً إيه إل بيحصل ؟
 يُعِينُوا - يعني يُخَفُّوا - الحسنات بتاعته^(١) - حسناته - جهده - وجهاده -
 وعلمه - وفضله - ودعوته - وسهره - و... . يخفوا ذلك ولا يُذكر ويقال :
 هو مبتدع لأنه مثلاً قال كذا أو فعل كذا^(٢) . .

= تطبّقها أنت بحذافيرها على آحاد الناس يا أخ أحمد؟! .
 وليتك كنت منصفاً! .

وما معنى قولك في المقطع ذاته : «أرحب بالنقد البناء لا النقض الهدام» .
 وهل هذا - أعني النقد الهدام والبناء - كذا في كل نقد أم أن هناك تفصيلاً؟ .
 فموقف يتطلب فيه الشدة والبناء ، وموقف يتطلب فيه الهدم كما فعل رسول الله ﷺ مع
 الخوارج ، وكذا الصحابة معهم ، ومع الروافض والقدرية ، والمرجئة .
 وكذا فعل الصحابة مع من بعدهم قد هدموهم ، وردّ الصحابة بعضهم على بعض ردّاً
 بناءً .

فلكل مقام مقال يا أخ أحمد - أيقظك الله وأصلحك - .

(١) وأعتذر أنني أحافظ على ألفاظه العامية .

(٢) وكأن من يطعنون عليهم كالشيخ ربيع المدخلي والشيخ محمد أمان الجامي ليس
 لهم حسنات وجهد وجهاد وعلم وفضل ودعوة وسهر - قبل أن يولد هو وأمثاله!! .
 كذا الكيل بمكيالين وإلا فلا .

سبحان الله كأنه يتكلم على أقوام في كوكب المريخ!! «موازنات وما رعاها حق
 رعايتها ، وكأن من يرشد إلى الانشغال بالردّ عليهم من الإسماعيلية والصوفية . . .
 إلخ لا حسنات لهم!» .

وقد قال رسول الله ﷺ لخطيب - وحسبك بحسناته - وجهده - وجهاده - وعلمه -
 ودعوته .

وفضله وسهره ووعظه . . . - .

أخطأ خطأ واحداً في اللغة لم يقصد مدلوله فقال ﷺ : «بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ» ، كما =

سبحان الله . .

لأقل شيء يمكن أن يبدع المرء أو يُفسق ويُجَدِّع أنفه، لأقل شيء،

ويقولون: هذا منهج الإسلام، ليس هذا منهج الإسلام أبداً^(١) . . .

= في «صحيح مسلم»، النبي ﷺ عان كل حسناته وطواها ونشر سيئاته دا ال حصل يا أخ أحمد!! وأعتذر للقراء- تلك هي ألفاظه . إني لأظن أن لو كان أحمد النقيب عند النبي ﷺ لقال له بنحو مما قال الخارجي لرسول الله ﷺ ولا اعتراض عليه . ولو اتسع المقام لأتيته بأمثلة كثيرة غير هذا المثال ويتعامل معها النبي ﷺ بنفس المنهج الذي استنكره أحمد النقيب - هده الله وسدده-

(١) ومعنى كلامه: لو أن رجلاً يصوم ويصلي ويزكي ويقرأ القرآن وكثير العبادة جداً جداً، حتى يحتقر العباد عبادتهم إلى عبادته وصيامهم إلى صيامه، وقراءتهم إلى قراءته، يقوم الليل، ويقول من قول خير البرية . . . لكنه أخطأ في خطأ واحد جهر على الحاكم وكفره لكونه يحكم بغير ما أنزل الله دون التفصيل الذي عليه السلف، أو سعي في تحزيب الناس بحجة الألفة والتعاون على البر والتقوى تحت مظلة «العمل الجماعي» كما يحصل .

تبديع هذا عند أحمد النقيب ليس من منهج الإسلام ولا يبدع هذا عنده . لكنه يبدع عند الصحابة ويطعن فيه بل عند رسول الله ﷺ كما في أحاديث الخوارج أه لو كنت ثم لأنكرت عليهم يا أخ أحمد ولرددت عليهم لأنهم طووا حسنات الخوارج من صيام وسير وجهاد وجُهد . . وجدَّعوا أنوفهم ورموهم بصفرائهم وبيضايمهم .

* لو أن رجلاً عالمًا يتقفر العلم يجمعه يطلبه لكنه لخطئ واحد قال: لا قدر الأمر أنف، هل يُنسى علمه وتعليمه وجهاده وطلبه للعلم وسهره ودعوته . . .

هذا لا يبدع عند أحمد النقيب، هذا ليس من منهج الإسلام عنده .

لكنه عند الصحابة والتابعين كابن عمر وغيره يتبرأ منه ويُبدع بل يكفر .

فالحسين الكرايسي صاحب العلم قرين أحمد لا يُبدع عند أحمد النقيب إذًا، لأنه علامة فقيه بغداد صاحب تصانيف كان من بحور العلم ذكيًا فطنًا فصيحًا لينًا =

= لا يُبدع عند أحمد النقيب . . .

لأنه ما قال إلا باللفظ فقط فلا ينسى علمه و . . . ، لكن عند أئمتنا أحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وأبي زرعة وغيرهم وابن معين يُبدع قال عنه ابن معين :
«ما أحوجه إلى أن يضرب وشمته» .

فلا يُطبَّق عليه الجرح لأنه ليس من الرواة، وإنما هو من آحاد الناس فيترك يُعربد ويُفسد في عقيدة السلف، وما أدري أليس ما يقوله هو جرح في آحاد الناس؟! .
* خطيب يخطب الناس حسبك به خطيب يخطب وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي . . .
ورسول الله ﷺ جلوس . . فأخطأ خطأ لا يقصده الرجل فقال له رسول الله ﷺ :
«بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ» . . أين جهاده وسهره وعلمه ووعظه ودعوته وفضله يا أخ أحمد؟ .

أخشى عليك يا أخ أحمد لو كنت ثم لأنكرت على رسول الله ﷺ والصحابة منهمجهم ولقلت لهم :

«اعدلوا - أنصفوا - ليس هذا منهج الإسلام أبداً» .

يا أخ أحمد النقيب :

أين جهاد وسهر وعلم ووعظ ودعوة وفضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لما قال ﷺ عنه : «صعلوك لا مال لمال له» .

أين جهاد وسهر وعلم ووعظ ودعوة وفضل أبي جهم رضي الله عنه لما قال رسول الله ﷺ : «لا يضع عصاه من على عاتقه» لما سأله فاطمة بنت قيس عنهما أن جاءا خطباها .

أين جهاد وسهر وعلم ووعظ ودعوة وفضل معاذ بن جبل العالم الرباني لما شكاه الصحابي أن أطال عليهما الصلاة فقال رسول الله ﷺ : «أفتان أنت يا معاذ» .

أين جهاد وسهر وعلم ووعظ ودعوة وفضل كعب بن مالك وصاحبيه لما تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم غزوة تبوك فاعتزلهما وأمر الناس باعتزالهم . . حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم . . .

أين حسنات وجهاد وسهر وعلم ووعظ ودعوة وفضل وسيادة صبيغ بن عسل لما =

ويقرر منهجه في التفرقة بين الكلام في الرواة والكلام في الأشخاص
الحاملين للعلم يقول بعد ذكره أن ذلك في الرواة فحسب فيقول :

«أما ما وراء ذلك فإننا ننصف له وعليه»

كأن المطلوب أن لا ننصف في جرح حملة الحديث كذا!!

ألم أقل الخلط في المنهج؟

ثم يقرر المذهب البدعي : عدم طي الحسنات ونشر السيئات . . .

= كان يسأل عن المتشابه فنكل به عمر وجعل منه عبرة . . . وهو سيد قومه . . .
والخوارج . . . والمرجئة . . . والقدرية . . . كيف تعامل أهل السنة معهم .
هل راعى الأئمة جهادهم وسهرهم وعلمهم ووعظهم ودعوتهم وفضلهم وسيادتهم
يا أخ أحمد النقيب .
عتبي عليك يا أخ أحمد أن ضيعت عمرك للتنظير للحزبيين في البلاد شرقاً وغرباً مع
أصحاب المفاهيم التكفيرية الخاطئة .
ثم رجعت ونصحت الحب بترك الحزب - جزاك الله خيراً أن رحمت نفسك - وعلى
أمل أن تجد في المذاكرة ، فلعلك ترجع عما قررت الآن كما رجعت الرجوع الجزئي
عن دعوتك لصالح الحزبيين المنازعين لحكامهم .
لكنني أعذرك بأنك تجهل المنهج الذي تتكلم عنه -بارك الله فيك وأصلح حالك- .
ولا يسعني أن أترك التحذير منك ، هذه نقرة وهذه نقرة أخرى لك .
ونصيحتي -ولله خالصة لك- أن تعيد النظر في المنهج السلفي قبل أن تتسلق سلم
الجرح والتعديل فتتكلم وتقع فيما تحذر منه ، ونحن في زمان من جلس مجلس له
وما أكثر المساكين عصمني الله وإياك من الإضلال ، فلعلك تعلم أنك مخطئ الآن
كما كنت مخطئاً في دعوتك قبل لسنوات عديدة ، والتي نصحت باجتنابها بعد .
وفقني الله وإياك لا تباع الحق يا أخ أحمد ، وتمنياتى والله لك بالتوفيق والسداد .

ويتهم الشيخ ربيع - حفظه الله - بأنه له أخطاء - ولم يذكر منها شيئاً - كذا - إلا ما كذب به عليه من أنه لأقل شيء يبدع ويفسق ويجدع أنف المخطئ! فأين النقد البناء؟! بل هو النقض الهدام بغير حق، ولا أحد يعتقد في الشيخ ربيع ولا في غيره العصمة هذا عند غلاة الصوفية الضلال فدعك من فلسفة القول وفذلكة الكلام... وانشغل بالإقبال على كتب السلف فانهل منها ليذهب الجذع من عينك، لتعلم ما يستحق النقد وما هو صواب. بدلاً من الطعن في إخوانك بكلام مجمل دون تفصيل بأن طلبة الشيخ ربيع يسكتون عن أخطائه... إلى آخر ما قال^(١).

وأشهد بالله يا أخ أحمد أن قولك:

«لأقل شيء يمكن أن يبدع المرء أو يفسق ويجدع أنفه» سبباً لبعض أهل العلم أنت كاذب فيها مفترياً - فيما أعلم - هذه حقيقة تقابلني بها يا أخ أحمد لا أستاذ منها - إن شاء الله - يوم يسألني ربي عنها يوم الدين لم قلتها؟ تقول هذا، ثم تتكلم عن صيانة لحوم العلماء مظهراً الإنكار على الطعن فيهم وإنك يا أخ أحمد تتكلم عن أشخاص لا تعرف مناهجهم، هداك الله. ويخاطبهم فيقول:

«أنتم تجتهدون عن البحث في أخطاء أهل العلم، ولا تجتهدون في البحث عن أخطاء شيخكم، هذا منهج معوج»^(٢).

(١) فراجع مقطعاً على النت بعنوان: «أحمد النقيب يطعن في الشيخ ربيع ويقول بمنهج الموازنات».

(٢) وما أسهل الدعاوى، أخرج أنت الأخطاء يا دكتور أحمد، ثم أثبت - مثلاً - أنهم =

ثم بين المنهج الحقيقي له صراحة وهو الذي يسميه النصيحة لا الفضيحة، ومن عرف منهج السلف تبين له الخلط الذي في منهج الرجل، وقد كان قبل حزبياً قتله التعصب من دعواتهم من أثر مجالستهم، ثم انتقل إماماً فحلاً من أئمة أهل السنة مجرحاً ومعدلاً كأبي حاتم زمانه .
وسأورد إن شاء الله قريباً كلام الأئمة المعاصرين فيمن طعن هو فيه وحكم عليه بالتوسع في الطعن والجرح .

حسن جداً أن يرجع أحمد عن تأييده للأحزاب بعد مشاركة أمراء الأحزاب طوفاً هنا وهناك يدعو إلى التحزب والطعن في حكام البلاد قائلاً: بأنهم-يعني الحكام لم يدعوا أنهم أمراء حتى ينظر في شأنهم إنما هم رؤساء . . . كذا

حسن جداً أن يتراجع ويؤلف كتاباً «نصيحة الحب في ترك الحزب»

حسن .

ولكن

أين بيان الطعن في رموز الأحزاب وأئمتهم وقد كنت تعمل معهم جنباً إلى جنب وكنت معهم متسبباً في نشر الحزبية وما زالوا يضلون الشباب

= يعرفونها وسكتوا عنها، ثم إذا أثبتت هذه الأخطاء فأنا أتبرع بالرد عليها ونشرها، لا أتبرع لك بالمداد فحسب نصحاً للأمة إن أتيتني بها وإلا فأنا صاحب منهج معوج إن لم أفعل، أما إن كنت أنت لا تعرفها، فهكذا يكون الجرح والطعن وإلا فلا، وليتعلم المساكين الذين يجلسون لك، هكذا النقد البناء!! .
ورحمة الله على الإنصاف المدعى .

بحزبيتهم الحزينة؟

وأين بيان حال الذين طعنوا في التحزبات قديماً وحديثاً وفي الداعين إليها هل كانوا في ظاهر أمرهم غيورين على الدين، وفقهاء بالواقع الذي لم يكن تبيين له، وتبين له بعد - على حد قوله -، أم كانوا سبابة يشتمون العلماء بلا موجب .

ولأقل شيء يخطئون الرجل ويجدعون أنفه؟

أم أن إلزام أحمد النقيب بهذا من الإصلاح والبيان الواجب الذي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ [البقرة: ١٦٠].

لو تأمل في قول النبي ﷺ، ونصائح السلف و«البركة مع أكابرهم»، وتبعهم ولزم أقاويلهم لعلم ما علموا مبكراً قبل أن يبدو منه ما بدا . . . وفقني الله وإياه لما يحب ويرضى ورزقني الله وإياك لزوم الحق والاعتراف لأهله ودعوة الناس إلى ذلك وصيانة أعراض العلماء .

ابن جبرين:

قال:

«الجمامية قومٌ يغلب عليهم أنهم من المتشددين، . . . والذين يحسدون كل من ظهر وكان له شهرة، فيدخلوا عليهم»^(١).

ويصدق عليهم الحسد، فلاجل ذلك صاروا يتنقصون كل من برز من

(١) والحسد شيء قلبي لا يطلع عليه، وأما الرمي بالألقاب فما أسهله على مثله .

بل أسوق له مقولة رسول الله ﷺ حينما قيل له: مُصَلِّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أُنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشَقَّ بُطُونَهُمْ»، =

العلماء ، ويعيبونهم ويتتبعون عثراتهم ويسكتون عن عثرات بعض فيما بينهم ، ونسبتهم إلى أول من أظهر ذلك وهو محمد أمان الجامي ، وقد توفي وأمره إلى الله تعالى .

هذا سبب تسميتهم» .

انظر ماذا يقول عن العالم بحق الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ .
وما أدري يحسدونهم على أنهم يرمون العلماء بالألقاب ويحزبون
ويطعنون على أمرائهم ويزجون بالشباب في الفتن ويتكلمون بجرح أهل
العلم الذين أثنى عليهما العلماء كما سيأتي^(١) .

= مع ظهور نفاق من الرجل ظاهراً . .

فراجع روايته في «صحيح البخاري» (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤) .

وقد قبل رسول الله ﷺ ظواهر المنافقين واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله

كما في «صحيح البخاري» (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) .

بل قال عمر رضي الله عنه : «إِنَّ أَنَسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ
الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ» . . . الحديث أخرجه
البخاري (٢٦٤١) .

فهل دعواه أن الجامية -على حدّ زعمه- يحسدون كل من ظهر وله شهرة دعوى
صحيحة أم فاسدة؟ .

وسياتي تعليق العلماء على هذه الدعوى التي لآكها الذين يرمون الشيخين ربيع بن
هادي المدخلي ومحمد أمان الجامي ، بالجامية والمدخلية ، فيرمون العلماء
بالألقاب ويكذبون عليهم ، ثم يتهمونهم بسبّ العلماء وشتمهم والشدة عليهم .

(١) علق عليه أخي الشيخ خالد عثمان -وفقه الله- في «الكواشف الجليلة» (١٨/١)

=

فقال :

وانظر قوله في أهل البدع .

لا بد أن تجده رحيماً ، معتذراً عنهم ، مخلصاً لهم من ورطة ، ويلتمس لهم الأعدار .

هذه نتيجة حتمية . .

من طعن في أهل السنة لا بد أن يعتذر أو يمدح أهل البدعة . .

انظر إلى هذا الرامي للشيخ محمد أمان الجامي بالجامية وقد قدمه الشيخ ابن باز معلماً لمعهد صامطة بجيزان بعد وفاة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي سنة (١٣٧٧هـ) .

واختاره أيضاً للعمل في إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وعينه مديراً للدعوة في جيبوتي .

ووصفه مع الشيخ ربيع بالاستقامة، وقال بعد ذكرهما :

«نسأل الله لهما المزيد من كل خير، والتوفيق لما يرضاه، ولكن دعاة

= «إنما أفتى ابن جبرين بهذا الهراء تعصّباً لحزبه - حزب الإخوان- وتشويهاً لصورة العلماء الذين كشفوا عوار هذا الحزب وعوار رموزه، وهو يعلم -علم اليقين- أن أكابر علماء العصر لا يوافقونه على هذا الطعن في العلامة محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ .

وإنما أحدث هذا اللقب «الجامية» الحزبيون شفاءً لغيلهم»، ثم ذكر كلام السلف في معاداة أهل البدع لأهل السنة ورميهم بالألقاب وذكر كلام الصابوني في ذلك، وقد علقت علي كلام الصابوني في شرحي لكتاب «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» (ص ٣٧٠) فقرة رقم (١٣٠) . فليراجع

الباطل وأهل الصيد في الماء العكر الذين يشوشون على الناس يتكلمون في هذه الأشياء . . .

وقال عن الشيخ أمان والشيخ ربيع المدخلي :

«كلاهما من أهل السنة ومعروفان لديّ بالعلم والفضل والعقيدة الصالحة .

وقد توفي الدكتور محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ ليلة الخميس الموافقة سبع وعشرين شعبان من هذا العام رَحِمَهُ اللهُ .

فأوصي بالاستفادة من كتبهما ، نسأل الله أن يوفّق الجميع لما يرضيه ، وأن يغفر للفقيد الشيخ محمد أمان ، وأن يوفّق جميع المسلمين لما فيه رضاه .

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ أيضاً :

«الشيخ ربيع من خيرة أهل السنة والجماعة ، ومعروف أنه من أهل السنة ، ومعروف مقالاته وكتاباتة» . اهـ

وقد كان الشيخ ابن باز يطلب منه تزويده بكتاباتة حول بعض الأشخاص ثقةً بما يكتب .

أما كلام الألباني عن الشيخ ربيع فتقدم بعضه ، ومن طلب المزيد وجده .

والشيخ مقبل يثني كثيراً على الشيخ ربيع^(١) .

(١) وراجع كتاب «ماذا يعنون بالجمامية والمدخلية» للشيخ فلاح مندكار ، و«إتحاف =

فكيف ترى كلام ابن جبرين أمام هؤلاء الكبار؟
 أليس هو الطعن في العلماء بلا موجب؟
 وسيأتي مزيد من نقول تزكية لهما قريباً إن شاء الله .
 والحقيقة أن المادح لابن جبرين بعدما يعلم عنه ما وقع منه هو بلازمة
 قدح في العلماء الذين خالفهم ابن جبرين كابن باز وغيره ،
 وقد ذكرتُ فصلاً في كتابي «عقيدة المسلم الصغير» ذكرتُ فيه حرمة
 الثناء على أهل البدع والمعاصي لما يؤدِّيهِ من مفاسد متشعبة ، وبينت
 منهج السلف في ذلك ، ونصوص أقوالهم وأفعالهم ، فليراجعه من أراد
 في الموطن المذكور .

وحاصله :

أن من دافع عن أهل البدع المخالفين فهو مثلهم يلحق بهم ، وهو أشد
 على السنة وأهلها من المبتدع نفسه .
 ولا يتعلل بعلمهم ليمدحهم :
 فهل صان السلف القدرية الذين كانوا يتقفرون العلم ؛ أي : يجمعون
 العلم يطلبونه . .

أم تبرءوا منهم وقدحوا فيهم وحذروا منهم لمخالفتهم في أصل واحد
 من أصول أهل السنة .

= الأنا م بموافقة الشيخ ربيع للأئمة الأعلام» لأخي نا أحمد بن حمدان ، ففبه نقلٌ عن
 العلماء بالثناء على محمد أمان الجامي وربيح المدخلي .

إن سعة العلم لا تمنع من تبديع المرء أو عقوبته أو زجره، أو التشهير به إذا كان أهلاً لذلك .

فأين الذين يتعللون بسعة علم الرجل للثناء عليه .

إنهم لفي حاجة ماسة لمراجعة كتابنا الآخر

«التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم» ليعلموا سمات العالم، والله

المستعان .

* فماذا صنع أحمد وأبو حاتم وأبو زرعة ويحيى بن معين وأصحابهم مع الحسين الكرابيسي الذي في سعة علمه لا يعشره أبو ثور لما مدح الكرابيسي الحسن بن صالح الذي يرى السيف في الأمة أو منازعة الأمراء؟!!

زُمُوة بأعلى صوت .

* بل ماذا فعلوا بشأن عمران بن حطان لما مدح مبتدعاً؟

* وماذا قالوا عن عمرو بن عبيد الذي كان بحرّاً في علوم اللغة؟

* وماذا كان حال الطيالسي مع عبد الوارث بن سعيد لكونه فقط مدح

عمرو بن عبيد القدري؟

* وكلامهم عن أبي الوفاء بن عليل واضح لما ترخّم على الحلاج .

* وقد قال ابن باز عمّن يُثني على أهل البدع:

«هو داعٍ لهم هذا من دعواتهم نسأل الله العافية» .

فراجع كتابي المشار إليه آنفاً .

إن مثل هؤلاء أظنهم لو ضبطوا أصول منهج السلف بإنصاف وتابعوا العلماء الكبار من أمثال ابن باز والعثيمين والألباني والعباد والفوزان واللجنة الدائمة الذين هم على المنهج الأقوم، لو تابعوهم لاستراحوا وأراحوا أنفسهم من عناء يعانونه يخرجون منه باتهام آخرين بغير بينات ولا روية، والله سائلهم عما قالوا .

فلا يوجد شيء اسمه المداخلة أصلاً ولا الجامية،

إنما هم مشايخ (محمد بن أمان الجامي وربيعة المدخلي) مشايخ علماء نفع الله بهم وبكتبهم، وأشرطتهم مبنوثة فليطلع عليها من أراد الثبوت، لهما حسنات وجهد، وجهاد، وعلم وفضل ودعوة، وسهر...، ولا أعلم لهما أخطاء في ثوابت المنهج،

ولكن هذين بالذات لما كان عندهم الشدة على أهل البدع - وهذا موطن مدح لا ذم كما تقدم بيانه -، كاللهم أصحاب الأهواء المكاييل لينفروا الناس عنهما كما أشار إلى طريقتهم الإمام السجزي قديماً المتوفى سنة (٤٤٤هـ) في «رسالته إلى أهل زييد» (ص ٣٠٨)،

والعوام يلوكون هذا كعادتهم فينتشر ما لا أصل له . . .

وهما على المنهج ومن وجد غير ذلك فليشر ما وجد من أخطاء في المنهج أو غيره وأنا أساعده في نشره إن شاء الله وآتية بالحبر والورق حسبة، فليسا بمعصومين، وعلمهما مع غيرهما مبنوثة، من طلبه وجدته والحمد لله .

وأما الطاعنون السبابون للعلماء الذين يُذيعون الشائعات الباطلة التي فيها القدح في العلماء .

مثل المسعري الذي يجزم:

بأن الشيخ ابن باز وصل إلى مرحلة من الخرف والسفه والضعف العام.

ومحمد بن عبد الوهاب كان رجلاً ساذجاً وليس عالماً ، وتبنى مواقف ساذجة تتناسب مع سذاجة القوم في نجد .

ومعاوية بن أبي سفيان كان مغتصباً وسيلقى جزاءه من الله يوم القيامة على ما ارتكبه من جرائم .

والخميني رجل زعيم تاريخ عظيم وعبقري^(١) مثل هذا يسكتون عنه .

(١) راجع «مدارك النظر في السياسة الشرعية» (ص ٢٤٣-٢٤٤).

وراجع نصوص أقوال مثل هذا الأفاك الأثيم مبسوطه من طلبها وجدها ، مع كلام غيره مثل علي بن حاج ، الذي رمى المعتزلين للفتن بالنفاق والجبن .
وعنى الألباني وأمثاله بأنهم دعاة سوء وتخدير وعلماء سلطة .
وكذا سفر الحوالي وقادة الإخوان المسلمين لهم السبق في نيز أهل العلم ب«علماء الحيض والنفاس» .

وسبقهم إلى (القدح والسب للعلماء) أفراخ أهل البدع من المعتزلة والخوارج .
وقد أخرج الدولابي في «الكنى» (١٧٧٦) عن أحمد بن شعيب ، عن مؤمل بن هشام ، عن إسماعيل بن علية قال : حدثني اليسع أبو مسعدة قال :

«تَكَلَّمَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ يَوْمًا ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ : مَا كَلَامُ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ وَالنَّخَعِيِّ وَالشَّعْبِيِّ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَ إِلَّا خَرَقُ حَيْضٍ مَطْرُوحَةٌ» .

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٨٢/٦) ، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٨٥/٣) من نفس الطريق ، ورجاله ثقات ، إلا اليسع أبو مسعدة ، فلم أعرفه .

وعند العقيلي : أبو مسعدة ، فالله أعلم .

وهذه جملة نصوص أقوال أهل العلم في الشيخين ربيع بن هادي
والجمامي وفي من يطعن في منهجهما وسبب طعنهم^(١):

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

«بخصوص صاحبَي الفضيلة الشيخ محمد أمان الجمامي، الشيخ
ربيع بن هادي المدخلي، كلاهما من أهل السنة، ومعروفان لديّ بالعلم
والفضل والعقيدة الصالحة. فأوصي بالاستفادة من كتبهما» [شريط
الأسئلة السويدية].

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

«إخواننا المشايخ المعروفون في المدينة ليس عندنا فيهم شك هم من
أهل العقيدة الطيبة، ومن أهل السنة والجماعة مثل الشيخ مُحَمَّدَ أمان بن
علي الجمامي، ومثل الشيخ ربيع بن هادي، ومثل الشيخ صالح بن سعد
السحيمي. . . . ومثل الشيخ مُحَمَّد بن هادي، كلهم معروفون لدينا

= وذكر الشاطبي في «الاعتصام» (٣/١٧٧):

أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام على الفقه فكان يقول: إن
علم الشافعي وأبي حنيفة، جملته لا يخرج من سراويل امرأة. . . .
ثم قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ:

«هذا كلام هؤلاء الزائغين قاتلهم الله». اهـ.

وقد تقدم طرف من سبابهم وطعنهم في أهل السنة وحصره يسع مصنفاً مستقلاً.
أشرت إلى بعضه في ذيل كتابي «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم» وبيان الأدب معهم
وبينت سوء أدب أهل البدع معهم.

(١) نقلاً عن «الكواشف الجليلة» (١/١٩) وما بعدها لأخي خالد بن عثمان -وفقه الله-.

بالاستقامة والعلم والعقيدة الطيبة»^(١).

وسُئِلَ الشيخ عبد العزيز الراجحي - حفظه الله - : بعض الناس يتهم من تمسك بالمنهج السلفي بأنه جامي ، ويحذر من الشيخ ربيع والشيخ النجمي والشيخ زيد بن محمد هادي المدخلي وغيرهم من أهل العلم ؟ فأجاب - حفظه الله - :

«الألقاب لا تُغيَّر ، النبز بالألقاب لا يصلح ، المهم ثقل الشخص ، المشايخ نعرف أن معتقدتهم سليم ، ومن أهل السنة والجماعة ، الشيخ ربيع والشيخ أحمد والشيخ زيد لا غبار عليهم» .
[تسجيلات منهاج السنة بالرياض].

وسُئِلَ الشيخ الفوزان - حفظه الله - كما في شريط «الأسئلة السويدية» (٥ ربيع الآخر ١٤١٧ هـ) سوألاً ومما قال في إجابته :

« . . . كذلك من العلماء البارزين الذين لهم قدم في الدعوة : فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد ، فضيلة الشيخ ربيع بن هادي ، كذلك فضيلة الشيخ صالح السحيمي ، كذلك فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي ، إن هؤلاء لهم جهود في الدعوة والإخلاص ، والرد على من يريدون الانحراف بالدعوة عن مسارها الصحيح ، سواء عن قصد أو عن غير قصد ، هؤلاء لهم تجارب ولهم خبرة ولهم سبر للأقوال ومعرفة الصحيح من السقيم ، فيجب أن تُروَّجَ أشرطتهم ودروسهم وأن ينتفع بها ؛ لأن فيها

(١) انظر : «مدارك النظر» لعبد الملك الرمضاني (ص ٤٠٩) ط : الرابعة ، مكتبة الفرقان .

فائدة كبيرة للمسلمين» .

وسُئِلَ -حفظه الله تعالى- كما في شرحه على «النونية»: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول بعض الناس: إن هناك فرقة قد خرجت اسمها الجامية، حتى أطلقوها عليك، فما أدري من أين أتوا بهذا الاسم، ولماذا يطلقونها على بعض الناس؟

الجواب:

هذا من باب، يعني: من باب الحسد أو البغضاء فيما بين بعض الناس^(١)،

ما في فرقة جامية ما في فرقة جامية، الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله نعرفه من أهل السنة والجماعة، ويدعو إلى الله ويعزله، ما جاء ببدعة ولا جاء بشيء جديد، ولكن حملهم بغضهم لهذا الرجل إنهم وضعوا اسمه وقالوا فرقة جامية، مثلما قالوا: الوهابية، الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما دعا إلى التوحيد، إخلاص العبادة لله سموا دعوته بالوهابية.

هذه عادة أهل الشر؛ إذا أرادوا مثل ما قلنا لكم، ينشرون عن أهل الخير الألقاب، وهي ألقاب -ولله الحمد- ما فيها سوء، ما فيها سوء -ولله الحمد- ولا قالوا بدعاً من القول، ما هو بس محمد أمان الجامي

(١) إنما قال بالحسد لظهور أماراته وهو الكلام في العلماء بلا موجب .

أما ما تقدم عن ابن جبرين فرميه لمن سمَّاهم بالجامية بالحساد هو رمي ولم يظهر منهم شيء، فعلام سماهم حساداً .

ولقب الجامية لقب مخترع أصلاً كما سببته الشيخ .

إلَّي ناله ما ناله ، نال الدعاة من قبل من هم أكبر منه شأنًا ، وأجلَّ منه علمًا نالوهم بالأذى . . .» . اهـ

وسئل أيضًا (رقم الفتوى ٥٠٩٣ من موقعه -حفظه الله-) : فضيلة الشيخ -وفقكم الله- ذكرتم حفظكم الله أن من عادة أهل الباطل قديمًا وحديثًا وصف أهل الحق بأوصاف ؛ حتى يُنْفروا الناس منهم ، والسؤال يقول : نحن مجموعة من طلاب العلم ندعو إلى لزوم منهج السلف ، والالتفاف حول العلماء الربانيين ، وحول ولاة الأمور ، والتحذير من أهل البدع ، ومع ذلك نُتَّهَم بأننا جامية ، ونلقب بهذا اللقب ، وقد تكرر هذا السؤال عدة مرات ، فما التوجيه حيال هذا اللقب وحيال هذه النسبة ؟

الجواب :

«التوجيه : استمروا فيما أنتم فيه ، وأنتم على خير ، ولا تلتفتوا لمن يقول هذا القول ، وذنبه عليه ، أبدًا لا يهتمكم أمره ، نعم» .

وسئل -حفظه الله- في الحرم المكي في تاريخ (١٣/٦/١٤٣٤هـ) : هل من نصيحة لشباب يطعنون في بعض أئمة الدعوة السلفية كالشيخ محمد أمان الجامي ، والشيخ ربيع المدخلي ؟

فأجاب بقوله : «دعونا من الأفراد والقييل والقال ، المشايخ -إن شاء الله- فيهم خير ، وفيهم بركة للدعوة السلفية ، وتعليم الناس ، فلو ما أرضوا بعض الناس فالرسول ما أرضى كل الناس ، هناك ساخطين على الرسول ﷺ ، مسألة النفسانيات والأهواء هذه لا اعتبار بها ، المشايخ نحن نحسن بهم الظن ، وما علمنا عليهم إلا الخير ، إن شاء الله-» . اهـ

والحقيقة :

أن الذين يطعنون أو يسبُّون أهل العلم -وعلى وجه الخصوص من عليهما الحرب في المجتمع الآن الشيخ ربيع المدخلي والشيخ محمد أمان الجامي- أحد ثلاثة أصناف، ولا تجدهم إلا من أحد هذه الأصناف :

النوع الأول :

جهال بالدين والمنهج أو الشيخين . . أو متأثرون بهؤلاء الجهال من العامة .

الثاني :

مفتونون : خوارج - أهل أهواء- حُساد لهم أغراض دنيوية . . . أو متأثرون بهم أيضًا من العامة يكذبون أو يكذب لهم فينقلون ويصدِّقون .

الثالث :

جمعوا بين الجهل والفتنة، يتحزَّبون لكل طائفة تارة على حسب الأحوال، كالشباب المُغرَّر به .

وإذا جهد طالب العلم نفسه في قراءة كتب الشيخين وتتبع سيرة المشايخ -لا من عند الأصناف المذكورة- ولكن من كتبهما وعرضها على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، علم أن المنتقدين للشيخين^(١) أو

(١) ولذلك جزم الألباني بمدح ردود الشيخ ربيع وقال :

إن الذين يردون على الشيخ ربيع لا يردون عليه بعلم، وهو يرد عليهم بعلم، ونص =

من يسيئون لهما لا يخرجون عن هذه الأصناف الثلاثة التي ذكرتها، وقد بلوتهم جميعاً أصنافهم كذلك، فلا تجدهم إلا أحد الأنواع الثلاثة.

* وقد أشار الألباني إلى نحو ذلك فيما يتعلق بالشيخ ربيع المدخلي وذكرته في موطنه.

وقال ابن باز عن الشيخ محمد أمان:

«معروف لديّ بالعلم والفضل وحسن العقيدة والنشاط في الدعوة إلى الله سبحانه، والتحذير من البدع والخرافات، غفر الله له وأسكنه فسيح جناته وأصلح ذريته وجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته إنه سميع قريب».

وسئل عن موقفه من الشيخ فقال:

«بخصوص صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن علي أمان الجامي، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي كلاهما من أهل السنة»^(١).

= قوله: «أخونا ربيع هو حامل لواء الجرح والتعديل . . . وبحق أخونا الدكتور ربيع والذين يردون عليه ليس بعلم أبداً والعلم معه».

راجع مقطع بعنوان: «الألباني: أخونا ربيع حامل لواء الجرح والتعديل في هذا العصر». على شبكات الإنترنت.

(١) راجع المزيد في كتاب «إتحاف الأنام بموافقة الشيخ ربيع للأئمة الأعلام» (ص ١٤٠) وما بعدها.

والأمر أوضح من شمس النهار، فهذه كتب الشيخين دليل على ما أقول، والله أعلم.

وأقول -وبالله التوفيق- :

لا بد من فضح من يتسترون بالعوام، ويبثون الشائعات والكذب على العلماء، ويجرحونهم بالكذب، ويحذرون الناس منهم ويطعنون فيهم بغير وجه حق، ثم يرمون غيرهم ممن لا يعشرونهم في العلم ولا في صحة المنهج -كذباً وبهتاناً كأسلافهم- بما جنته ألسنتهم، والله من ورائهم محيط.

يرمون البراء من أهل العلم بما كسبوا، يسبون العلماء ويطعنون فيهم بحجة أنهم يسبون العلماء؟! (١).

ألم يأتهم نبأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

يسيئون الأدب مع أهل العلم، ويرمونهم بالتهم، ويقدحون فيهم بالبهتان والكذب ثم يقولون عن خصومهم: «يسبون العلماء» أي علماء هؤلاء؟

أليس الكذب والبهتان على الأفراد -فضلاً عن أهل العلم- مسقطاً للعدالة؟!!

لكن لا عجب، فمثل هؤلاء قديماً فعلوا.

والله من ورائهم محيط، وهو المستعان.

(١) ولا أدري من العلماء عند أهل الأهواء والبدع، وراجع كتابنا «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم».

بيان مصطلح العالم الذي يحذر من الطعن فيه:

ألا فاعلم -بارك الله فيك- أن العالم:

«هو من اتبع العلم والسنن وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب»
قاله الإمام البربهاري في «شرح السنة».

فلا يلتبس عليك القصاص الطاعنون في العلماء بحجة الدفاع عن العلماء فتضرّ وتضلّ ضلالاً مبيناً.

واعلم -هداني الله وإياك للصواب-:

أن العلماء قلّوا في هذا الزمان، وإذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في زمانه:

«إنكم في زمانٍ كثير علماءؤه قليل خطبأؤه، وإن بعدكم زماناً كثيراً خطبأؤه والعلماء فيه قليل»^(١). فماذا عساه أن يقول لو رأى زماننا؟
فهذا هو الزمان الذي قلّ العلماء فيه حقاً فاتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.

إن أهل البدع قد جمعوا العوام عليهم بخطبهم الرنانة، وأساليبهم المعروفة، وقصصهم الجذابة لجذب الناس، والإعلام حولهم يلمّعهم،

(١) وهو صحيح: أخرجه ابن أبي خيثمة في كتاب «العلم»، وعبد الرزاق (٣٧٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٩) وغيرهم بسندٍ صحيح.
وقد روي مرفوعاً وخرجه في كتابي «مقدمة خطب العام بصحيح القصص النبوي» يسر الله إخراجَه.

هذا يمدح ذاك، وذاك يمدح هذا، يُحيي بعضهم بعضًا، فيكبر العوام هذا وذاك مع الإشاعات والكذب.

فسمّاهم -حدثاء الألسن- علماء، ونشروا ذلك كذا!

وابن باز وابن عثيمين والألباني وربيع بن هادي المدخلي... علماء، ففهم الناس أن الخلاف بين هؤلاء القصاص -من الجهلة وأهل الفتن- وبين أهل العلم الحقيقيين إنما هو خلاف بين عالم وعالم، ولذا نشروا بين الناس عند النزاع:

«الخلاف شر».

على أن هؤلاء -الذين هم علماء- هم الذين ينشرون الخلاف، بل أوهموهم أن أولئك الأعداء وكل منهم أفته بحال بلده أفته بالواقع.

تحت شعار «أهل مكة أدرى بشعابها وصاحب الدار أدرى بما فيها»، وهو كلام حق -أحياناً- أرادوا به باطلاً.

وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين^(١):

* فريق:

غلبت عليه الضلالة والعاطفة مثلما حدث للخوارج، فاعتبروا الخطباء هم العلماء الصادقين والعاملين لنصرة الإسلام، ومن ثم بدأ يطعن بفجور في العلماء حقاً.

* وفريق: ركب موجة التمييع والملاينة والمداهنة فأخذ يقول: الكل

(١) «الكواشف الجليلة» لأخينا خالد بن عثمان (٢/ ٣٥).

على خير والخلاف شر، واعتبر هؤلاء الخطباء علماء مجتهدين أخطأوا، ولهم أجر واحد، وصوّر المسألة على أنه خلاف يشبه الخلاف الذي حدث بين الصحابة حال الفتنة.

وهذا كله تمويه وتشويه وتغيب عجيب للحق.

والحق: أن بعض هؤلاء الخطباء أصحاب هوى وضلالة، والخلاف بينهم وبين العلماء الربانيين حقاً هو خلاف بين أهل سنة وأهل بدعة وجهالة، وأن تحذير هؤلاء العلماء منهم هو مثل تحذير الأئمة أحمد وابن معين وأبي حاتم الرازي والبخاري وأضرابهم من علماء الجرح والتعديل من بعض أصحاب البدع والأهواء.

واعلم -رحمك الله- أن مآل هؤلاء الخطباء -إلا من رحم الله- الاضمحلال، وأن هؤلاء الأتباع الكثر عما قريب يزولون عنهم، ولا ينفعونهم وقت الشدة ولا ينصرونهم، إنما هي زوبعة طائر فقد أحد جناحيه فصار يخبط خبط عشواء بالجناح المتبقي حتى سقط وصار نسيّاً منسياً، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]^(١).

(١) وقد ذكرت فصلاً مثَّلتُ فيه بحال الحسين الكرابيسي وأبي ثور والحارث المحاسبي وابن أبي دؤاد وأحمد بن حنبل وغيرهم، كيف أن السُّني علا نجمه بعد غياب طويل، والمبتدع منهم صار في مزبلة التاريخ، كما قال شيخ الإسلام: «أهل السنة يموتون ويحيا ذكرهم، وأهل البدع يموتون ويموت ذكرهم، سنة كونية لا تتبدل ولا تتغير».

راجع كتابي «عقيدة المسلم الصغير».

وإن العلماء حقاً وإن تراءى لك أن أتباعهم قلة ، وركائبهم مرتحلة بسبب تشويه هؤلاء البطلة ، فإن سنة الله تقتضي خلاف ما تراءى لك .

ألم تر إلى الشوكاني يُجسّد السنن الكونية في مثل هذا فيقول^(١) :

«هكذا صاحب المعرفة وحامل الحجة وثاقب الفهم لو وطّن نفسه على الإرشاد وتكلم بكلمة الحق ونصر الله سبحانه ونصر دينه ، وقام في تبين ما أمره الله بتبليغه لحمد مسراه ، وشكر عاقبته وأراه الله سبحانه من بدائع صنعه وعجائب وقايته وصدق ما وعده من قوله : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج : ٤٠] ، ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد : ٧] ، ما يزيده ثباتاً ويشد من عضده ويقوي قلبه في نصره الحق ومعاضدة أهله .

ومن تأمل الأمر كما ينبغي عرف أن كل قائم بحجة الله إذا بينها للناس كما أمره الله وصدع بالحق وضرب بالبدعة في وجه صاحبها ، وألقم المعتصب حجراً ، وأوضح له ما شرعه الله لعباده ، وأنه في تمسكه بمحض الرأي مع وجود البرهان الثالث عن صاحب الشرع كخابط عشواء وراكب العمياء .

فإن قبل منه ظفر بما وعده رسول الله ﷺ من الأجر في حديث :

«لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا...» الحديث .

وإن لم يقبل منه كان قد فعل ما وجب لله عليه ، وخلّص نفسه من كتم العلم الذي أمره الله بإفشائه ، وخرج من ورطة أن يكون من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ودفع الله عنه ما سولته له نفسه الأمانة من

(١) وأنقل كلامه بتصرف من كتابه «أدب الطلب ومنتهى الأرب» (ص ٤١) وما بعدها .

الظنون الكاذبة والأوهام الباطلة، وانتهى حاله إلى أن يكون كعبه الأعلى، وقوله الأرفع، ولم يزد ذلك إلا رفعة في الدنيا والآخرة، وحثاً عند عباد الله، وظفراً بما وعد الله به عباده المتقين، وهم وإن أرادوا أن يضعوه بكثرة الأقاويل، وتزوير المطاعن وتلفيق العيوب، وتواعدوا بإيقاع المكروه به، وإنزال الضرر عليه، فذلك كله ينتهي إلى خلاف ما قدره، وعكس ما ظنوه، وكانت العاقبة للمتقين كما وعد به عباده المؤمنين:

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

ولقد تتبعت أحوال كثير من القائمين بالحق المبلِّغين به كما أمر الله، المرشدين إلى الحق، فوجدتهم ينالون من حسن الأحدثة وبُعد الصيت وقوة الشهرة، وانتشار العلم، ونفاق المؤلفات وطيرانها وقبولها بين الناس ما لا يبلغه غيرهم ولا يناله من سواهم.

ثم ذكر جماعة ممن اشتهرت مذاهبهم وانتشرت أقوالهم وطارت مصنفاتهم بعدهم.

وما أصابهم من المحنة ما نالهم . .

ثم ضرب مثلاً بمالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وابن حزم، وابن تيمية... ثم قال:

«وهذه الإشارة إنما هي لقصد الإيضاح لك لتعلم بما يصنعه الله لعباده وعلماء دينه وحملة حجته، وفي كل عصر من هذا الجنس من تقوم به الحجة على العباد...». اهـ.

فرحمه الله رحمة واسعة، ذكرنا بسنن الله الكونية مع علماء دينه

القائمين بالحق ، ومآل المفترين الذين يطعنون في أهل العلم ويشوشون عليهم ويكذبون عليهم ، ويلبسون الحق بالباطل على العوام ، والله من ورائهم محيط .

فمهمٌ جدًّا بيان معرفة العلماء ممن ليس منهم

وأقول :

لا شك أن من يدافعون عن من يقول بالثورات والخروج على الحكام أو الطعن عليهم بذكر معائبهم علنًا ، أو التهيج السياسي ، أو يدافع عن الذين يطعنون في أهل العلم كالشيخ ربيع المدخلي أو الألباني أو ابن باز أو ابن عثيمين أو الشيخ مقبل بن هادي . . . إلخ وهم كثير أو يصفهم بعلماء الحيز أو الخرق . . .

* هذا لا يكون إلا من أحد رجلين :

إما : رجل جاهل غاب عنه مصطلح العالم ، فظن كل من يقول بحديث رسول الله ﷺ أو يبكي أو يصعد المنبر أو صاحب تهيج أو يحضر له كبير عدد . . . إلخ ظنه من العلماء الذين يدافع عنهم ديانة ، وأن من مسَّهم ففي قلبه مرض .

فيطلب - هذا الجاهل - لهؤلاء ما يُطلب للعلماء والأئمة ، فهذا يُعلم من العالم وأوصافه وأعماله . . . إلخ .

وإما : مفتون ضال منحرف مبتدع أو متعصب يريد أن يشهر البدع ويمشئها فهذا ومن يتعصب له مثله .

ولا يخرج من يدافع عنهم عن هذين . والله المستعان .

- فيا هؤلاء أربعوا على أنفسكم إن من كان ذا عبادة وزهد وصلاة وقراءة لا يوسم بالعالم السلفي إذا خالف أهل السنة من السلف في أصل واحد مما كانوا عليها، كما هو نهج السلف مع الخوارج والجهمية وغيرهم، والأمثلة كثيرة.

- ومن كان ذا علم يجمع العلم ويطلبه لا يوسم بالعالم السلفي إذا خالف أي أصل من الأصول التي كان عليها السلف، كما هو نهج السلف مع القدرية مع مثل عمرو بن عبيد ومعبد الجهني . . .

- ومن كان ذا منزلة وسيادة ورفعة قدر في المجتمع يُشار إليه بالبنان لا يوسم بالعالم السلفي إذا خالفهم في أصل من الأصول السلفية، كما هو نهج الصحابة عمر بن الخطاب مع صبيغ بن عسل وشبهه

- ومن غاب عنه حقيقة معرفة العالم السلفي حريٌّ به أن يسكت، ويدع الأمة من شره إذ لم يكلفه الله بكلام ولا تحليل ولا تدقيق ولا استنباط ليترك الساحة لأهل العلم يتكلمون حتى يفهم الناس وإلا فالسنوات الخداعة التي يصدّق فيها الكاذب ويكذّب فيها الصادق، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيهم الرويضة كما ذكرها رسول الله ﷺ.

فقد غاب هذا النهج عن قتادة بن دعامة السدوسي يوماً فدافع عن عمرو بن عبيد ووسمه بالعلم والفقّه، وهو مبتدع مجرم لولا تبصير الله له برؤيا رآها في النوم ذكرتها في غير هذا الموطن، والله المستعان.

ويا دعاة الثورات والخروج على الحكام ورمي أهل العلم بالألقاب

والطعن فيهم وسبهم:

لبستم عبادة أهل العلم حتى اعتبركم الناس علماء وحملة سُنَّةٍ وحماة
التنوير ودعاة الخير.

كان لسان حالكم مع الشعوب كما يقول القائل:

قلتم: اغضبوا.

فلما غضبوا.

قلتم: اخرجوا.

فلما خرجوا.

قلتم: فليموتوا.

فلما ماتوا.

قلتم: أين الحكام العرب؟!!

أحدهم الآن يصرح كالشكلى: أين العلماء، أين المشايخ، حلب

حلب!!!

يا مسكين:

العلماء والمشايخ تكلموا من أول يوم، لكن أنتم من رفض كلام

العلماء.

قالوا لكم:

دعوا هذه الثورات والمظاهرات، اتركوا هذا البلاء، هذه فتنة،

وهؤلاء دعاة فتنة جهال ليسوا علماء.. لا تسمعوا لهم.

دعوكم من هؤلاء دعاة الضلالة والحماسيين الذين يجرونكم إلى سفك دمائكم وهتك أعراضكم^(١).

قلت: لا

هؤلاء علماء سُلطة وخونة وعملاء، وعلماء حيض ونفاس ولا يفقهون الواقع وعباد الطواغيت...!!

فأرجو:

أن لا تصرخوا: أين العلماء؟ لأنكم أنتم من ضيعتموهم وضيعتكم مكانتهم ومنزلتهم في الأمة، وما زلتُم تُحذرون الناس منهم: عملاء أمن دولة، يسبون العلماء، أصحاب سفسطة، ينشغلون بالردود دون الاهتمام بالمهم، ناهيك عن رميهم بالألقاب والكذب عليهم والتشويش لدعوتهم لصرف الناس عنهم.

أرجو:

أن يصيح العوام ومن عنده شيء من الفهم - لا لأصحاب التعصب - دعكم من هؤلاء.

أرجو:

أن تصيحوا وتصرخوا عليهم:

أين أنتم يا من دفعتم بنا إلى الساحات!!

(١) وأحسنهم من يسكت على قاتل الباطل وداعي الناس إليه . بل منهم من يثني عليه ، فمسك الناس به ، وهو الآن يتملص .

وزينتم لنا الفتن والضلالات!!
وأفتيتمونا بالخروج في المظاهرات!!
وزعمتم أن الملائكة تنزل في الساحات وخالد بن الوليد يربط فيها،
وأن الله تجلى لميدان التحرير في مصر مرات ومرات . .

اصرخوا عالياً:

أين أنتم الآن؟

أين القرضاوي، أين العريفي، أين سلمان العودة، أين القرني، أين
محمد حسان الذي يتبجح بأن زوجته نزلت معه الساحة!!

أين عمرو خالد وعمر عبد الكافي، أين الزنداني وبراءة الاختراع؟

أين الغنوشي، أين العرعور، أين وأين . . .

أين هم وأسرهم؟

هم في دفاء وأمان يأكلون ويشربون وينكحون ويلبسون أفخر الثياب،
ويأكلون أطيب الطعام، ومنهم من مع الفسح في حدائق تركيا وغيرها أو
في المنتزهات .

أما السلفيون:

فبيروا إلى الله من هذه الفتن، وقد تكلموا وحذروا منها من أول يوم
حتى بُحَّت أصواتهم، فرميتهم بكل نقيصة وفجيعة وبلوى من بلاياكم
-نجى الله منها أهل السنة- .

ولم تلقوا لنصائحهم وتحذيراتهم بالأ، ولا لما ساقوا من كلام الله

وكلام رسوله ﷺ، وكلام الصحابة وعلماء أهل السنة اعتبارًا .
 فالله حسيبهم أن يأجرهم فيما تحمّلوا من أذاكم، يامن تسبون العلماء
 وترمونهم بالألقاب، وتشوّشون على دعوتهم، وتحذرون الناس منهم ومن
 نهجهم .

أبيان الحق والنصح للأمة وبيان حال المخطئين من أهل البدع
 والأهواء وغيرهم يُسمى سبابًا؟! إلى الله المشتكى .
 فيا هؤلاء :

دعوا أهل السنة في شأنهم ووجعهم وهمّهم وحنينهم على أمة تركت
 دينها وعلماءها، وساروا وراء السراب الذي يحسبه الظمآن ماءً .
 يا هؤلاء اعلموا :

أن كل قطرة دم تسفك بسبب هذه الثورات، وكل عرض يهتك،
 تحملون وزر ذلك عند الله ﷻ، والله المستعان على ما تصفون،
 ولا حول ولا قوة إلا بالله .
 يا هؤلاء :

قد سخر بعضكم من الإمام الفوزان وغيره حينما قالوا: إن ما يدعون
 أنه جهاد في سوريا إنما هو فتنة .

والآن بعدُ حلب تُباد بل سورية فهل تقرُّون بجُرمكم؟!
 يا محمد العريفي وعائض القرني ومحمد حسان . . . وكثير أراح الله
 الأمة من شرِّكم . . . قد صفّقتم للشعب السوري وباركتم مسعاهم في ثورتهم

المشئومة، وأقسم -عدنان عرعور- على قرب النصر...
والآن بعدُ حلب تُباد..

هل تعترفون بتحريضكم وتدميركم؟

يا عرعور وطارق السويدان وغيرهما..

قلتم: ليتم مليون في سبيل حياة البقية.. لولا ذهبتم مع المليون أو
دفعتم بأموالكم وفعلتم كما زجَّ السلف بأبنائهم للجهاد إن كان؟!
هل نراكم بعدُ وقد رأيتم حلب وهي تُباد؟

هل تشاركونهم جراحهم وتنزلون الميدان بأولادكم ونسائكم الذين
أنزلتموهم قبل وقت السِّلْم يكثرون السواد -سود الله وجوهكم- هل
تنزلون الميادين لتكملوا عدة المليون من أجل حياة البقية حياة كريمة؟!
وأين فقهم بالواقع الذي يتغنون به؟!

هل يعترفون بتقصيرهم -على الأقل- وضلال الآخرين أو ضلالهم إن
كانوا شاركوهم، ويعترفون لمناوئهم أنه كان على الحق في إنكاره ليكفَّ
العوام عن إيذائهم بالسب والشتم والرمي بالألقاب... إلخ؟!

وأين الإنصاف يا أصحاب التعصب؟

وأحدكم مع كل ريح يسير، يقول لكل سائر: أنا معك، فلا عجب أن
يقول في قبره: هاها لا أدري سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته.

وعندما يعجز المبتدع عن الرد يقول:

«إن من الرد عدم الرد».

أو يرمي بالألقاب: وهابي - جامي - مدخلي - رسلاني - فركوسي . .
 وإذا رأيت الرجل يكثر من الرمي بهذه الألقاب فاعلم أن سياط أهل
 السنة جرحت ظهره وجرح ولا يستطيع الدفع فهو يتوجّع - هداهم الله أو
 قطع دابرههم وأسكتهم حتى لا يتكلم إلا أهل السنة فيفهم الناس المنهج
 الصحيح، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
 وللأسف:

ما من كثير من الظاهرين إلا وشارك في المظاهرات إما بجسده
 ولسانه، أو بلسانه بالتشجيع والثناء، أو بالصمت والسكوت على من فعل
 ذلك في وقت كانت الحاجة داعية إلى التحذير من أفعالهم .
 وهذا الساكت إما هو معهم قلباً وقالباً ويخشى من النقد، أو هو جاهل
 بحقيقة منهج أهل السنة في مثل هذه الأمور، وغير مطمئن لخلاف ظاهر
 بين مؤيد ومعارض، وقد يكون ضعيفاً عن معرفة المنهج فلا تمييز عنده،
 ووصف من هذا حاله بالعلم هو من الكلام في الدين بغير علم .
 كيف والأمة لا حاجة لأمثالهم على الأقل في الظروف الصعبة فالأمة
 تستغني عنهم .

أولئك الذين لا يدرون الفتن في إقبالها كما هو شأن العلماء .
 أما معرفتهم بالفتن بعد إدارها فكلُّ يعرف هذا .
 ذلك أن الفتن إذا أقبلت شَبَّهت فلا يعلم بحقيقتها إلا العلماء، بخلاف
 ما إذا أدبرت فإنها تكون مُسْفرة يراها الجميع، ولا حاجة للعلماء في
 إدارها يبينون ما هو بين؟!!

ولطالما قال العلماء :

«الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل». فالذي لا يدري الفتن إلا إذا أدبرت لا حاجة للناس في كلامه، فإن نصحه تحصيل حاصل، ووصفه بأنه عالم تضليل وعماية عن الحق.

وهي آفة المجتمع اليوم والله المستعان

نظرة عشوائية لكل من اتصف بنوع خير كسيادة، أو كلام في الدين منمَّق، أو وعظ أو قص، أو تبخر في نوع من أنواع العلوم الشرعية وربما علوم دنيوية عدوه أيضًا عالمًا ثم أوجبوا له ما للعلماء من حقوق وواجبات وآداب، وقد عدُّوا الخوارج أهل البدع علماء، وعدُّوا القدرية علماء، وعدُّوا أصحاب السيادة علماء، وعدُّوا القصاص علماء، حتى عدوا الكذابين المفترين الكذب المدلسين الذين يطعنون على العلماء بلا موجب علماء. . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولذلك أفردت مصنفًا لذلك بعنوان «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم». وأختم بمقولة الذهبي في «تاريخه» (٢٥٦/١٣) في ترجمة الهالك أبي عبد الرحمن البصري الأفطس الذي كان يستخف بالأئمة ويكذب سفيان ويتكلم في غندر والقطان فسقط هو قال الذهبي :
«وكذا سُنَّ الله في كلِّ من ازدري العلماء وبقي حقيرًا».

سادسًا: سباب الأمراء والطعن فيهم (ديدن الخوارج أهل البدع):

إن سباب الأمراء فيه فساد دنيا الناس .

فالسب لهم يُجَرِّئُ الناس عليهم فتسقط هيبتهم فتكون الفوضى بسبب عدم احترامهم .

ولا فرق في هذا بين سباب الحاكم الجائر والحاكم العدل، فكله حرام.

وكذلك ورد عن السلف النهي عن ذلك في شأن أمراء الجور، وإليك بعض الوارد في ذلك:

* فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«نَهَانَا كِبْرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا تَسُبُّوا أُمْرَاءَكُمْ، وَلَا تَعْشُوهُمْ، وَلَا تُبْغِضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ»^(١). وهذا من أقوى الإجماعات في النهي عن سبِّ الأمراء.

ومن كان الأمراء في زمن أنس؟

ولماذا قال هذا إلا لوجود سباب للأمراء يومها رآه^(٢)، فنهاهم عن سبهم.

وكان من هؤلاء الأمراء الذين ذكر أنس رضي الله عنه نهي كبار الصحابة عن سبهم:

الحجاج بن يوسف الثقفي، وعبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، ومن كان هلاك الأمة على أيديهم، الأمراء الصبيان الغلطة، الذين استعاذ أبو هريرة من أن تدركه إمارتهم، وكانت في إماراتهم الحوادث العظام في المسلمين،

(١) أخرجه ابن أبي عاصم بإسنادٍ صحيح، كما خرجته في غير هذا الموطن.

(٢) فإن أمراء العدل لا يُسبُّون أصلاً وهذا معلوم ضرورة.

نجانا الله من الفتن .

* ونهى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عون السهمي فقال له : «لَا تَسُبُّوا الْحَجَّاجَ . . .»^(١) ، ولا يخفى نهى ابن عباس رضي الله عنهما سعيد بن جبير ، هذا مشهور .

وهؤلاء جماعة من التابعين كذلك نحو أمراء الجور :

* قال أبو إدريس الخولاني في زمان عبد الملك بن مروان :
«إِيَّاكُمْ وَالطَّعْنَ عَلَى الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ الطَّعْنَ عَلَيْهِمْ هِيَ الْحَالِقَةُ ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَيْسَتْ حَالِقَةُ الشَّعْرِ ، أَلَا إِنَّ الطَّعَّانِينَ هُمُ الْخَائِبُونَ ، وَشَرَارِ الْأَشْرَارِ»^(٢) .

* وقال أبو مجلز التابعي :

«سَبُّ الْإِمَامِ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ : حَالِقَةُ الشَّعْرِ ، وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ»^(٣) .

* وهذا أبو وائل تلميذ الصحابة أيضاً :

أخرج هناد في «الزهد»^(٤) بإسنادٍ صحيح عن الزبرقان قال :
«كُنْتُ عِنْدَ أَبِي وَائِلٍ فَجَعَلْتُ أَسْبُ الْحَجَّاجَ وَأَذْكَرُ مَسَاوِئَهُ ، قَالَ :

(١) وهو ثابت خرجته في كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط» ، وإسناده لا بأس به .

(٢) أخرجه ابن زنجويه في كتاب «الأموال» (٣٨) بإسنادٍ صحيح .

(٣) أخرجه ابن زنجويه في «الأموال» (٣٤) بإسنادٍ حسن .

(٤) (٤٦٤ / ٢) .

لا تَسُبَّهُ، وما يُدريك لعلَّه قال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَعَفَرْ لَهُ»^(١).
* وأخرج عبد الله بن أحمد في «الزهد»^(٢) بإسنادٍ حسن عن عمرو بن
الفضل قال:

«سألت أبا العلاء^(٣)، والحجاج في عباةٍ فقلت: يا أبا العلاء أسبُّ
الحجاج؟ قال: ادْعُ له بالصَّلاح فإنَّ صلاحَه خيرٌ لك». .
ولا يحفظ سوء الأدب للحكام حتى الجورة إلا من قبل الخوارج أو
ممن تأثر بهم،

وإذا راجعت مناصحات السلف لهم تبين لك ذلك، ولم يسلم منهم
حتى الصحابة رضي الله عنهم،

ثم ديدنهم سباب الحكام والطعن فيهم، المتسبب في الخروج
المسلَّح عليهم الذي يعقبه فساد العباد وخراب البلاد، ثم تُترك بلا قلاع
ينعق فيها الغربان،

«سُقَهَاءُ الْأَحْلَامِ» نعوذ بالله من شرِّهم^(٤).

(١) مع أن الحجاج ممن صرَّح لأبي وائل بقوله: «... فإني والله أعلم ما أعلم على
وجه الأرض رجلاً أجراً على دم مني...» أخرجه ابن أبي شيبة (١٨٥/٦) بسندٍ
صحيح.

وأخرجه العجلي في «الثقات» (ص ٢٢٢) بسندٍ صحيح وفيه قوله لأبي وائل: «...
إنا لنقتل الرجل على شيء قد كان من قبلنا يهاب القتل على مثله».
(٢) برقم (١٣٧٦).

(٣) وهو يزيد بن عبد الله بن الشخير أخو مطرف.

(٤) وانظر كتابي «مناصحة الخوارج ومن تأثر بهم» ففيه مواقف السلف في ذلك.

وكان أولهم «ذو الخويصرة التميمي» الذي قال لرسول الله ﷺ: «اعْدِلْ»، ونسب رسول الله ﷺ إلى الجور،

ثم طعنوا على عثمان^(١)،

ثم قاتلوا علياً ومعه الصحابة . .

وصدق رسول الله ﷺ في قوله عنهم: «شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» .

فديدن الخوارج الطعن على أمرائهم والسب لهم^(٢) .

(١) وقد أخرج ابن شبة في «تاريخ المدينة المنورة» (٣/ ١١١٠) بإسنادٍ صحيح عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام قال: «بَيْنَمَا عُثْمَانُ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَنَالَ مِنْهُ، فَنَهَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: لَا يَمْنَعُكَ مَكَانُ ابْنِ سَلَامٍ أَنْ تُسَبَّ نَعَثًا فَإِنَّهُ مِنْ شِيعَتِهِ، قَالَ: قُلْتُ: لَقَدْ قُلْتُ الْقَوْلَ الْعَظِيمَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْخَلِيقَةِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ؛ أَي: الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَعِظُمُ ابْنُ سَلَامٍ ﷺ مَا قَالَهُ الرَّجُلُ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: نَعَثًا: أَي: الشَّيْخِ الْأَحْمَقِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ، قَبَّحَ اللَّهُ الْخَوَارِجَ كُلَّهُمْ!! .
نعم لم يسلم الأفاضل منه، شأنهم الطعن على الأمراء.
(٢) ودليل ذلك:

ما أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣٤) بإسنادٍ صحيح عن عقبة بن وساج قال: «كَانَ صَاحِبٌ لِي يُحَدِّثُنِي عَنْ شَأْنِ الْخَوَارِجِ، وَطَعَنَهُمْ عَلَى أُمَرَائِهِمْ، فَحَجَجْتُ، فَلَقَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عِنْدَكَ عِلْمًا، وَأَنْتَ بِهَذَا الْعِرَاقِ يَطْعَنُونَ عَلَى أُمَرَائِهِمْ، وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِمْ بِالضَّلَالَةِ. فَقَالَ لِي: أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقَلِيدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، فَجَعَلَ يَقْسِمُهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَعْدِلَ فَمَا أَرَاكَ أَنْ تَعْدِلَ . . .»
فذكر حديث ذي الخويصرة .

أولم ينبري رجلٌ في الأمراء زمن ابن عباس وتناول حتى ما كان في البيت أطول منه، فقال ابن عباس: «يَا هَزْهَازُ، لَا تَكُنْ فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، فَتَقَاصِرَ الرَّجُلُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ أَحَدًا فِي الْبَيْتِ أَقْصَرَ مِنْهُ»^(١).

تملُّصُ السلف - عبد الرحمن بن أبي ليلى التابعي وغيره - من سبِّ
الأمراء:

أخرج ابن أبي شيبة^(٢) بإسنادٍ حسن عن مجمع بن يحيى قال:
دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى عَلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ لِحُجَلَسَائِهِ: «إِذَا
أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى رَجُلٍ يَسُبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ فَهَذَا عِنْدَكُمْ - يَعْنِي
عَبْدَ الرَّحْمَنِ -»، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَعَاذَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ أَكُونَ أَسْبُ
عُمَانَ، إِنَّهُ لَيَحْجِزُنِي عَنْ ذَلِكَ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] فَكَانَ عُمَانُ مِنْهُمْ.

= وأخرجه مسلم (٢٤٠٩) عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: «اسْتُعْمِلَ عَلِيُّ
الْمَدِينَةَ رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ قَالَ: فَدَعَا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتِمَ عَلِيًّا قَالَ:
فَأَبَى سَهْلٌ فَقَالَ لَهُ: أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَقُلْ: لَعَنَ اللَّهُ أَبَا التُّرَابِ فَقَالَ سَهْلٌ: مَا كَانَ لِعَلِيِّ
اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي التُّرَابِ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ إِذَا دُعِيَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ
قِصَّتِهِ، لِمَ سُمِّيَ أَبَا تُرَابٍ؟» . . . فذكر الحديث.

والشاهد: أن أهل البدع والأهواء المنحرفة هم أهل هذا الفعل، والله المستعان.

(١) وقد أخرجه ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح، خرجته في «التوضيحات الجلية».

(٢) برقم (٣٦٣/٦).

ونهي أبي أمامة الباهلي عن سبِّ الحجاج الثقفي :
 أخرج ابن عساكر في «تاريخه» بإسنادٍ يثبت إن شاء الله عن أبي غالب
 صاحب أبي أمامة رضي الله عنه قال :
 كنتُ عند أبي أمامة رضي الله عنه فذكر الحجاج فشتَّمه رجلٌ من القوم ، فقال له :
 لِمَ تَشْتُمُهُ؟

قال : ما شتَّمته حتى سمعتك تشتمه^(١) .

فقال : هو عليك اميرٌ ، وليس عليَّ باميرٍ .

وكان يكره أن يسبَّ الرجلُ أميرَه^(٢) . . . الخبر .

والمقصود :

أن سباب الأمراء - ولو كانوا جوررة - محرَّم بإجماع كبار الصحابة ،

(١) وقد علقت على هذا في كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط» لسبِّه لأميره بما
 حاصله :

إما أن يقال إن أبا أمامة أخطأ في سبِّه الحجاج لكون أنس روى عن كبراء أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وآله : «لَا تَسُبُّوا أَمْرَاءَكُمْ، وَلَا تَغَشُّوهُمْ، وَلَا تَبْعَضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ» .
 أو يقال : .

شتمه لدلاله عليه وتحمله - أعني الحجاج - منه إياه مع عدم نشر المفسدة والتأليب
 بسبب ذلك .
 أو يقال : .

يرى أن سبَّ أمير آخر غير أميره سائغ ، كما يفهم من سياقه .

والأخير مستبعد ، وأوجهها الأول ثم الثاني ، لذا ذكرته في كتابي المشار إليه آنفاً .
 (٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٢ / ١٦١) ، وانظر : «التاريخ الكبير» للبخاري
 (٧ / ١٨) ، وكتابي «نصح الحكام» (ص ٥٣) .

وأن المتناول لذلك سلك مسلکًا من مسالك الخوارج أهل البدع، يسير في بداية إنشاء فتنة في المجتمع المسلم، ولا ينفعه أن يتعلّل بتهويلات ظلم الحكام. أو بمطالبات مشروعة أو نحو ذلك

فالأدب مع الأمراء وتحريم سبابهم متفق عليه، وقد تأدّب الصحابة مع أمراء جور شهد الداني والقاصي بظلمهم وجورهم وهم القوم هم^(١).

هدى الله المسلمين لما يحب ويرضى، وألف بين القلوب، إنه على كل شيء قدير.

وأما ما رواه الدارمي^(٢) بإسنادٍ صحيح عن عمارة بن ربيعة:

(١) يوم أن كان عليهم أمراء جور من مثل:

عبيد الله بن زياد- قائد السرية التي قتلت ابن النبي ﷺ الحسين بن علي (رضي الله عنه)
والحجاج الذي هدم الكعبة مرتين وحرق من جرائ فعله
وعبد الملك بن مروان الذي أمر بهدم الكعبة التي بناها عبد الله بن الزبير على السنة، هدمها، وبناها على غير السنة إلى الآن طمسًا لمعالم فعل ابن الزبير (رضي الله عنه) -
وإن كان ما فعله صوابًا!!
ويزيد بن معاوية
وأمراء قال عنهم رسول الله ﷺ: «هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ»
وأمراء صبيان غلمان أحداث

أليس من تعاملوا معهم هم سلف الأمة . . . ؟ والذين يتغنى أهل البدع باتباعهم .
لكن العتب على الذين يقولون: «الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة» ثم يخادعون العوام ويخالفون سلف الأمة، بل هم في وادٍ وسلف الأمة في وادٍ آخر والعوام في أذيالهم وصدق من قال: لا فرق بين بهيمة ومقلد، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) في «السنن» برقم (١٥٦١)، وأصله في «صحيح مسلم» .

أنه رأى بشر بن مروان رافعاً يديه يدعو على المنبر يوم الجمعة فسبّه^(١)،

وقال: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المنبر ما يقول إلا بإصبعه هكذا، وأشار بالسبابة عند الخاصة.

فإما أن يحمل على أنه أخطأ والصحابي ليس معصوماً، لاسيما وقد خالف غيره من الصحابة.

أو يقال:

ما قصد حقيقة السب واللعن، وقد كان يحتمل منه لمكانته عنده، كما بينت ذلك في كتابي «غصة الخوارج المارقين في بيان منزلة الدعاء للأمرء والسلاطين».

فلا يستدل به في الباب، فتنبه.

ومع أن أهل البدع المخالفين لم يقف كثير منهم على هذا الأثر إلا أنني رأيت أن أذكر ما يمكن أن يقفوا عليه ويحتجوا به، والله الموفق.

وأما سباب أمير لبعض بلدان المسلمين وليس أميراً على الساب:

فهذا لا يجوز.

فإن علة النهي عن سباب أميرك هي هي العلة التي من أجلها يُمنع من سباب أمير غيرك من المسلمين، من التجريء عليه، وطعن الغير فيه ثم

(١) وفي رواية أحمد (١٨٢٩٩)، فقال: «لَعَنَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ . . .» الأثر.

إسقاط لهيبته والمؤدى النهائي واحد .

والأدلة الحاثثة على التأذب مع الأمرء وعدم الجهر عليهم واحترامهم ، وعدم الخروج عليهم ، أدلة عامة تعم ما دام الأمير مسلماً ، لا تخص أميراً دون أمير .

وأخرج ابن عساكر بسندٍ يثبت إن شاء الله عن أبي غالبٍ قال :
كنتُ عند أبي أمانة (رضي الله عنه) فذكر الحجاج فشتمه رجلٌ من القوم ، فقال له : لِمَ تَشْتُمُهُ؟

قال : ما شتمته حتى سمعتك تشتمه .

فقال : هو عليك أميرٌ ، وليس عليّ بأمرير .
وكان يكره أن يسبَّ الرجلُ أميره ^(١) .

فهذا إما أن يحمل على أن أبا أمانة خالف غيره من الصحابة فأخطأ ، أو أنه ليس كغيره مع السلطان ، له من الإدلال عليه ، ويحتمل منه ، فعدم سبِّه ، والكلام عليه ، والإعلان بعيوبه هو المنهج المقرّر .

وإن كان ثمَّ تنبيه على خطئه لئلا ينتشر ، فالسبيل التنبيه على الخطأ دون ذكره ، هذا يمكن أن يحصل ، والموفق من وفقه الله ، ولو لم يكن من جرّاء من جهر على إمام غير إمامه وطعن فيه وشتمه علناً إلا اختلاف الإخوان

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢ / ١٦١) ، وراجع كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط» (ص ٥٢) .

عليه لكان كافياً في المفسدة، فليتجنب، والله الموفق والمعين .

التعزير في سب الأمراء:

وسباب الأمراء أو الطعن فيهم على صاحبه التعزير :

لمخالفته الأدب مع الكبار، ولأنه مرتكب لمحرم، وساعٍ في إسقاط هيبة الأمير، فيتولد من ذلك الشر المستطير، وعلى هذا هو مستحق للتعزير والتأديب .

أما الحاكم إذا سبَّ أحداً أو شتمه أو شدّد عليه في القول فلا يُعزَّر، وإنما يصبر عليه كما أرشدت السنة في أدلة متواترة

ولذلك لما قال الحجاج لابن عمر رضي الله عنهما:

«إِنَّكَ رَجُلٌ قَدْ خَرَفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ، يَوْشِكُ شَيْخٌ أَنْ يُؤْخَذَ فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ، فَيَجْرُ قَدْ انْتَفَخَتْ خَصِيَاهُ، وَيَطُوفُ بِهِ الصَّبِيَانُ فِي الْبَقِيعِ» .

وأساء لغيره من الصحابة القول كسلمة بن الأكوع وغيره، فماذا؟

وما طالب أحد منهم بتعزيره أو تأديبه، وإنما فعلوا ما أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه من السمع والطاعة والصبر على جوره وفسقه .

ثم كيف يُعزَّر الأمير، والشريعة تأمر باحترامه وإجلاله، وتعزيره يعني الخروج عليه، وهو محرم بالأدلة المتواترة والإجماع .

فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ظلمه بالسمع والطاعة، وهذا مصادم للأمر

بتعزيره .

وقد قال صاحب «حدائق الأزهار»^(١) عن الإمام الذي صححت إمارته :
 «يجب طاعته ونصيحته أو بيعته إن طلبها ، وتسقط عدالة من أباهها
 ونصيبه من الفياء ، ويؤدَّب من يثبَط عنه أو يُنفي ، ومن عاداه فبقلبه
 مخطيء ، وبلسانه فاسق ، وييده محارب» .

قال الشوكاني في «شرح» في «السيال الجرار» (٤ / ٥١٤) :

قوله : «ويؤدب من يثبط عنه» فالواجب دفعه عن هذا التثبيط ، فإن كَفَّ
 وإلا كان مستحقاً لتغليظ العقوبة ، والحيلولة بينه وبين من صار يسعى لديه
 بالتثبيط بحبسٍ أو غيره ؛ لأنه مرتكب لمحرّم عظيم ، وساعٍ في إثارة فتنة
 تراق بسببها الدماء ، وتهتك عندها الحُرْم ، وفي هذا التثبيط نزْعٌ ليد من
 طاعة الإمامة» .

ثم ذكر بعض أدلة يفهم منها ذلك ، ذكرت بعضها قبل ، وبعضها في
 مواطن أخرى .

وأما قول أبي حفص بن المغيرة لعمر بن الخطاب لما عزل ابن عمّه
 خالد بن الوليد عن إمارة :

«لَقَدْ نَزَعْتَ عَامِلًا اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَغَمَدْتَ سَيْفًا سَلَّهُ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَوَضَعْتَ لِيَوَاءَ نَصْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَقَدْ قَطَعْتَ الرَّحِمَ ،
 وَحَسَدْتَ ابْنَ الْعَمِّ» .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ :

(١) وهو أبو القاسم اللخمي المتوفى سنة (٦٤٣هـ) ، وهو من فقهاء الحنفية .

«إِنَّكَ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ، حَدِيثُ السَّنِّ، مُغْضَبٌ مِنْ ابْنِ عَمِّكَ»^(١).
ولم يعزّره ولم ينكّل به .

فلأسباب ذكرتها في كتابي «نصح الحكام بين الغلو والتفريط»^(٢).
ومنها : صحبته :

وذلك : أن عمر رضي الله عنه كان يجلس الصحابة وهو صحابي ، ولذلك لما أتى
بأعرابي يهجو الأنصار قال عمر رضي الله عنه :

«لَوْلَا أَنَّ لَهُ صُحْبَةَ مَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكُفَيْتُمُوهُ»^(٣) .

ولذلك همّ في موطن آخر أن يقع ببعض من بدا عليه ، وهو عيينة بن
حصن الفزاري ، يوم أن أتى على ابن أخيه الحر بن قيس وأمره أن يدخله
على عمر . . .^(٤) .

وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه فلم يعذّرهم إذ حاصروه وأهانوه ، يقال :
تنازل عن حقه . . . وقد علم أن قدر الله نافذ وقد رأى رؤيا . . .
ولكل مقام مقال .

وإلا ففي «صحيح البخاري» (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠١)، أن

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٢٥)، وغيره بإسناد صحيح ، وقد جوّد سنده
ابن كثير في «مسند الفاروق» (٤٧٨ / ٢) .

(٢) «نصح الحكام» (ص ٨٩) .

(٣) أخرجه ابن الجعد في «الجعديات» (٢٦٥٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢٩ /
٢٠٥) بإسناد صحيح .

(٤) وهذا في «صحيح البخاري» (٤٦٤٢) .

الصحابه أرادوا أن يقعوا برجل أغلظ للنبي ﷺ حتى قال لهم رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا...». فترك رسول الله ﷺ حقه، وإلا فقد أخطأ الرجل في طريقة طلبه للحق، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلِيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ» وهو ثابت خرجته في كتابي «مطل الغني ظلم».

ثم إن الرجل لا يحق له أن يلاحق غريمه إذا كان معسرًا؛ بل ولا يطالبه أصلاً كما بينت أدلة ذلك مع أقوال أهل العلم في كتابي المشار إليه آنفاً، وغالب الأحوال: أن رسول الله ﷺ كان معسرًا وقد كان يمر عليه الأهلة ولا يوقد في بيته نار.

والمقصود:

أنه ليس معنى ترك الإمام من سبّه أو الغلظة على من أساء إليه، ولم يعزره يفهم منه أن لا تعزير، كلا وإلا فرسول الله ﷺ ترك عقوبة الخارجي ذي الخويصرة لما أتاه وقال له^(١): «اعْدِلْ» مع أمره في مقام آخر أو في نفس المقام بقتالهم وقال: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهِنَّ قَتْلَ عَادٍ وَثَمُودَ»، والله المستعان.

أما من يُعَرِّضُ بِسَبِّ الْأَمْرَاءِ وَالطَّعْنِ فِيهِمْ - وما أكثر هؤلاء في صفوف الخوارج اليوم -:

فهذا أيضاً للإمام تعزيره، وللإمام العفو عنه، على حسب المصلحة،

(١) وحديثه في «صحيح البخاري» (٣١٣٨)، ومسلم، وهو واضح.

فالأمر في ذلك موكول للإمام، فإنه يحصل من التعريض ما يحصل من التصريح.

وقد أخرج ابن أبي شيبة^(١) بسند ثابت في باب ذكر الخوارج:

لما ذكرهم عليٌّ على المنبر «... فَعَابَهُمْ وَعَابَ أَمْرَهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ تَنَادَوْا مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ: «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ».

فَقَالَ عَلِيٌّ: حُكْمُ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا يُسْكِتُهُمْ بِالْإِشَارَةِ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى أَتَى رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاضِعًا إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنِيهِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فلم يعزّره عليٌّ لكونه ما صرّح بالسبّ أو الطعن، لكن إذا كان الطعن معروفًا صريحًا ظاهرًا فالطاعن يُعزّر، والله أعلم.

أما من يستدل بهذا الدليل وأمثاله على عدم التعزير في التعريض بسبّ الإمام فقولُه لا يتجه؛ لأن حاصله أن عمر أو عليًّا أو عثمان رضي الله عنهم تركوا التعزير والعقوبة لمصلحة ما أو لهضم حقوق أنفسهم، كما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله تعزير إمامهم الأول ذي الخويصرة الخارجي الذي نسب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الجور، وقال له على الملاء: «اعدل». . . الخ وإلا فإن عمر رضي الله عنه هم بتعنيف من أساء إليه في القول، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: «قَدِمَ عَيْيَنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُذْنِبُهُمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ

(١) في «المصنف» (٥٥٦/٧). وروايته في «صحيح البخاري ومسلم»، والله أعلم.

وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عِيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذِنَ الْحُرُّ لِعِيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَعَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، «وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٦٤٢).

سُبُّ الطَّاعِنِ عَلَى الْأَمْرَاءِ لِكُونِهِ يَسِيءُ الْأَدَبَ مَعَهُمْ وَرَدَعَهُ:

فَلِكُلِّ إِمَامٍ أَعْدَاءٌ، فَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ^(١) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ:

عَنْ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ قَالَ: «إِنَّا لَوَاقِفُونَ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْجَبَلِ بِعَرَفَةَ، إِذْ سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ: يَا خَلِيفَةُ.

فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ خَلْفِي مِنْ آلِ لَهَبٍ: مَا لِهَذَا الصَّوْتِ قَطَعَ اللَّهُ عَيْنَكَ هِجْتَهُ، وَاللَّهِ لَا يَقِفُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا^(٢).
قَالَ: فَسَبَّيْتُهُ وَأَذَيْتُهُ^(٣).

قَالَ: «فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَمْرَةَ مَعَ عُمَرَ جَاءَتْ عَلَيْهِ حَصَاةٌ فَأَصَابَتْ رَأْسَهُ

(١) فِي «الْأَحَادِ وَالْمِثَالِي» (٨١) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، وَهُوَ فِي «جَامِعِهِ» (١٩٤٩٩) مُصَنَّفٌ.

(٢) فِي «تَارِيخِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ» (٣/ ٨٧٥): «وَكَانُوا قَوْمًا يَعِيفُونَ».

(٣) فِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ: «فَشْتَمْتُهُ وَأَذَيْتُهُ»، وَهُوَ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ.

فَفَتَحَتْ عِرْقًا مِنْ رَأْسِهِ فَسَالَ الدَّمُ» .
 فَقَالَ الرَّجُلُ: أَشْعِرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا وَاللَّهِ لَا يَقِفُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ
 هَذَا الْعَامِ هَاهُنَا أَبَدًا .
 فَالْتَفَتَتْ فَإِذَا هُوَ ذَلِكَ اللَّهْبِيُّ .
 قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا خَرَجَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَهَا» .
 فهذا أمير المؤمنين .. لكن له خصوم .
 وإذا قيل: إنما يشتم من يطعن على أمير المؤمنين عمر ويُسب، فيسبُّ
 من يطعن على الأمير العدل دون غيره .
 فلينظر في الآثار الآتية عقبه، والله المستعان على أهل الهوى .
 ومن ذلك:

- ما أخرجه ابن المبارك:

عن رياح بن عبيدة قال: «كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَذُكِرَ
 الْحَجَّاجُ فَشْتَمْتُهُ، وَوَقَعْتُ فِيهِ .
 فَقَالَ عُمَرُ: مَهْلًا يَا رِيَّاحُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ يُظْلَمُ بِالْمَظْلَمَةِ،
 فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَشْتِمُ الظَّالِمَ، وَيَنْتَقِصُهُ، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ، وَيَكُونُ
 لِلظَّالِمِ الْفُضْلُ عَلَيْهِ»^(١) .

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٨١)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٧١١) وغيرهما بإسناد لا بأس به .

- وتقدم قول ابن عباس رضي الله عنهما لسعيد بن جبير :
«لَا تَعِبْ إِمَامَكَ ، لَا تُعَنْفَ إِمَامَكَ» ، و«لَا تَعْتَبْ إِمَامَكَ» .
ومن الغيبة والتعنيف والعتب ما يكون سباباً .
فكان ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً نهى عن سباب الأمراء وأنكر على الفاعل
والأمراء يومها كانوا أمراء جوررة .
- وقول أنس بن مالك رضي الله عنه :
«نَهَانَا كُبْرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَا تَسُبُّوا أَمْرَاءَكُمْ ،
وَلَا تَغْشَوْهُمْ ، وَلَا تُبْغِضُوهُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا ، فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ»^(١) .
وكان الأمراء في زمانهم : مروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ،
وعبيد الله بن زياد ، والحجاج الثقفي ، والغلمان (غلمان بني أمية) الذين
كان هلاك الأمة على أيديهم ، ويزيد بن معاوية . . إلخ .
وهذا النهي من كبار الصحابة عامٌّ ، فمن خصصه بأمراء العدل؟ وبأي
دليل خصَّصه؟

- وأخرج هناد بإسنادٍ صحيح عن الزبير قال :
«كنتُ عند أبي وائل^(٢) فجعلتُ أسبُّ الحجاج وأذكر مساوئه ، قال :
لَا تَسْبُهُ ، وما يُدريك لعله قال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، فغفر له»^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنّة» (١٠١٥) وغيره ، بسندٍ قوي عن أنس .
(٢) وهو شقيق بن سلمة تلميذ كبار الصحابة ابن مسعود وغيره .
(٣) أخرجه هناد في «الزهد» (٤٦٤ / ٢) ، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٢ / ٤) =

- وأخرج أحمد في «الزهد»^(١) بسندٍ حسن :

عن عمر بن الفضل قال :

«سألت أبا العلاء، والحجاج في عباءةٍ فقلت : يا أبا العلاء أسبُّ

الحجاج؟

قال : ادعُ له بالصَّلاح فإنَّ صلاحه خيرٌ لك» .

- وأخرج ابن الجعد وغيره وبإسنادٍ صحيح لطرقة :

عن زائدة بن قدامة قال :

«قُلْتُ لِمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ : الْيَوْمُ الَّذِي أَصُومُ فِيهِ أَقْعُ فِي الْأَمْرَاءِ؟

قَالَ : لَا ، قُلْتُ : فَأَقْعُ فِيمَنْ يَتَنَاوَلُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ قَالَ : نَعَمْ» .

وفي رواية : «أَنَا لَمِنَ السُّلْطَانِ شَيْئًا؟ فَقَالَ : لَا . . .»^(٢) .

سادسًا: سبُّ المتعصبين في الباطل والمتكلمين بنكر القول:

يجوز سبُّ المتعصبين في الباطل ومن يتكلم بمنكر القول، بل

والإغلاظ في سبِّه .

وأظهر الأدلة على ذلك ما أخرجه البخاري في حادثة الإفك، قال ﷺ

= من طريق عبدة وهو ابن سليمان الكلابي، عن الزبيرقان، عن أبي وائل به،

والزبيرقان هو ابن عبد الله أبو بكر الأسدي الكوفي السراج، وثقه غير واحد،

ترجمته في «تاريخ الإسلام» .

(١) «الزهد» لأحمد (١٣٩٤) .

(٢) أخرجه ابن الجعد في «الجعديات» (٨٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤٧٥) .

على المنبر: «مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَدَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ - وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. . . الحديث^(١).

قال العراقي في «طرح الثريب»^(٢) عن القاضي قال:

«فيه: جواز سب المتعصب في الباطل، والمتكلم بذكر القول، والإغلاظ في سبه بما يشبه صفته، وإن لم يكن فيه حقيقة، لقول أسيد: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) «طرح الثريب» (٦٢/٨).

(٣) وحاشا سعدًا من النفاق، ولكن لما كان منه من ظاهر التعصب لابن أبي المنافق عَرَّضَ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ الْغَلِيظِ، وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا أَنْكَرَ هَذَا مَعَ عِلْمِهِ بِعَدَمِ نِفَاقِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى جَوَازِهِ، وَأَنَّهُ لَا مَلَامَةَ عَلَى مَنْ سَبَّ مَنْ تَعَصَّبَ لِلْخَارِجِيِّ وَالْمُبْتَدِعِ أَنْ يُرْمَى بِالْخَارِجِيَّةِ وَالْبِدْعِيَّةِ، فَلَا يُسْتَعْرَبُ.

وإنما كان ذلك كذلك لكون العصبية محرمة ينشأ منها مفسد:
 قال الشافعي في «الأم»^(١) في معرض ردّ شهادة أهل التعصب:
 «من أظهر العصبية بالكلام فدعا إليها، وتألف عليها، وإن لم يكن
 شهر بنفسه بقتال فيها، فهو مردود الشهادة؛ لأنه أتى محرماً لا اختلاف
 بين علماء المسلمين علمته». اهـ

وقال في نفس الموطن:

«فإذا صار رجلٌ إلى خلاف أمر الله -تبارك وتعالى اسمه- وأمر
 رسوله ﷺ سبب يُعذر به، يخرج به من العصبية، كان مقيماً على معصية،
 لا تأويل فيها، ولا اختلاف بين المسلمين فيها، ومن أقام على مثل هذا
 كان حقيقاً أن يكون مردود الشهادة» كذا.
 وعدّ الهيثمي في «الزواجر»^(٢) التعصب للمذاهب والأهواء من
 الكبائر.

وقال ابن القيم^(٣) عن يترك الحق تقليداً وتعصباً:

«... أقل درجاته أن يكون فاسقاً».

وقال العراقي^(٤) عن القاضي عياض في شرح حديث الإفك:

(١) «الأم» (٦/٢٢٣).

(٢) «الزواجر» (١/١٤٢).

(٣) في «الطرق الحكمية» (ص ١٤٧).

(٤) في «طرح الشريب» (٨/٦٢).

«إن التعصب في الباطل يخرج عن اسم الصلاح لقول عائشة رضي الله عنها:
وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا - وَلَكِنْ اِحْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ»^(١).

وتبرأ ابن حزم من هذه الفعلة - أعني: التعصب - وقال:
«فلا كبيرة أعظم منها»^(٢).

وقال التفتازاني^(٣) في ذكر صورة التعصب:

«اعلم أن البدعة لا تخلو من أحد الأمرين: إما تعصب وإما سفه، لأنه
إن كان وافر العقل عالمًا بقبح ما يعتقد به ومع ذلك يعاند الحق ويكابره فهو
المتعصب».

وهذا قول بعض السلف في العصبية:

أخرج ابن سعد في «طبقاته» بسند صحيح عن أبي السليل القيسي
التابعي الثقة قال:

«أَتَيْتُ صِلَةَ الْعَدَوِيِّ فَقُلْتُ لَهُ: يَا صِلَةَ، عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ.
فَقَالَ لِي: أَنْتَ مَثَلِي. أَوْ نَحْوِي. يَوْمَ أَتَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
أَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ.

قَالَ: فَقُلْتُ: عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ.

فَقَالَ: انْتَصِحِ الْقُرْآنَ، وَانْصَحْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَثُرْ فِي دُعَاءِ اللَّهِ مَا

(١) والحديث بذلك في «الصحيحين» تقدم.

(٢) «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/١٢٤).

(٣) في كتابه «شرح التلويح على التوضيح» (٢/٩٢).

اسْتَطَعْتَ، وَلَا تَكُونَنَّ قَتِيلَ الْعَصَا، قَتِيلَ عَمِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ، فَإِنِّي لَا أَبَالِي
أَبْرَجِلِ خِنْزِيرٍ جَرَزْتُ أَوْ بَرَجِلِهِ .

وَأَيَّاكَ وَقَوْمًا يَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَيْسُوا مِنَ الْإِيمَانِ عَلَى شَيْءٍ،
وَهُمُ الْحَرُورِيَُّّةُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(١).

فَقَوْلُهُ: «فَأِنِّي لَا أَبَالِي أَبْرَجِلِ خِنْزِيرٍ جَرَزْتُ أَوْ بَرَجِلِهِ» يَعْنِي:
المتعصب الذي يقتل في العصبية، وقوله هذا ليس من السباب والشتم
الممنوع منه، لكونه في موطنه والله الموفق .

سابعًا: سباب الكفار:

تقدم قوله ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» .

ومفهوم المخالفة:

أن سباب الكافر جائز .

ولكن إذا كان كافرًا معاهدًا فهو أذى له، وقد نهى رسول الله ﷺ عن
إيذائه، فلا يعمل بمفهوم المخالفة للحديث في حق الذمي المعاهد^(٢).

وقد قال رسول الله ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ
طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (١٣٤ / ٧) بسندٍ صحيح .

(٢) انظر: «توضيح الأحكام» (٤١٢ / ٧)، و«سبل السلام» (٢ / ٦٦٣).

(٣) راجع تخريجي له في كتابي «الفوائد النيرة» (٦٢٧)، وقد أخرجه أبو داود
(٣٠٥٢).

وهو حديث حسن ، وقد صححه عبد الحق الإشبيلي .

فلا يُعمل بالمفهوم في حق الكافر الذمي .

وفي «صحيح البخاري»^(١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» .

لكن إذا كان لا عهد له فلا حرمة له ، ويجوز سبُّه بدلالة مفهوم المخالفة كما تقدم .

وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الكفار ، واللعن أكبر من مجرد السبِّ .

فقال : «اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَيْبَعَةَ ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَيْبَعَةَ ، وَأُمِّيَةَ بْنَ خَلْفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ...»^(٢) .

وفي رواية أخرى قال : «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا» بعد الرفع من الركوع^(٣) .

ولعن أحياء من العرب^(٤) .

وسياتي مزيد لعن لبعض الكفار وبعض العصاة .

وكفار قريش لما ألقوا سلا الجزور بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ساجد ،

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٦٦) .

(٢) كما في «صحيح البخاري» (١٨٨٩) .

(٣) كما في «صحيح البخاري» (٤٠٦٩) .

(٤) كما في «صحيح البخاري» (٤٥٦٠) .

وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا ، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ ، فَاَنْطَلَقَ مُنْطَلِقًا إِلَى فَاطِمَةَ ؓ - وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ - ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُهُمْ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ : «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِعَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ ، ثُمَّ سَحَبُوا إِلَى الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَأَتَّبِعْ أَصْحَابُ الْقَلْبِ لَعْنَةً»^(١) .

ولكن :

إذا كان سبُّ الكافر يتأذى به الحي المسلم فلا يجوز سبُّه ؛ لأن إيذاء المسلم حرام .

ودليله قوله ﷺ : «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ ، فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ»^(٢) .

وإيذاء المسلم الحي حرام .

قال ابن رشيد :

«إِنَّ سَبَّ الْكَافِرِ يَحْرَمُ إِذَا تَأَذَّى بِهِ الْحَيُّ الْمُسْلِمُ» حكاها عنه الصنعاني

في «سبل السلام» (١/ ٥١٠) .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٢٠) وغيره .

(٢) وهو صحيح : أخرجه الترمذي (١٩٨٢) ، وأحمد (١٨٢١٠) وغيرهما .

لكن يحل إذا لم يحصل به الأذى .

وأما المسلم فيحرم سبُّه إذا مات ، لكن يبين ضلاله إذا كان ، وليس هذا من السباب الممنوع منه فتنبه .

فقد يكون فيه مصلحة للميت إذا أريد تخليصه من مظلمة وقعت منه فإنه يحسن ، بل يجب ، ولو اقتضى ذلك سبُّه لعدم الاقتداء به إن كان ناشراً لمنكر يؤتسى به فيه .

فسبُّ الميت كالغيبة ، فإن كان معلناً بمنكر أو بدعة جاز ، وإن كان مسراً لم يجز لأن الواجب الستر .

وأما الحربي فهو كالكافر يجوز سبُّه ؛ لأنه لا حرمة له .

وقد قال رسول الله ﷺ : « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا »^(١) .

وقد ذكر الصنعاني عن البعض استظهار أن هذا مخصص بجواز سبِّ الكافر ، لما حكاه الله من ذم الكفار في كتابه العزيز كعادٍ وثمرود وأشباههم^(٢) .

ثم قال : « قلت (الصنعاني) : لكن قوله : « قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا » علة عامة للفريقين ، معناها : أنه لا فائدة تحت سبِّهم والتفكه بأعراضهم ، وأما ذكره تعالى للأمم الخالية بما كانوا فيه من ضلال فليس المقصود ذمهم ، بل

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٩٣) .

(٢) «سبل السلام» (١/٥١٠) .

تحذيراً للأمة من تلك الأفعال التي أفضت بهم إلى الوبال، وبيان محرمات ارتكبوها، وذكر الفاجر بخصال فجوره لغرض جاز و ليس من السب المنهي عنه، فلا تخصيص بالكفار». اهـ،

والله أعلم

ثامناً: حرمة السباب بين المسلمين والمشركين إذا كان يجلب سباباً للإسلام أو لله أو الرسول ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فخشية أن يتناول أهل الشرك على المسلمين فيسبوا الله أو النبي أو دين الإسلام حرم سبّه، فقال الله تعالى ما قال .

وقد استتب رجلاًن: رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ.

قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اضْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ!

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ.

فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فَأُصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ

الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيْمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى
اللَّهُ»^(١).

مع أن محمداً ﷺ أفضل من موسى ﷺ، بل هو سيد بني آدم ﷺ.
وقال ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»^(٢).
وقال ﷺ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ»^(٣)، والشاهد: عدم سبهم -
أعني: الكفار- إن كان ذريعة شر.

تاسعاً: سبُّ الأموات (أموات المسلمين):

سباب الأموات من المسلمين حرام، ففيه حرمة للنهي الوارد في ذلك،
ثم حرمة أخرى وهي إيذاء الأحياء، فإن من سبَّ ميتة تأذى عادةً.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(٤).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ»^(٥).

فترك سباب الأموات ولو كانوا كفاراً يتأذى بسبهم المسلم هو

المتعين، ولا ينبغي الخلاف في هذا.

(١) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) وهذا لفظ مسلم (٢٣٧٣).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٣).

(٥) صحيح: أخرجه الترمذي (١٩٨)، وأحمد (١٨٢٠٩).

اللهم إلا أن يكون الميِّت صاحب بدعة، ويتأثر بها الناس، فلا بد من بيان حاله وتعريه مقاله، وبيان إفساد بدعته في الناس، يتأذى من يتأذى، ويسخط من يسخط، لأن به حفظ الدين ولا يحفظ إلا ببيان ذلك، وهو العهد الذي أخذته الله على أهل العلم لبيئته للناس ولا يكتموناه .
فحفظ الدين هو المقدم .

فالقول بأن سيد قطب مبتدع مثلاً وزائع عن الحق لطعنه في الأنبياء والصحابة، وصرف القراء بمقاله وكتابته إلى مخالفة السير الذي سار عليه السلف هو المتعين أما قد يعذره الله بجهله أم لا فهذا لا دخل لنا به .
وكذا حسن البناء، وكذا من سار على دربهما .

هذا لا يدخل في السباب، وإن تأذى بعض المسلمين من أهل البدع أو الجهلة العوام أو أقاربه، فلا عبرة بتأذي هؤلاء، لأنه لا أوجب - والحالة هذه - من حفظ الدين والمنهج لكن بيان جرائمه بغير سب إن كان فهو آمن من تعصب قوم له فيهلكون فإن سبَّ فبكلمة «مبتدع»، «زائع»، «منحرف»، . . . أو لا والله أعلم، والله الموفق .

كما أن الطعن في الأحياء الذين يتعصبون للشيوخ - والتعصب للشيوخ كبيرة كما تقدم -، الطعن فيهم واجب ليحذرهم الناس، فإذا شتم أو سبَّ بحق فلا لوم ولا ذنب في ذلك، شريطة ألا يتعدى الحق في الرجل .

وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

ومعلوم أن شخصاً ما مبتدعاً لا بد أن يتعصب له فئات من الناس مهما كان مبطلاً .

فليُقلِّ بالحق وإن كان مرًّا .
ومن أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ ،
ومن أَرْضَى اللَّهُ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ .
فليُقلِّ بالحق وإن كان مرًّا - وإنه لُمُرٌّ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْهُدَايَةَ وَالصَّبْرَ عَلَى
أَذَى الْخَلْقِ ، وَالْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .
وليعلم أن الكلام عن الأموات إذا كان لا فائدة منه فيمنع ، فلا يسبهم
الشخص للتفكُّه بأعراضهم .
وإنما ذكر الله تعالى ذم الكفار في الأمم الخالية لما كانوا فيه من
الضلال ، وليس المقصود ذمهم - فقد أفضوا إلى ما قدموا - ، بل تحذيرًا
للأمة من أفعالهم التي أفضت بهم إلى الوبال والمحرمات التي ارتكبوها ،
فإن ذكر الفاجر بخصال فجوره لغرضٍ جائز ليس من السب المنهي عنه^(١) .
وقد مرَّ على رسول الله ﷺ بجنائز فأتوا عليها شرًّا ، ولم ينكر ﷺ بل
أقرهم وقال في آخر الحديث : « أَنْتُمْ شُهَدَاءٌ ... »^(٢) .
والظاهر أن هذا الذي أثنوا عليه شرًّا كان مسلمًا لم يكن كافرًا ، فإنه لو
كان كافرًا ما زادوا على وصفه بالكفر ، فإن ذلك شر الشر ، ولا شر أعظم
منه .

فلو كان كافرًا ما تعرَّضوا لدمِّه بغير كفره .

(١) انظر : «سبل السلام» (١/٥١٠) .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٧) ومسلم (٩٤٩) .

واستظهر القرطبي في جوابه لإقراره ﷺ باحتمال أنه كان مستظهِراً بالشر، ليكون من باب لا غيبة لفاسق، أو احتمال حمل النهي عن سبّ الأموات على ما بعد الدفن.

وأيد ذلك الصنعاني فقال:

«وهو الذي يناسب التعليل بإفضائهم إلى ما قدّموا، فإن الإفضاء الحقيقي بعد الدفن»^(١).

عاشراً: حكم سبّ المسلم للذميّ المعاهد والعكس:

ليس في ذلك حدٌّ على من سبّ المسلم أو الذمي، وإنما فيه التعزير الذي يقدره الحاكم أو القاضي، وهذا التعزير سواء كان المسبوب حياً أو ميتاً.

لكن إذا كان سباب المسلم للذمي يجر الذمي إلى سباب دين الإسلام أو المسلمين فيحرم من باب سدّ الذريعة.

ولو كان دينه محرّفاً كما أشرنا.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فهذا يمنع من باب سدّ الذريعة.

وكذلك سبّ آلهة المشركين، وهذا لا خلاف فيه فيما أعلم، والله أعلم.

(١) «سبل السلام» (١/٥١٠).

وأما إذا سبَّ الذمِّي المسلمَ ففيه التعزير وينتقض عهده، إن كان دخل بلاد المسلمين بعهد أمان، وقد تناولنا هذا كما تقدم بأوسع، والله أعلم.

الحادي عشر: سباب الصائم لمن سبَّه:

يمنع سباب الصائم حتى لمن يسبُّه، لقوله ﷺ:

«اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»^(١).

وفي رواية^(٢):

«وَأِنْ امْرُؤًا قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ».

والأصل في النهي التحريم، لكنه في الآداب محمول على الكراهة، وإلا فالجزاء بالمثل جائز عمومًا في الصيام وغيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ولكن على الإنسان أن يحسن خلقه، فيتجاوز عمَّن أساء إليه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن ظلمه، ليعظم أجره وهم صائم، هذا خير. ليختلف يوم صومه عن يوم فطره، والله الموفق، فليسأل التوفيق.

الثاني عشر: سباب الفساق:

تقدم أن سباب الفساق جائز للحاجة، وإن كان المسبوب مسلمًا،

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٨٩٤).

وذلك لزجره أو للتحذير من فعله، أو لعقوبته، كأن يسببه عند القاضي يذكره بما فيه.

وقد لعن الصحابة رضي الله عنهم الجار المؤذي.

ولعن رسول الله ﷺ النامصة والتمنصة والمتفلجات للحسن.

وقوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» يعمّه، إذ إن الفاسق لم يخرج

بفسقه عن دائرة الإسلام، إلا إذا كان الفسق من نوع الفسق المكفر.

وقد سب رسول الله ﷺ رجلاً فقال: «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ»، فلما جاء

تطلق الرسول ﷺ في وجهه وانبسط، فلما سألته عائشة رضي الله عنها قال: «إِنَّ شَرَّ

النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»^(١).

وقد اختلف العلماء في جواز سبه بما هو مرتكب له من المعاصي:

فذهب الأكثر إلى جوازه؛ لأن المراد بالمسلم في الحديث: الكامل

بالإسلام، والفاسق ليس كذلك.

وبحديث: «اذْكُرُوا الْفَاسِقَ كَيْ يَحْذَرَهُ النَّاسُ»،

ولكنه حديث ضعيف، أنكره أحمد،

وقال البيهقي: «ليس بشيء».

والأكثر يقولون بأنه يجوز أن يقال للفاسق: يا فاسق، ويا مفسد،

وكذا في غيبته بشرط قصد النصيحة له أو لغيره، لبيان حاله، أو للزجر عن

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١).

صنيعه لا لقصد الواقعة فيه .

فلا بد من قصدٍ صحيح ، إلا أن يكون جواباً لمن يبدؤه بالسبِّ ، فإنه يجوز له الانتصار لنفسه لقوله تعالى : ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى : ٤١] ،

ولقوله ﷺ : « الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ » .
أخرجه مسلم (٢٥٨٧) .

ولكنه لا يجوز أن يتعدى ، ولا يسبُّه بأمر كذب^(١) .
وقد تقدم مزيد في إثم المستبين قبل .

الثالث عشر: سبُّ أو لعن أصحاب المعاصي:

تقدم جواز لعن الكفار عموماً وتعييناً ، وأما لعن أصحاب المعاصي من المسلمين - وهم الفساق - ، فهناك عدة أحاديث فيها تجويز اللعن لبعض أصحاب هذه المعاصي تؤيد الجواز .

* فتقدم لعن الصحابة - عبد الله بن أوفى وغيره - الخوارج .

* وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ ، فَقَالَ : «اذْهَبْ فَاصْبِرْ» فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَقَالَ : «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» .

فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ .
فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ : فَعَلَ اللَّهُ بِهِ ، وَفَعَلَ ، وَفَعَلَ .

(١) راجع «سبل السلام» (٢/٦٦٣) .

فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ»^(١).
فهذا تعيين في اللعن لمسلم على معصية.

* وفي «الصحيح»^(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ وَالْمُتَمَصَّاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ
الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ».

فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ
بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ.

فَقَالَ: «وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ
اللَّهِ...».

فهذا لعن تعميم لأصحاب هذه المعاصي.

* ومثله قول أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

«لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْوَأَشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»^(٣).

* ومنها: لعن المرابي ومن أعانه على ذلك بأي وجه من الوجوه:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَكِلَ الرَّبِّا
وَمُوكِلَهُ»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٣) بإسنادٍ ثابتٍ خرجته في كتابي «فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه».

(٢) البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٣٣)، وهو عند مسلم (٢١٢٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) وهذا في «صحيح مسلم» (١٥٩٧) عن ابن مسعود.

وفي حديث جابر رضي الله عنه :

لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ : «هُمُ سَوَاءٌ»^(١) .

* وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال :

«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ»^(٢) .

* وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

«لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ، فَتَقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ^(٣) ، فَتَقْطَعُ يَدُهُ»^(٤) .

* و«مَرَّ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما بِفَتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ . وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلِّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ . فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا . فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا . إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ ، غَرَضًا»^(٥) .

* وقال رسول الله ﷺ : «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠) بإسنادٍ جيد .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٨٣) .

(٤) قال الأعمش راوي الحديث : «كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل كانوا يرون أن منها ما يسوى دراهم» وليس المقام مقام تفصيل ذلك تفصيله في كتاب الحدود .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم (١٩٥٨) .

لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»^(١).
 * وفي حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي
 وَجْهِهِ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ»^(٢).

والمقصود:

أن رسول الله ﷺ لعن بعض الفاعلين لبعض أنواع المعاصي عموماً،
 وبعض الصحابة عيّن مؤذي الجار، ومن وسّم الحمار، ومن اتخذ الروح
 غرضاً . . فقد يفهم منه تعييناً .
 ولكن لو دعا المسلم لأصحاب المعاصي كان أحسن في الجملة، والله
 أعلم .

بيد أن لعن رسول الله ﷺ قد يكون فيه مصلحة لبعض الأشخاص لأن
 لعنه إن لم يكن الملعون أهلاً فهي كفارة .
 وقد تقدم بيان أن رسول الله ﷺ لا يُتَابِعُ فِي السَّبَابِ وَاللَّعَانِ لِبَعْضِ
 المسلمين للخصوصية التي تقدمت، مع أن دعاء النبي ﷺ أو ألفاظه قد
 لا تكون في بابها الدعاء المراد إيقاعه الذي يراد حصوله .
 كما يدل عليه فعله ﷺ في مواقف حينما قال لبعض الأفاضل: «تَكَلَّمْتُكَ
 أُمَّكَ، أَوْ: عَقَرَى حَلْقَى»، ونحو ذلك^(٣).

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢١١٧).

(٣) قول رسول الله ﷺ لصفية بنت حيي رضي الله عنها حينما حاضت في الحج: «قَالَتْ صَفِيَّةُ: مَا
 أُرَانِي إِلَّا حَابِسَتَهُمْ، قَالَ: «عَقَرَى حَلْقَى». أخرجه البخاري (١٥٦١)، ومسلم
 = (١٢١١).

وإلا فرسول الله ﷺ قد دعا لبعض الكفار، لم يدع عليهم، فماذا؟!!

= ومعنى عقرى: أي: عقرها الله تعالى.

ومعنى حلقى: .

أي: أصابها الله بوجع في حلقها.

وقيل: أي جعلها الله عاقراً لا تلد، وحلقى: أي: مشؤمة على أهلها.

* ومثله قول ابن عباس لعكرمة: «ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ سِنَّةَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ» حينما قال له:

«صَلَّيْتُ خَلْفَ شَيْخٍ بِمَكَّةَ فَكَبَّرَ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ تَكْبِيرَةً» أخرجه البخاري (٧٨٨).

* وقول عمر رضي الله عنه لأسلم لما أنكر عليه قيامه مع ابنة خفاف بن إيماء الغفاري الذي

شهد أبوها الحديبية تسأل عمر الصدقة، فقال: وأعطها النفقة الكثيرة، فقال له

أسلم: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَكْثَرْتَ لَهَا؟ قَالَ عُمَرُ: ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى

أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا، قَدْ حَاصِرًا حِصْنًا زَمَانًا فَأَفْتَحَاهُ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا

فيه. أخرجه البخاري (٤١٦٠).

* وقول ابن عمر لسعيد بن جبير، وقد سأله عن القتال في الفتنة والله يقول:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]؛ يعني: يريدون قتال المسلمين من

الأمراء ويعدون ترك قتالهم فتنة. فقال ابن عمر: هَلْ تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ

إِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ

عَلَى الْمُلْكِ. أخرجه البخاري (٧٠٩٥).

* وقول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حينما سأله: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا

نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ: «ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَيَّ وَجُوهِهِمْ فِي النَّارِ - أَوْ:

عَلَى مَنَآخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وغيره بإسناد

حسن.

ومعنى «ثكلتك أمك»:

أي: لم تلدك أمك.

هذا أصل الكلمة لكن اتسعت العرب فصارت تطلقها ولا تريد حقيقة ما وضعت له =

الرابع عشر: سباب الدواب:

وقد أخرج مسلم^(١) عن عمران بن حصين قال:
 بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ
 فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا .
 فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا
 مَلْعُونَةٌ» .

قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْزِضُ لَهَا أَحَدٌ .
 وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَجْرًا لِلْمَرْأَةِ الَّتِي لَعَنَتِ الدَّابَّةَ، فَيَسْتَفَادُ مِنْ
 ذَلِكَ: الْمَنْعُ مِنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ .

ولذلك قال رسول الله ﷺ محذراً من هذه الخصلة أبداً:

«لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا»^(٢) .

وقال: «لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣) .

وقال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٤) .

= أولاً، ونظيره: تربت يداك، وقاتله الله ما أشجعه، وما أشعره، وإلا فهل التي
 تحيض - وحيضتها ليست بيدها - يدعى عليها بهذا الدعاء؟! .
 وهل الذي يسأل يستفسر (جاهل يسأل عالماً) يقال له:
 «تكلتك أمك»؟! .

(١) برقم (٢٥٩٥) .

(٢) صحيح: أخرج ذلك مسلم (٢٥٩٧) .

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩٨) .

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩٩) .

فبعض الناس كثير اللعن والتسخط على الدواب والناس والبيوت والمتاع . . لعاناً سبباً بذىء اللسان، فلعل هذه الأحاديث مما تردعه إن شاء الله عن فعله هذا، أصلح الله حال المسلمين، والله المستعان .

الخامس عشر: سباب الدهر (الزَّمن):

ورد في هذا الباب قوله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١) .
وقال ﷺ: «لَا تَقُولُوا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(٢) .

ومعنى (أنا الدهر): أي: صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سبَّ الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبُّه إلى ربِّه الذي هو فاعلها .

وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لمواقع الأمور^(٣) .

والحقيقة: أن الساب للدهر إنما يرجع سبُّه إلى الله تعالى، وقد جعل البعض من أسمائه سبحانه (الدهر)، وهو خطأ، نبهت عليه في كتابي «لمع الأدلة في بيان عقيدة أهل السنة»^(٤)،

ونقلت هناك استنكار أهل العلم لذلك .

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦) واللفظ له .

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٨٢) .

(٣) حكاه الحافظ في «فتح الباري» (٧٠٦/٨) عن الخطابي -رحمهما الله- .

(٤) «لمع الأدلة في بيان عقيدة أهل السنة» (٣٨٢/١) .

فسبُّ الدهر كبيرة من كبائر الذنوب، واعلم أن ذلك لا يقدم ولا يؤخر، وإنما يفعله الطائشون إلا إذا كان يصف ما يحصل في اليوم كـ«يوم نحس مستمر»، و«أيام نحسات»، يقصد وصف الحاصل. وليبدلوا مكانها: «لا حول ولا قوة إلا باللَّه» كنز من كنوز الجنة، و«إنا لله وإنا إليه راجعون»، و«الله أكبر»، و«سبحان الله»، وهكذا.

السادس عشر: سبُّ الديك:

ورد النهي عن سبِّ الديك.

تقدم قوله ﷺ في حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ»، أخرجه أبو داود (٥١٠١) بسندٍ صحيح.

وليس المعنى أنه يقول بصوته حقيقة: صلوا، أو حانت الصلاة، بل معناه أن العادة جرت بأنه يصرخ عند طلوع الفجر، وعند الزوال حين يرى العلامة، ويصيح حينما يرى ملكًا فيسأل الناس ربهم من فضله. فسبُّ الديك محرم.

السابع عشر: سبُّ الريح:

هذا حرام.

فأخرج أبو داود وأحمد بسندٍ قويٍّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَخَذَتِ النَّاسَ رِيحٌ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، وَعَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَاجٌّ، فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ عُمَرُ لِمَنْ حَوْلَهُ: مَنْ يُحَدِّثُنَا عَنِ الرِّيحِ؟ فَلَمْ يُرْجِعُوا إِلَيْهِ شَيْئًا، فَبَلَغَنِي الَّذِي سَأَلَ عَنْهُ عُمَرُ مِنْ ذَلِكَ.

فَاسْتَحْثْتُ رَاحِلَتِي حَتَّى أَدْرِكْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أُخْبِرْتُ أَنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الرِّيحِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُّوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيدُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا»^(١).

فَلَا يَسَبُّ أَحَدُ الرِّيحِ لِأَنَّهَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَقَدْ تَكُونُ جَنْدًا مِنْ جُنُودِهِ يَنْتَقِمُ اللَّهُ بِهَا مِمَّنْ يَشَاءُ كَمَا حَصَلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ.

الثامن عشر: سَبُّ الْحُمَى:

الحمى هي المرض المعروف الذي يأخذ الإنسان فتشتد حرارته.

وقد ورد النهي عن سَبِّ الْحُمَى فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمَّ الْمُسَيَّبِ. فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا أُمَّ السَّائِبِ! أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ! تُزْفِرِينَ؟».

قَالَتْ: الْحُمَى. لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا.

فَقَالَ: «لَا تَسْبِي الْحُمَى»^(٢). فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ. كَمَا يُذْهِبُ

الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣).

(١) أخرجه معمر في «الجامع» (٢٠٠٠٤)، وأبو داود (٥٠٩٧)، وأحمد (٧٦٣١).

(٢) فجعل الدعاء سببًا.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٧٥).

ومعنى (تُزْفِزِفِين):

أي: تتحركين حركة شديدة ترعدين، كأنها كانت ترتعش من شدة الحرارة.

فنهى رسول الله ﷺ عن سب الحمى، وبين أنها تكفر خطاياها، فتسهل عليه الورود على النار فينجو منها سريعاً، فكأنها تمنعه من دخول النار، والله أعلم.

تنبيه: هل يجوز سب شخصٍ ما وتشبيهه بالشیطان إذا كان مسلماً؟

والجواب: نعم، إذا شابه صفةً من صفاته، وهي الإفساد في الأرض، وقد تقدم رمي بعض الصحابة بالنفاق لمشابهته في صفة من صفات المنافقين.

وقد جرح علماء الجرح والتعديل بنحو ذلك، كما تقدم وفي كتاب الله: «شياطين الجن والإنس».

وراجع قبل ألفاظ علماء الجرح والتعديل.

متفرقات تتعلق بالسباب

سبُّ النبي ﷺ لشخصٍ ما:

إذا سبَّ النبي ﷺ شخصاً أو لعنه، فإن كان لذلك أهلاً فلا إشكال، وإن لم يكن لذلك أهلاً فإنها كفارة لصاحبها، يغفر الله له ويكفر عنه بها الخطايا، ويقربه الله بها يوم القيامة، فإن الله يزكِّيه ويرحمه بها.

لعموم قوله ﷺ - في حديث أبي هريرة رضي الله عنه - : «اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَّيْتُهُ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ورواية مسلم: «اللَّهُمَّ! إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّيْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ. فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»^(٢).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ. فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنْتُهُمَا وَسَبَّيْتُهُمَا^(٣).

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠١) وبوب لذلك باب: من لعنه النبي ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك، كان له زكاة وأجرًا ورحمة.

(٣) ولرسول ﷺ خصوصية فيمن سبَّه لا يتبع في ذلك، لخصوصية، هي في الحديث، فسباب المسلم فسوق إذا لم يكن لذلك أهلاً، إلا النبي ﷺ فسبابه لا حرج فيه، بل فيه فائدة للمسبوب، كما ترى في الروايات.

ولذلك مع كونه ﷺ نهى عن الدعاء على الأبناء أو الأنفس، فإنه إن دعا لا إشكال في ذلك لكون دعائه على من ليس أهلاً كفارة، فلا يدعو الإنسان على أحد من =

فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَا.

قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟».

قَالَتْ: قُلْتُ: لَعْنَتُهُمَا وَسَبَبَتُهُمَا.

قَالَ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟».

قُلْتُ: اللَّهُمَّ! إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعْنَتُهُ أَوْ سَبَبَتُهُ فَاجْعَلْ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا^(١).

وفي رواية: «فَسَبَّهُمَا وَلَعْنَهُمَا وَأَخْرَجَهُمَا».

وفي رواية قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ونحو ذلك من الأحاديث.

ولذلك ركب الإمام مسلم من هذه الأحاديث، وقوله ﷺ في شأن معاوية: «لَا أَشْبِعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»^(٣) أنها منقبة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

= المسلمين بغير موجب ويلعن ويقول: قد لعن رسول الله ﷺ. فتنبه.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٠٠)، وبنحوه عن جابر عند مسلم (٢٦٠٢).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ففي «صحيح مسلم» (٢٦٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ قَالَ: فَجَاءَ فَحَطَّأَنِي حَطَّاءً وَقَالَ: «أَذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ».

تُضَافُ إِلَى مَنَاقِبِهِ ، كَمَا بَيَّنْتَ ذَلِكَ فِي كِتَابِي «شَفَاءُ صُدُورِ الْمُوَحِّدِينَ بِذِكْرِ مَنَاقِبِ خَالِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)» .

وَالْمَقْصُودُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُتَابَعُ فِي هَذَا ،

فَلَا يَسِبُّ الْإِنْسَانَ أَحَدًا لِمِثْلِ ذَلِكَ أَوْ يَدْعُو عَلَيْهِ أَوْ يَلْعَنُهُ ثُمَّ يَقُولُ :

«لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» .

لَا ، لِلْخُصُوصِيَّةِ الَّتِي فِي الْحَدِيثِ ،

وَأَمَّا عَمُومُ النَّاسِ فَالسَّبَابُ لغيرِ سَبِّ فَسُقٍ ، فَلَا يَجُوزُ إِلَّا لِسَبِّ

يَقْتَضِي ذَلِكَ ، كَمَا سَنَبِّينُ فِي الْبَابِ الْآتِي عَقِبَ هَذَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

النَّهْيُ عَنِ سَبَابِ الْمَحْدُودِ :

الْمَحْدُودُ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ حَدًّا لَا يُزَادُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ زَنَى مِثْلًا يُجْلَدُ مِائَةً لِلْبَكْرِ

وَالْتَغْرِيْبِ ، وَالرَّجْمَ لِلْمُحْصَنِ ، لَا يُزَادُ عَلَى هَذَا سَبٌّ وَلَا شَتْمٌ وَلَا إِهَانَةٌ

وَلَا إِذْلَالٌ

وَالْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ ، كَمَا بَيَّنْتَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْطِنِ بِأَدْلَتِهِ .

فَعَلَى هَذَا لَا يَجُوزُ سَبُّهُ وَلَا شَتْمُهُ وَلَا الدِّعَاءُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا الْحَدُّ فَقَطْ ،

لَا يُزَادُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وَكَذَلِكَ السَّارِقُ ، وَكَذَلِكَ الْقَاذِفُ ، وَكَذَا شَارِبُ الْخَمْرِ .

= قَالَ : فَجِئْتُ فَقُلْتُ : هُوَ يَأْكُلُ .

قَالَ : ثُمَّ قَالَ لِي : «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مَعَاوِيَةَ» .

قَالَ : فَجِئْتُ فَقُلْتُ : هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ : «لَا أَشْبَعُ اللَّهَ بَطْنَهُ» .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ قَالَ : « اضْرِبُوهُ » .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَحْزَاكَ اللَّهُ .

قَالَ : « لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ »^(١) .

فإذا سبَّ أو ظلم أو أهين أو . . . كانت هذه عقوبة زائدة عما فرضه الله

عليه .

فإذا كان بعد إقامة الحد عليه كان ظلمًا ؛ لأنها عقوبة بعد طهارة من

الذنب الذي كفر عنه بإقامة الحد عليه «فالحُدود كفارات» ، فماذا؟

فسباب المحدود حرام ، سواء كان الذنب ثبت عليه باعتراف أو بيينة ،

والله أعلم .

تنبيه :

ويجوز الشدة جدًا بألفاظ شديدة عند الزجر ، وإن لم تكن على بابها

الكامل للتنفير مما شابه فيه المسبوبُ الفجار أو المنافقين أو الكفار أو

طائفة من أهل البدع .

كما في قول عمر رضي الله عنه عن حاطب بن أبي بلتعة : «يا رسول الله ! دعني

أضرب عنقَ هذا المنافقِ»^(٢) .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٧٧) ، وقد بوب ابن حبان في «صحيحه» (٥٧٣٠)

بباب : ذكُرُ الزَّجْرِ عَنْ سَبِّ الْمَحْدُودِينَ إِذَا حُدًّا .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

وقول أسيد بن حضير لسعد بن عبادَةَ رضي الله عنه :
 «إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ»^(١) .
 ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقول العباس لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما خاصم العباس علياً في أمرٍ : «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَفْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ . . .»^(٢) .

ولم يكن ذلك حقيقة في علي رضي الله عنه ، ولا في سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه ، ولا في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، وقد تقدم التنبيه على هذا بأوسع ، لكن اقتضى المقام إعادة ذاك القدر ، وإنما ذكروا بصفات شديدة لأن فعلهم شابه أفعال المنافقين أو الغادرين أو الخائنين - على حد فهم المتكلم - ولم ينكر أحد أقوالهم هذه في معرض الردّ لتبيين الخطأ .

ولذلك جاز أن يسمى الخارج على الحكام أو الطاعن على الأمراء أو الداعي على الأمراء المغتاب لهم . . . - وإن كانوا فساقاً - خارجي .
 لشبهه بهذه الفرقة في أفعالهم وصفاتهم .
 وكذلك من أخذ من صفات الجهمية أو المرجئة أو الروافض فيرمى ببدعتهم فيقال : خارجي ، أو مرجئي ، أو جهمي ، أو رافضي ، أو شيعي ، إذا شابههم في خصلة هي من أصول مناهجهم .

(١) صحيح : وهو في حديث الإفك : أخرجه البخاري (٢٦٦١) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

(٢) كما في «صحيح مسلم» (١٧٥٧) .

وأفعال أئمة السلف والأدلة تؤيد ذلك، ذكرتها في غير هذا الموطن^(١).
 وصاحب الفضل إذا أخطأ ولم يصرّ وتاب واعترف بذنبه لا يُسبّ^(٢):
 عن هشام بن عروة عن أبيه: أن حسان بن ثابت كان ممن كثر على
 عائشة فسببته، فقالت:

يا ابنَ أختي دَعُهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣).

فحسان بن ثابت رضي الله عنه ممن شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وتاب
 مما قال في عائشة رضي الله عنها، فقال عنها:
 حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُضْبِحُ عَرْتِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ^(٤)
 مع فضله فقد كان يهجو المشركين ومعه جبريل يشفي غليل رسول الله
 ﷺ، ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تنهى عن سبه.

وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ».

وكان روح القدس يؤيده.

وهو القائل:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
 ثم إنه قد أقيم عليه الحد في حادثة الإفك، والحدود كفارات، كما هو

(١) انظر: «التوضيحات الجلية»، الطبعة الثانية (ص ٤١٩، ٤٦٥، ٤٦٥)، و«مناصحة
 الخوارج» (ص ٣٩) وما بعدها.

(٢) لاسيما إذا حُدَّ، فإن الحدود كفارات، كما ذكرتُ دلائل ذلك في «تبصير النساء».

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٨٧).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨).

معلوم، فلم يعد عليه ذنب أصلاً، مع صحبته وشهوده مع رسول الله ﷺ، مع اعترافه بأنه أخطأ، وليس هو تولى كبره، وإنما الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول.

فلما كان من فضائله ذلك لا يجوز سبُّه لأجل ما وقع منه، فإن رسول الله ﷺ يقول في نفس حديث الإفك:

«الْعَبْدُ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»،

وهو قد تاب واعترف بذنبه وجهر بعكس ما قال مع الملام، فماذا؟ .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن سباب من ضرب في حدٍّ أو تاب:

فإن رسول الله ﷺ لما جاءه ماعز وقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! طَهَّرْنِي.

فَقَالَ: «وَيَحَاكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ».

قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ. ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! طَهَّرْنِي

وكذا المرأة . .

فَيُقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا . فَتَنْضَحُ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا .

فَسَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ:

«مَهْلًا يَا خَالِدُ! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ

مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ» .

ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ^(١) .

(١) والرواية بذلك في «صحيح مسلم» (١٦٩٥).

فصلٌ في التعزير في السباب

تقدم بيان أن الساب يُعزَّر إلا إذا كان الساب والد لولده،
ولا حدَّ يَقام في التعزير بلا خلاف^(١).

واعلم أن مقدار التعزير موكول للأمر أو القضاة؛ لأن تقدير ذلك
على حسب درجة كل إنسان وقدر من أخطأ وما أخطأ فيه، فلربما تكفي
كلمة لرجل، ولا يكفي آخر التعزير إلا بالقتل، فالناس في هذا درجات،
ويقدر على حسب من أخطأ فيه أو ما أخطأ فيه . .

لكن إن سبَّ الرجل آخر بما يشبه القذف ففيه الحدُّ لا التعزير.

وهذه عدة أقوال لأهل العلم في ذلك :

قال سحنون :

أرأيت الرجل يقول للرجل : يا حمار، أو يا ابن الحمار؟

قال : لا شيء عليه في هذا عند مالك إلا النكال .

(١) ما أعلم أحدًا قال في السباب الحدُّ إلا إذا كان السباب فيه قذف، كمن قال :

يا زاني، أو يا زانية مثلاً، والله أعلم .

وقد قال ابن المنذر في «الأوسط» (٩/١٣) :

«أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن لا حدَّ على الرجل في قوله للرجل :

يا فاجر، يا فاسق» . . . قال : «وليس على من قال لرجل : يا حمار، يا ثور،

يا خنزير، حدَّ في قول أحد من أهل العلم علمته . . .» . اهـ

قلت: فهل كان يحدّ لكم مالك في هذا النكال كم هو؟
قال: لا^(١).

وقال المرداوي^(٢):

يعزّر بقول: «يا كافر، يا فاجر، يا حمار، يا تيس، يا رافضي،
يا خبيث البطن أو الفرج، يا عدو الله، يا ظالم، يا كذاب، يا خائن،
يا شارب الخمر، يا مخنث»، نص على ذلك.

وقيل: «يا فاسق» كناية، و«يا مخنث» تعريض.

ويعزّر أيضًا بقوله له: «يا قرنان»، «يا قواد»، ونحوها.

وسأل حرب عن «ديوث»؟ فقال: «يعزر».

قلت:

هذا عند الناس أقبح من الفرية؟ فسكت.

وقال في «المنهج»:

«يا ديوث» قذف لامرأته.

قال إبراهيم الحربي:

«الديوث هو الذي يدخل الرجال على امرأته . . .».

قال أبو النجا الحجاوي من الحنابلة^(٣):

ويعزر بقوله: «يا كافر، يا منافق، يا سارق، يا أعور، يا أقطع،

(١) «المدونة» (٤/٥٠١).

(٢) في «الإنصاف» (١٠/٢١٧).

(٣) في «الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل» (٤/٢٦٤).

يا أعمى، يا مقعد، يا ابن الزمِن الأعمى الأعرج، يا نمام، يا حروري،
يا مرائي، يا مرابي، يا فاسق، يا فاجر، يا حمار، يا تيس، يا رافضي،
يا خبيث البطن أو الفرج، يا عدو الله، يا جائر، يا شارب الخمر،
يا كذاب، يا كاذب، يا ظالم، يا خائن، يا مخنث، يا مأبون: أي
معيوب، زنت عينك، يا قرنان، يا قواد، يا معرّص، يا عرصة،
ونحوها: يا ديوث، يا كسحان، يا قرطبان، يا علق، يا سوس، ونحو
ذلك». اهـ

وقال مالك^(١): في رجل قال لآخر:

يا مخنث، إنه يجلد الحدّ إن رفعه إلى الإمام، إلا أن يحلف القائل
يا مخنث، بالله، أنه لم يرد بذلك قذفاً.

فإن حلف عفا عنه بعد الأدب، ولم يضرب حد الفرية.
فإن هو عفا عنه قبل أن يأتي السلطان ثم طلبه بعد ذلك فإنه لا يُحدّ له. اهـ
قلت: كلما عظم حق المسبوب كان التعزير في حقه أكد وكان أعظم.
فحقوق الناس تتفاوت:

فليس من سبّ عالماً كمن سبّ عامياً.

وليس من سبّ حاكماً كمن سبّ محكوماً. . . والله أعلم.

ولكن إذا:

قصد به الشتم زجراً لخطأ فعله فلا شيء عليه.

(١) كما في «المدونة» (٤/٤٨٨).

وقد تقدم قول بعض الصحابة لآخر:
«ليراني أحرق مثلك».

وأخرج ابن أبي شيبة^(١) بسند صحيح عن علقمة بن عبد الله قال:
قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَمَرْتُ أَصْحَابِي أَنْ يَرْتَحِلُوا، ثُمَّ أَتَيْتُ
الْمَسْجِدَ، فَجَلَسْتُ قَرِيبًا مِنْ ابْنِ عُمَرَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَجَعَلَ
يُحَدِّثُنِي وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقُلْنَا: كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا كَثُرَتْ، قُلْتُ لَهُ: اسْكُتْ.
فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ:
«أَمَّا أَنْتَ فَلَا جُمُعَةَ لَكَ، وَأَمَّا صَاحِبُكَ فَحِمَارٌ».

يهينه لكونه لغى في صلاته فسبّه سبًا شديدًا لقبح ما فعل.

وما استحق ابن عمر التعزير في ذلك لمكانته وأحقية ما قال.

فإذا شتم رجل إنسانًا ما لخطئه تأديبًا له على الخطأ الذي فعله،
فلا شيء على الشاتم لا سيما إذا كان في موطن المعلم أو القدوة.

وواضح أن ابن عمر لم يقصد وصفه بأنه حيوان، وإنما يريد أن يقول:
طبعك كطبع الحمار، لكونه يضيع صلاته وينقص من أجرها،
بلا داعي^(٢)، والله الموفق.

(١) في «المصنف» (١/٤٥٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٣٨).

(٢) وفي «صحيح مسلم» (٨٥١): عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال:
«إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَدْ لَعَوْتَ»، وأخرجه
البخاري (٩٣٤) أيضًا.

فصل في التحذير من نشر السباب لاسيما المشتمل على ألفاظ القذف وجريانه على السنة العامة^(١)

فعن عكرمة :

أَنَّ امْرَأَةً قَذَفَتْ وَلَيْدَتَهَا ، فَقَالَتْ : يَا زَانِيَّةُ ، أَوْ رَجُلٌ قَذَفَ أُمَّتَهُ .
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : أَرَأَيْتَهَا تَزْنِي ؟
قَالَ : «لَا» .

قَالَ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُجْلَدَنَّ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِينَ»^(٢) .
وأخرج ابن عساكر^(٣) بإسنادٍ لا بأس به عن أبي عمران الفلسطيني
قال :

بينما امرأة عمرو بن العاص تفتلي رأسه إذ نادى جارياً لها فأبطأت
عنها .
فقلت : يا زانية .

فقال عمرو : رأيتها تزني ؟

(١) حتى إنهم يطلقون ألفاظاً فيها قذف بعضهم لبعض دون تمعن في معناها ، وهي قذف ، حتى صار هذا مشهوراً ينادي الشاب أصدقاءه وإخوانه بهذه الألفاظ ، وقد نبه رسول الله ﷺ على أن البذاءة في النار ، والله المستعان .
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٩٧٢) بإسنادٍ رجاله ثقات .
(٣) في «تاريخه» (١٨١/٤٦) .

قالت : لا .

قال : والله لتُضربن لها يوم القيامة ثمانين سوطًا .

فقالت لجاريتها وسألتها تعفو فعفت عنها .

فقالت^(١) : هل يجزي عني ؟

فقال لها : وما لها ألا تعفو وهي تحت يدك؟ فأعتقها .

فقالت : هل يجزئ عني ذلك ؟

قال : فلعلَّ .

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»^(٢) بسندٍ حسن :

عن عكرمة قال :

«لَا أُدْرِي أَيُّهُمَا جَعَلَ لِصَاحِبِهِ طَعَامًا ، ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْ ابْنُ عَمِّهِ .

فَبَيْنَا الْجَارِيَةُ تَعْمَلُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، إِذْ قَالَ أَحَدُهُمْ لَهَا : يَا زَانِيَةً .

فَقَالَ : مَهْ ، إِنْ لَمْ تَحُدِّكَ فِي الدُّنْيَا تَحُدُّكَ فِي الْآخِرَةِ .

قَالَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ كَذَاكَ ؟

قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ .

مع أن ابن عباس الذي قال : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ .

ولذلك على القاذف التعزير والأدب ، وإن كان لا حدَّ عليه في الدنيا ،

(١) أي : امرأة عمرو بن العاص .

(٢) برقم (٣٣١) .

ويؤيده ما أخرجه البخاري في «صحيحه»^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
 «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ»^(٢) وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 كَمَا قَالَ» .

حتى إن ابن عمر رضي الله عنهما قال في أمّ ولد قُذفت بإقامة الحد على من قذف ،
 لكون أمّ الولد شبيهة بالحرّة ، فليست هي كالأمة التي تقدم عدم إقامة الحدّ
 على قاذفها فهي أشبه بالحرّة .

فأخرج عبد الرزاق^(٣) بإسنادٍ على شرط مسلم ، عن نافع :
 أَنَّ أَمِيرًا مِنَ الْأَمْراءِ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنْ رَجُلٍ قَذَفَ أُمَّ وَوَلَدٍ لِرَجُلٍ قَالَ :
 «يُضْرَبُ الْحَدَّ صَاغِرًا»^(٤) .

كل هذا ليمنع السباب بغير وجه حقّ ، وواضح من السياق أن الأمير
 المذكور ليس هو الأمير الأعلى ، وإنما السائل يسأل عن أمير تحته .
 لا أنه يسأل عن الأمير الأعلى ، فإنه لا يُحدّ إلا بالخروج عليه فتنبه .

(١) برقم (٦٨٥٨) ، ومسلم (١٦٦٠) .

(٢) في رواية مسلم : «بالزنا» .

(٣) في «المصنف» برقم (١٣٧٩٩) .

(٤) وله طريق آخر بنحوه عقبه (١٣٨٠٠) عن ابن عمر ، وسئل عن قاذف أم الولد ، فقال
 ابن عمر :

«يُسأل عنها ، فإن كان لا يطعن عليها حدّ قاذفها» .

وله طريق آخر أخرجه ابن أبي شيبة (٤٨٨ / ٥) بإسنادٍ صحيح عن نافع ، عن بعض
 أمراء الفتنة :

«سأل ابن عمر أن أمّ ولدٍ قُذفت ، فأمر بقاذفها أن يُجلد ثمانين» .

فرح الرجل إذا سبَّ لعيبٍ في جسده من أثر طاعة

أخرج ابن سعد^(١) بسندٍ صحيح عن طارق بن شهاب قال:
غَزَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ مَاءً وَعَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ آلِ عَطَّارِدِ التَّمِيمِيِّ فَأَمَدَّهُ أَهْلُ
الْكُوفَةِ وَعَلَيْهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ .
فَقَالَ الَّذِي مِنْ آلِ عَطَّارِدٍ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: يَا أَجْدَعُ أَتُرِيدُ أَنْ تُشَارِكَنَا فِي
عَنَائِمِنَا؟

فَقَالَ عَمَّارٌ: خَيْرَ أَذْنِي سَبَبْتُ .
قال شعبة: يعني أَنَّهَا أُصِيبَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ . . الأثر .
وفي رواية^(٢) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ:
قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِعَمَّارٍ: أَيُّهَا الْأَجْدَعُ .
فَقَالَ عَمَّارٌ: خَيْرَ أَذْنِي سَبَبْتُ .
ولقد عير أهل الشام عبد الله بن الزبير فقالوا له: يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقِينَ .
فَقَالَتْ لَهُ أَسْمَاءُ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُمْ يُعَيِّرُونَكَ بِالنَّطَاقِينَ ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ
النَّطَاقَانِ؟ إِنَّمَا كَانَ نِطَاقِي شَفَقْتُهُ نِصْفَيْنِ ، فَأَوْكَيْتُ قَرَبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بِأَحْدِهِمَا ، وَجَعَلْتُ فِي سُفْرَتِهِ آخَرَ .

(١) في «طبقاته» (٣/١٩٣) .

(٢) في «طبقاته» (٣/١٩٢) بسندٍ صحيح .

قَالَ: فَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ إِذَا عَيَّرُوهُ بِالنُّطَاقَيْنِ يَقُولُ: إِيهَا وَالِإِلَهَ تِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا^(١).

ولما دخل الحجاج على أسماء بعد قتل ولدها عبد الله بن الزبير وقال لها: كَيْفَ رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ؟

قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ.

بَلَّغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ، أَنَا، وَاللَّهِ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَنَطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَعْنِي عَنْهُ.

أَمَّا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا، أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَابًا وَمُبِيرًا.

فَأَمَّا الْكَذَابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ.

قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا^(٢).

فالسباب والتعبير بما هو حسن في المرء لا يهتس له، وكأنه ما قيل، فكيف يغضب الإنسان بسباب له لشيء ليس فيه، أو لشيء هو مدح لا ذم؟!

هذا آخر ما تيسر جمعه مما يتعلق بالموضوع الذي نحن بصدده

أسأل الله أن يجعله خالصاً صواباً ولا يجعل لأحد فيه شيئاً وأن يكتب

لنا به الأجر والثواب ويتجاوز عن الخلل والزلل إنه تواب رحيم

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه

أجمعين.

كتبه

أبو يحيى محمد بن عبده

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

(١) أخرجه البخاري (٥٣٨٨).

فهرس الموضوعات

- ٣ المقدمة
- ٦ بيان سبب الكتابة في هذا الموضوع
- ١١ ما أولف في الباب
- ١٤ فائدة الكتابة في هذا الموضوع
- ١٧ حرمة سباب المسلم والبذاءة عليه
- ١٧ أدلة عامة يفهم منها الحرمة
- ١٨ معنى حديث النبي ﷺ: «المُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ»
- ١٩ أدلة عامة تفيد الترابط بين المسلمين
- ٢١ بيان أن بذاءة اللسان إنما هي في المنافقين
- ٢١ سبب ورود حديث «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ»
- ٢٢ تحذير النبي ﷺ عما يؤذي المسلم
- ٢٤ المنع من سبِّ الإمام لرعيته
- ٢٦ المعنى الإجمالي لحديث «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ»
- ٢٦ معنى السبِّ في اللغة وحكمه
- ٢٧ حكم سباب الفاسق
- ٢٨ صور السباب
- ٢٩ تلخيص أحكام السباب

- سباب الرجل بتأويل لا يدخل في قوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» ٣٣
- سباب ليس منهياً عنه قد وقع بين الصحابة نحوه ٣٥
- ما وقع من ابن عمر رضي الله عنهما لولده ٣٥
- ما وقع من أبي بكر لولده رضي الله عنه ٣٥
- ما وقع من العباس رضي الله عنه ٣٦
- ما وقع من عمار لعثمان رضي الله عنهما أو شتمه ٣٧
- عقوبة المستبين وما ورد في ذلك ٣٨
- جواز انتصار المسبوب بقدر ما اعتدي عليه ٣٩
- نقل الإجماع على الشدة على أهل البدع، وهذا لا يدخل في السباب ٤٠
- شدة الألفاظ من لدن الصحابة فمن بعدهم في النقد ٤٢
- قول أبي بن كعب رضي الله عنه ٤٢
- قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعروة بن مسعود يوم الحديبية ٤٤
- قول النبي ﷺ في ذلك ٤٥
- قول آخر في ذلك ٤٥
- قول لثالث لرسول الله ﷺ في ذلك ٤٦
- قوله ﷺ عن الخوارج ووصف الصحابة لهم ٤٦
- قوله ﷺ عن دجالين في آخر الزمان ٤٩
- قول رسول الله ﷺ عن أوباش قريش ٤٩
- لعن الصحابة رضي الله عنهم للخوارج ٥٠

- ٥٠ تسمية رسول الله ﷺ بعض الناس حثالة
- ٥٢ تسمية رسول الله ﷺ الخوارج بالبهائم
- ٥٣ شدة الإنكار على المخالف بألفاظ مستبشعة
- ٥٣ ألفاظ النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في ذلك
- ٥٤ قول بعضهم: أخطأت استك الحفرة
- ٥٦ تجوز أبي إسحاق الحويني الرد بألفاظ مستبشعة قديماً
- ٥٧ مما ورد من شدة الصحابة رضي الله عنهم عند ردّهم على المخالف
- ٥٧ قول العباس رضي الله عنه في ذلك وغيره مما تقدم ذكره
- ٥٧ قول معاوية رضي الله عنه لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
- ٥٨ قول أبان بن سعيد بن العاص في رده على أبي هريرة رضي الله عنه
- ٥٩ سبب شدة أبان على أبي هريرة في الرد عليه
- ٦٠ قول كثير من الصحابة رضي الله عنهم: كذب فلان
- ٦١ قول ابن عمر رضي الله عنهما في ذلك
- ٦٣ وقوع هذه الشدة من علماء الجرح والتعديل
- ٧٤ ابن باز
- ٧٤ الألباني
- العثيمين وقوله في عبد الرحمن عبد الخالق الذي أثنى عليه الحويني
- ٧٥ مقبل بن هادي الوادعي
- ٧٩ شدة السلف على أصحاب الأهواء غير داخلية في السباب
- ٨٢ التعليق على السباب الوارد من رسول الله ﷺ

- ٨٥ قوله ﷺ لبعض الصحابة: «إِنَّكَ لَعَرِيٌّ الْقَفَا»
- ٨٦ قوله ﷺ لبعض الصحابة: «لَا أُمَّ لَكَ»
- ٨٦ تعقب على كلمة ابن الجزري في ذلك
- ٨٩ الإجماع على الشدة على المخالفين من أهل البدع
- ٨٩ مدح جماعة من أهل السنة لشدتهم على أهل البدع
- ٩٢ مدح جماعة من أهل السنة لشدتهم على أهل البدع
- ٩٩ سبب شدة أسلوب أهل السنة مع أهل البدعة
- ١٠١ فائدة هجران أهل البدع
- تبرئة ساحة الصحابة ﷺ من وقوع السباب المحرّم بينهم في كل موقف نُسب إليهم
- ١٠٢
- ١٠٥ تعقب على الإمام المازري
- ١٠٩ سلامة صدور الصحابة بعضهم لبعض
- أقوال العلماء في شأن الغيرة التي حملت عائشة ؓ أن تقول
- ١١٦ كلاماً على خديجة ؓ
- ١١٨ بيان ضعف الوارد أن عماراً سب خالد بن الوليد ؓ
- ١١٩ ترجمة الأشتر النخعي والتعليق على روايته
- ١٢٧ كلام جرى بين الصحابة محتمل ليس صريحاً في أنه سباب
- ١٣٧ مراتب السباب في الحرمة
- ١٣٨ التعليق على أنواع السباب الذي يكون
- ١٣٨ أولاً: سباب الله أو الدين أو الرسول ﷺ
- ١٤٢ كلام ابن حزم في ذلك

- ثانيًا : سباب الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين ١٤٤
- لوازم سباب الصحابة ١٤٨
- نداء إلى الروافض ١٥٠
- ثالثًا : سباب الوالدين ١٥١
- مسألة تتعلق بسبِّ الوالد لولده ١٥٢
- رابعًا : سباب الدعوة إلى الله ١٥٣
- خامسًا : سباب العلماء وما يتعلق به من أحكام ١٥٤
- بيان أن فرية سباب العلماء لا تجدها إلا في أوساط المبتدعة ... ١٦٠
- أمثلة من إساءة أهل البدع ١٦٠
- إساءة الحويني لبعض أهل العلم ١٦٧
- إساءة وحيد بن عبد السلام بالي لأهل العلم ١٧٨
- إساءة محمد بن عبد المقصود لأهل العلم ١٧٩
- إساءة عبد الله بن بدر لأهل العلم ١٨١
- إساءة حازم شومان لأهل العلم ١٨٣
- إساءة مصطفى العدوي لبعض أهل العلم ١٨٧
- الواجب عليه وقد رجع عن تأييده للأحزاب ١٨٩
- إساءة أحمد النقيب لأهل العلم والتعليق على منهجه ١٩٥
- إساءة ابن جبرين لبعض أهل العلم ٢٠٥
- نصوص أقوال العلماء في الشيخين ربيع المدخلي والجامي ٢١٣
- كلام الشيخ عبد العزيز الراجحي في رمي الشيخين بالألقاب ... ٢١٤
- كلام الشيخ الفوزان في ذلك ٢١٤

- بيان مصطلح العالم الذي يحرم الطعن فيه والكلام في عرضه ... ٢٢٠
- كلام الشوكاني في تثبيت أهل الحق ٢٢٣
- تعليقة على من يدافعون عنن يقول بالثورات والخروج على
الأمراء ٢٢٥
- نداء لأهل الباطل ٢٣٠
- نداء لأصحاب التعصب ٢٣١
- آفة المجتمع اليوم ٢٣٣
- عدم التفرقة بين سباب الحاكم الجائر والعدل ٢٣٤
- نهى السلف عن سب أمراء الجور ٢٣٤
- اعتراف الحجاج بأنه كان أجراً على الدماء من غيره ٢٣٦
- سب أهل البدع لعبد الله بن سلام رضي الله عنه ٢٣٧
- الدليل على أن الخوارج هم الذين يطعنون على أمرائهم ٢٣٧
- تملص السلف من سباب الحكام ٢٣٨
- التعليق على لعن عمارة بن رؤيبة لأميره ٢٤٠
- سباب أمير وليس الساب بأمير ٢٤١
- التعزير في سب الأمراء ٢٤٣
- عقوبة من يعرض بسب الأمراء ٢٤٦
- سب الطاعن على الأمراء لكونه يسيء الأدب معهم ٢٤٨
- سادساً: سب المتعصبين في الباطل والمتكلمين بئكر القول ٢٥١
- سابعاً: سباب الكفار ٢٥٥
- ثامناً: حرمة السباب بين المسلمين والمشركين إذا كان يجلب

- ٢٥٩ سبباً للإسلام أو لله أو الرسول ﷺ
- ٢٦٠ • تاسعاً: سبُّ الأموات (أموات المسلمين)
- ٢٦٣ • عاشرًا: حكم سبِّ المسلم للذمِّي المعاهد والعكس
- ٢٦٤ • الحادي عشر: سباب الصائم لمن سبَّه
- ٢٦٤ • الثاني عشر: سباب الفُسَّاق
- ٢٦٦ • الثالث عشر: سبُّ أو لعن أصحاب المعاصي
- ٢٧١ • الرابع عشر: سباب الدواب
- ٢٧٢ • الخامس عشر: سباب الدهر (الزَّمَن)
- ٢٧٣ • السادس عشر: سبُّ الدِّيك
- ٢٧٣ • السابع عشر: سبُّ الريح
- ٢٧٤ • الثامن عشر: سبُّ الحُمَّى
- ٢٧٦ • متفرقات تتعلق بالسيباب
- ٢٧٦ • سبُّ النبي ﷺ لشخصٍ ما
- ٢٧٨ • النهي عن سباب المحدود
- ٢٨٣ • التعزير في السباب
- ٢٨٥ • تفاوت حقوق الناس في استحقاق التعزير
- ٢٨٧ • التحذير من نشر السباب وجريانه على السنة العامة
- ٢٨٨ • قذف المملوك
- ٢٩٠ • فرح المسبوب لعيبٍ في جسده من أثر طاعة

فهرس الفوائد

- ٤ • بيان أن الخوارج شرُّ الفرق المبتدعة من أمة محمد ﷺ
- ٥ • المتعصب مردود الشهادة
- رمي الصحابي الآخر بالنفاق لموافقته في خصلة واحدة من
- ٧ • خصال المنافقين
- نقل الإجماع على عدم الفرق بين جرح الرواة وجرح الأفراد من
- ٧ • حملة العلم وغيرهم وتصحيح معلومة لأحمد النقيب
- ٨ • ضابط مهم من ضوابط التبديع علامة في المبتدع
- قدّم فرية الطعن في أهل السنة بأنهم يسبُّون العلماء في القرن
- ٩ • الخامس
- ١١ • طعن أهل الأهواء الحساد في أهل السنة بسبب ديني ليروغ الطعن
- ١٤ • فائدة الكتابة في موضوع «ردع المجرم من سب المسلم»
- ١٧ • تصحيح ما قد يفهم من أبي وائل أنه يعتبر الطعن في المرجئة سباً
- ٢١ • بذاءة اللسان مع النفاق
- ٢١ • الكلام على سبب ورود حديث «سبب المسلم فسوق»
- ٢٧ • حكم سباب الفاسق
- ٢٨ • صور السباب
- ٣٣ • السباب لسبب ليس داخلاً في قوله ﷺ: «سبب المسلم فسوق»
- ٤٠ • نقل الإجماع على الشدة والغلظة والقسوة على أهل البدع

- شدة الألفاظ من لدن الصحابة فمن بعدهم في النقد وفي كلام رسول الله ﷺ ٤٢
- جواز تعيين بعض الناس شتمه بالكلب ٤٧
- فراسة عمر رضي الله عنه في الأشر النخعي وهو صغير ٤٧
- تشبيه النبي ﷺ ببعض الناس بالبهايم وهم الخوارج ٥٠
- ألفاظ شديدة مستبشعة من النبي ﷺ والصحابة والسلف عند تخطئة المخالف والرد عليه ٥٣
- وقوع ألفاظ مستبشعة من علماء الجرح والتعديل عند جرحهم للرواة لمصلحة الدين والعلم ٦٣
- شدة من العلماء المعاصرين في جرح الرواة ابن باز والعثيمين والألباني وغيرهم ٧٤
- حيدة مصطفى بن العدوي عن القدح في أسامة بما يشبه مدحه .. ٧٦
- بيان أن حيدته هذه طريقة يستعملها كثيرًا ٧٧
- لم يقل أحد إن شدة علماء السلف على أهل البدع إنها سباب ... ٧٩
- التعليق على السباب الوارد عن رسول الله ﷺ ٨٢
- قوله ﷺ لبعض الصحابة: «إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا» ٨٥
- التعليق على قوله ﷺ لبعض الصحابة: «لَا أُمَّ لَكَ» ٨٦
- التعقب على ابن الجزري في قوله أن كلمة «لا أبا لك» لا تعني بمعني المدح للتعجب، ودليل ذلك ٨٦
- انعقاد الإجماع على الشدة على أهل البدع ٨٩
- مدح الأئمة لمن كان شديدًا على أهل البدع ٩٢

- ٩٩ • بين سبب شدتهم في
- ٩٩ • قصة مهمة تبين حسن طريقتهم في ذلك
- ٩٩ • التباس العلماء والفقهاء بأهل البدع عند العوام
- ١٠٠ • قد يكون نسك أهل المدينة فتنة للبعض
- ١٠١ • فائدة الهجر للمبتدع
- ١٠٢ • تبرئة ساحة الصحابة من وقوع السباب المحرم بينهم
- ١٠٥ • تعقب على الإمام المازري في قولٍ قاله
- • طلب أمهات المؤمنين من الرسول ﷺ العدل في ابنة أبي قحافة
- ١١٢ • ليس هو كطلب الخارجي من رسول الله ﷺ أن يعدل
- • تضعيف رواية أن النبي ﷺ قال لعائشة عن أم المؤمنين الأخرى:
- ١١٤ «سُبِّيها» والعليق عليها في حالة ثبوتها
- • التنبيه على ضعف رواية بكير بن مسمار أن معاوية قال لسعد بن
- ١١٧ أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب، يعني: علياً ﷺ
- ١١٨ • بيان ضعف سباب عمار بن ياسر لخالد بن الوليد ﷺ
- ١١٩ • ترجمة الأشر النخعي صاحب شرطة علي ﷺ في حروبه
- ١٢٠ • سماع علقمة بن قيس من خالد بن الوليد خلافاً للنووي
- ١٢٤ • الطعن في الشخص ورميه بمن شابه صفتهم
- • إثبات فضيلة لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير ﷺ كل في حادثة
- ١٢٤ الإفك
- ١٢٧ • تعريف الخنس في اللغة
- • التنبيه على ضعف رواية أن أبا بكر ﷺ لما دخل على الجاريتين

- ١٣١ اللتين كانتا تغنيان سبَّهما ، وبيان نكارتة بهذا اللفظ .
- التنبيه على ضعف رواية أن عبد الرحمن بن عوف قال لخالد بن الوليد: قاتلك الله ١٣٢
- للسباب مراتب ١٣٧
- بيان أن فرية [سباب العلماء] لا تجدها إلا في أوساط أهل البدع ، وذكر أمثله على ذلك ١٦٠
- فائدة عزيزة تتعلق بملك سليمان عليه السلام ١٦٣
- كلام أبي إسحاق الحويني وطعنه في أهل العلم الذين أثنى عليهم الأئمة بلا موجب ١٦٧
- فائدة تتعلق بتزكية الألباني رحمته الله للحويني المشهورة ومخالفته للألباني ١٧٠
- عدم معاملة الناس باللائم ١٧٣
- دعوى الحويني أن للألباني مفاويز ١٧٤
- قول الشيخ مقبل: إن الحويني زائع ١٨٢
- فائدة بشأن تراجع حازم شومان عن إساءته للصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ١٨٥
- فائدة تتعلق بالمطلوب من الشيخ مصطفى العدوي مع رجوعه عن فكرة تجويز الأحزاب ١٨٩
- وجوب تراجعته عن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] لا تتناول التحزبات بالتحريم ١٩٠
- تفسير صحابين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾

- [الأنعام: ١٥٩] بأنها في النهي عن التحزبات أم سلمة وأبي أمامة
 ١٩١ الباهلي رضي الله عنه
- قدح علماء السلف في أهل بدع لهم سيادة وعلم وفقه لما خالفوا
 ٢١٠ في خصلة واحدة
- أقوال أهل العلم المعاصرين فيمن يُلقون التهم على الشيخين
 ٢١٣ جزافاً
- بيان مصطلح العالم الذي يحذر من الطعن فيه ٢٢٠
- كلام رائع للشوكاني يتسلى به أهل المنهج الصحيح ٢٢٣
- تعليقة على من يقول بالثورات والخروج على الحكام ٢٢٧
- بيان آفة من آفات المجتمع اليوم ٢٣٣
- نهى السلف عن السب أو الطعن في أمراء الجور والظلم ٢٣٤
- فائدة: اعتراف الحجاج الثقفي بأنه كان أجراً على الدماء من غيره
 ٢٣٦
 • الدليل على أن الطعن على الأمراء من أفاعيل الخوارج لا أهل
 السنة هذه علامة للخوارج ٢٣٧
- تبرؤ السلف من الطعن في الأمراء بخلاف دعاة السلفية اليوم ... ٢٣٩
- حرمة السب لأمرير على بعض بلدان المسلمين ليس على الطاعن
 بأمرير ٢٤١
- الجواب على دعاء عمارة بن رؤيبة على بشر بن مروان ٢٤١
- التعزير في سب الأمراء ٢٤٣
- سبب عدم تعزير النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في الطعن في الأمراء ٢٤٥
- قول بعض السلف في العصبية ٢٥٤

- بيان ضعف حديث «اذكروا الفاسق كي يحذره الناس» ٢٦٥
- عدم متابعة النبي ﷺ في سبابه لبعض الأشخاص ٢٧٨
- تجويز الشدة جدًّا عند الزجر وإن لم تكن على بابها الكامل ٢٧٩
- حرمة سباب الرجل أو تعييره بذنب تاب منه ٢٨١
- التنبيه على أن حقوق الناس تتفاوت فيعظم سباب بعضهم عن
بعض ٢٨٥

* * *

كتب الشيخ محمد بن عبده

■ كتب العقيدة والمنهج:

- لمع الأدلة في بيان عقيدة أهل السنة ٣ مجلد
- التوضيحات الجلية في بيان عقيدة أهل السنة ١ مجلد كبير «الطبعة الثانية» .
- التوضيحات الجلية في بيان عقيدة أهل السنة ١ مجلد «الطبعة الأولى» .
- الشروح الرضية لمتون العقائد السلفية :
- ١- شرح «شرح السنة» للبرهاري . ٢ مجلد
- ٢- شرح «شرح السنة» للمزني . ١ غلاف
- ٣- شرح «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» للصابوني شيخ الإسلام .
- ١ مجلد
- ٤- شرح «الأصول الثلاثة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب . جزء
- شفاء صدور الموحدين بذكر مناقب خال المؤمنين معاوية الأمين وشيء من سيرته .
- ذم النفاق وأهله . جزء
- غصة الخوارج المارقين في بيان منزلة الدعاء للأمرء والسلاطين . جزء
- مناصحة الخوارج ومن تأثر بهم . جزء
- نصح الحكام بين الغلو والتفريط ، متضمن الرد على وحيد بالي في كتابه :

«علماء وأمرء» والتنويه على منهجه . مجلد

● عقيدة المسلم الصغير «المستوى الأول والثاني والثالث» . جزء

■ كتب النساء في الفقه:

● تبصير النساء بما يهمهن من شريعة رب الأرض والسماء . ٦ مجلد .

● تنبيهات على أمور تختص بالمؤمنات . ١ مجلد .

● أدب المرأة وتأديبها . ١ مجلد .

● تبصير النساء : قسم الطهارة والصلاة . ١ مجلد .

● تبصير النساء : قسم النكاح . ١ مجلد .

● تبصير النساء : قسم اللباس . ١ مجلد .

● تبصير النساء : قسم الزينة . ١ مجلد .

● تبصير النساء : قسم أحكام النظر . ١ مجلد .

● تبصير النساء : قسم المفارقات الزوجية . ١ مجلد .

● نظرات في محاسن التشريع الإسلامي للمرأة المسلمة .

■ كتب شروح الأحاديث

● حديث : «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ» رواية ودراية .

١ غلاف .

● حديث : «مطل الغني ظلم» وبيان التجاوز عن المعسر . ١ غلاف .

● نظرات في قوله : «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» قانون الحياة . ١ غلاف .

■ كتب التخريج والتحقيق:

- الفوائد النيرة في تخريج أحاديث وآثار التذكرة . ٣ مجلدات .
- «التذكرة للقرطبي» تحقيق . ١ مجلد .
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (مشاركة) . ١٤ جزء .
- تحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داود . ١ مجلد .

■ كتب للأطفال:

- حقبة طالب العلم الصغير، وتشتمل على :
 - ١- مواقف من السيرة النبوية لطالب العلم الصغير «متضمن الرد على أمين الأنصاري في كتبه للأطفال» .
 - ٢- تعليم الأبناء الصغار العقيدة وبذيله توجيهات مفيدة للمعلمين .
 - ٣- آداب الأبناء الصغار «يتناول ضبط سلوك الطفل» .
 - ٤- الأذكار للطفل الصغير .
 - ٥- الفقه للطفل الصغير «قسم العبادات» .
 - ٦- أخلاق المسلمين والتأديب معهم «للطفل الصغير» .

■ كتب في موضوعات عامة في الفقه والرقائق:

- الأبنية وال عمران بناؤها وأثاثها في ضوء الشريعة الإسلامية . ١ مجلد .
- البشارة بذكر الأحكام المتعلقة بالإجارة . ١ مجلد .
- «فقه الوصية» في سؤال وجواب . ١ غلاف .
- الأحكام المتعلقة بالعقيدة . ١ غلاف .
- سنن غائبة وأخطاء شائعة في مقابر المسلمين . ١ غلاف .

- تذكير الأنام بصلة الأرحام . ١ غلاف .
 - الصحيح من برِّ الوالدين وفقه التعامل معهما . ١ غلاف .
 - فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه . ١ غلاف .
 - ذم شر الناس ذي الوجهين . ١ غلاف .
 - جامع أحكام الميت الجزء الأول . ١ غلاف .
 - مصير موتى الأطفال في الآخرة . ١ غلاف .
 - أعمال تدخل صاحبها الجنة . ١ غلاف .
 - أعمال تدخل صاحبها النار . ١ غلاف .
 - التهاني في المناسبات . ١ غلاف .
 - قبس من أعمال تدخل صاحبها الجنة . ١ غلاف .
 - قبس من تذكير الأنام بصلة الأرحام . ١ غلاف .
 - قبس من فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه . ١ غلاف .
 - رسالة إلى العاملين في الحقل الطبي . ١ غلاف .
 - طالب العلم حقوقه وآدابه . ١ مجلد .
 - جامع أحكام الهبات والنفقات . ١ مجلد .
 - بدعية الذكر والدعاء الجماعي . ١ غلاف .
- كتب تحت الطبع:
- التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم . ١ غلاف .
 - صحيح السيرة النبوية (دراسة تحليلية لتنقية أحداث السيرة مما علق بها من روايات غير مقبولة) . ٢ مجلد .

- ردع المجرم عن سب المسلم ، وما يتعلق بالسباب من أحكام . غلاف .
- خطب ودروس العام بصحيح القمص النبوي (دروس وخطب لمدة عامين بلا تكرير) . ٥ مجلدات .
- ذم أصحاب الأهواء والبدع وفقه التعامل معهم . ١ مجلد .
- فقه الرد على المخالف في أصول منهج أهل السنة . ١ مجلد .
- التكلف وآثاره الواضحة في منهج أهل السنة والجماعة . غلاف .
- حب الظهور وقضية الخمول في الشريعة الإسلامية . غلاف .

■ الدورات الصوتية:

- سلسلة تيسير دراسة الفقه للنساء . « ٦٦ محاضرة شرح كتاب تنبيهات تختص على أمور تختص بالمؤمنات » .
- سلسلة دراسات في أصول التفسير (شرح أصول التفسير) .
- الردود العلمية على الأخطاء المنهجية والآراء البدعية المتهافئة .
- سلسلة شرح التوضيحات الجلية في عقيدة أهل السنة .
- سلسلة في كيفية نصح الحكام .
- سلسلة شرح كتاب الأصول الثلاثة .
- سلسلة المخالفات في مقابر المسلمين .
- سلسلة شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة .
- شرح عقيدة المسلم الصغير .
- سلسلة مناصحة الخوارج .
- عدة محاضرات شروح لصحيح البخاري .

- شروح لصحيح مسلم بلغت ما يقارب من ٢٨٠٠٠ محاضرة .
- تعليقات على السيرة النبوية الصحيحة والتنبيه على الضعيف منها .
- «١٠٣ محاضرة» .
- سلسلة الخطب والدروس العامة في موضوعات متفرقة .
- مناقشات الطلبة في أبحاثهم .

* * *